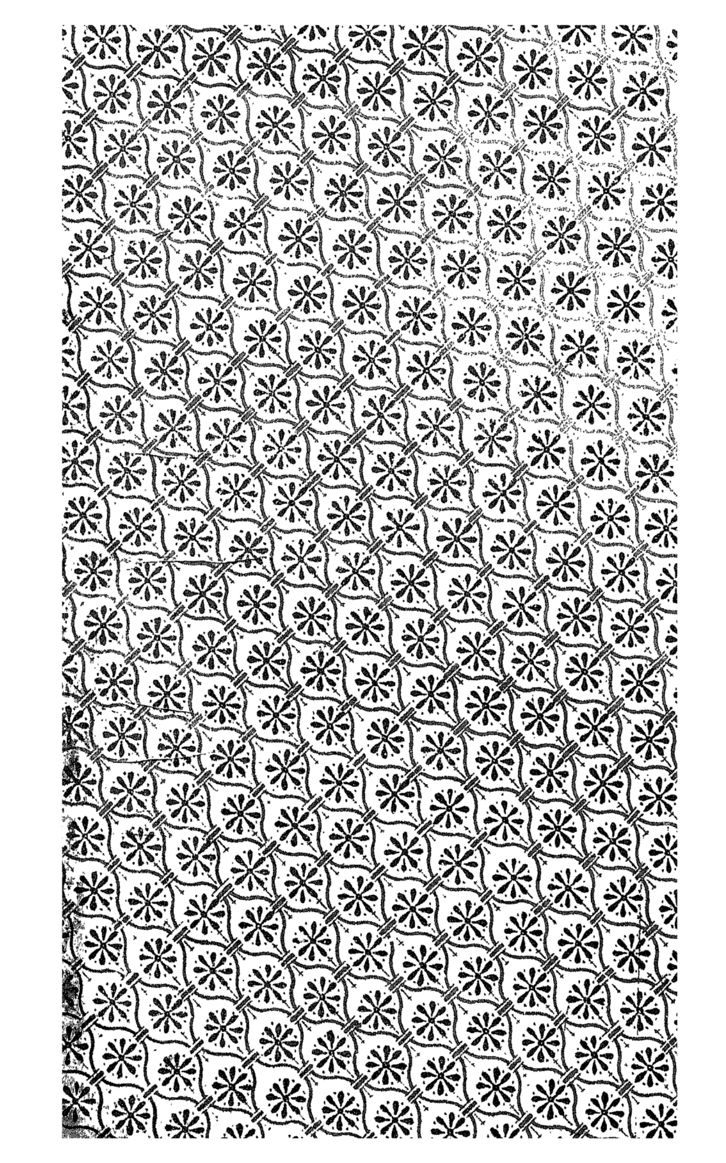
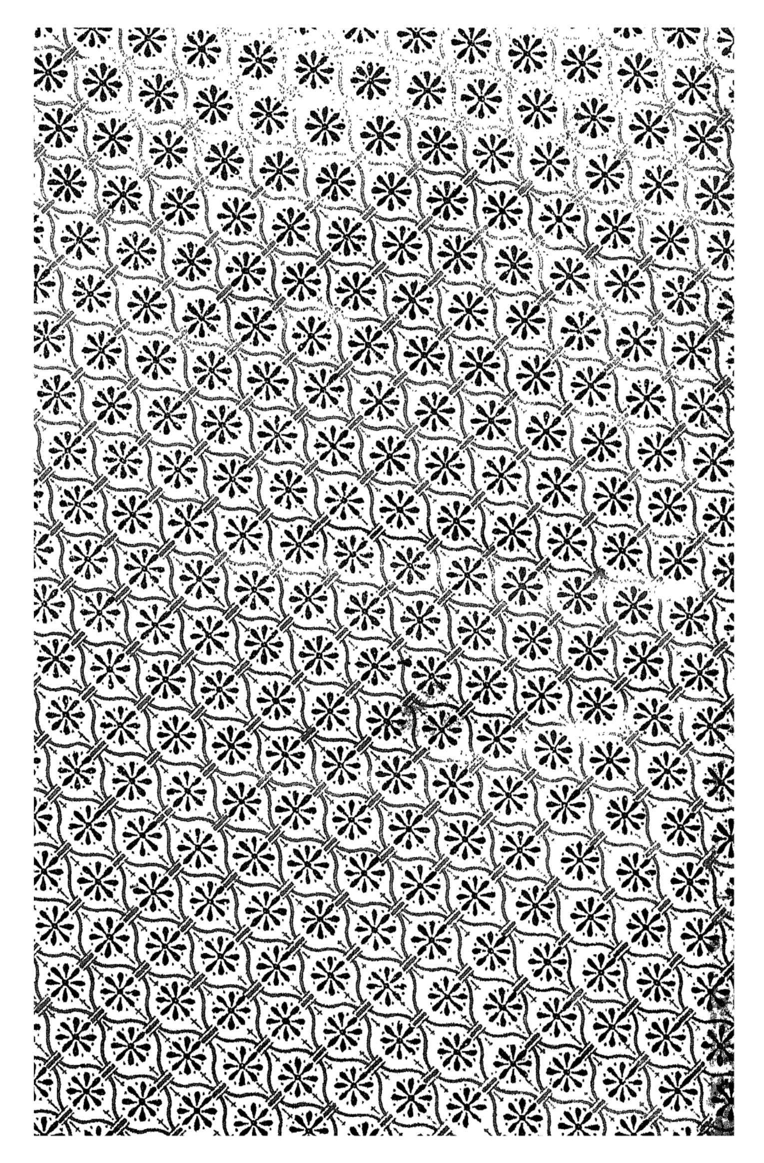






كتاب التبيان

لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن

على طريق الاتقان

للمعتصم بالله طاهر بن صالح بن أحمد

الجزائري

وفقه الله سبحانه لما يحب ويرضى

وهذا هو المقدمة الصغرى من مقدمتي التفسير

الطبعة الاولى سنة ١٣٣٤ هـ

مطبعة المنار بمصر



الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد فهـذا كتاب قصدت به تبيان بعض المباحث المتعلقة بالقرآن . على طريق الاتقان

وقد تبعت فيه أثر العلماء الاعلام . الذين أحكموا الأمر أيّ إحكام ، وسترى بفضل الله سبحانه من ذلك ما به جِلاءُ الأفهام . وَجلاءُ الأوهام

وقد رتبته على فصول



الفصل الاول

فى بيان المكي والمدني من القرآن . وما يناسب ذلك

اعلم أن للناس في المكيّ والمدنيّ ثلاث اصطلاحات :

أحدها ان المكيّ ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ـ والمدنيّ ما نزل عليه بالمدينة ـ وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل عليه بالاسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني وذلك مثل ما نزل عليه بتبوك ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل عليه بمنى وعرفات والحديبية ويدخل في المدينة أيضا ضواحيها كالمنزل عليه ببدر وأحد وسلع

الثاني ان المكي ماوقع خطابا لأهل مكة ـ والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ، وعليه يحمل قول من قال : ما كان في القرآن من يا أيها الناس فهو مكي ـ وما كان فيه من يا أيها الذين آمنوا فهو مدني لان الغالب على أهل مكة كان الكفر فخوطبوا بيا أيها الناس وان كان غيرهم داخلا فيهم ، والغالب على أهل المدينة كان الايمان فخوطبوا بيا أيها الذين آمنوا وان كان غيرهم داخلا فيهم

الثالث أن المكي ما نزل قبل الهجرة وان نزل بغير مكة ـ والمدني مانزل بعد الهجرة وان نزل بغير المدينة ـ هذا هو المشهور وقد ذهل العلامة الماوردي عن ذلك حيث قال ان البقرة مدنية في قول الجميع الا آية وهي ـ واتقوا يوماً

ترجعون فيه الى الله. فانها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى. فان نزولها هناك لايخرجها عن المدني في الاصطلاح لان ما نزل بعد الهجرة مدني سواء نزل بالمدينة أو بغيرها

وقد وقع له مثل ذلك حيث قال: سورة النساء مدنية الا آية واحدة نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفتاح الكعبة ويسلمه الى العباس فنزلت. ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها. والكلام فيه كالكلام في الذي قبله

علامات يعرف بها المكي والمدني

كل سورة فيها يا أيها الناس وليس فيها يا أيها الذين آمنوا فهي مكية. وفي الحج اختلاف

وكل سورة فيها كلا فهي مكية

وكل سورة في أولها حروف المعجم فهي مكية الا البقرة وآل عمران. وفي الرعد خلاف

وكل سورة فيها قصة آدم وابليس فهي مكية سوى البقرة

وكل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مكية سوى العنكبوت

وقال هشام بن عروة عن أبيه: كل سورة ذكر فيها الحدود والفرائض فهي مدنية، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية

وذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد الدارمي باسناده الى يحيى بن سلام قال ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما قدم

المدينة فهو من المدني ، وما كان من القرآن يا أيها الذين آمنوا فهو مدني ، وما كان يا أيها الناس فهو مكي

وذكر أيضا باسناده الى عروة بن الزبير : ما كان من حدّ أو فريضة فانه أنزل بالمدينة ، وما كان من ذكر الامم والعذاب فانه نزل بمكة

وقال الجعبري : لمعرفة المكي والمدني طريقان - سماعي وقياسي ، فالسماعيّ ما وصل الينا نزوله بأحدهما ، والقياسي كل سورة فيها يا أيها الناس فقط - أو كلاّ - أو أولها حروف تهجّ سوى الزّهراوَين والرعد في وجه - أو فيها قصة آدم وابليس سوى الطولى فهي مكية ، وكذلك كل سورة فيها قصص الانبياء والأمم الخالية فهي مكية ؛ وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية ﻫ والزهراوان البقرة وآل عمران

وقال مكي كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية - وزاد غيره سوى العنكبوت؛ وفي كامل الهذلي كل سورة فيها سجدة فهي مكية ﻫ

وأخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائل النبوة والبزار في مسنده من طريق الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال ما كان يا أيها الذين آمنوا أنزل في المدينة وما كان يا أيها الناس فبمكة ، وأخرجه أبوعبيد في فضائل القرآن عن علقمة مرسلا ، وأخرج عن ميمون بن مهران قال ما كان في القرآن يا أيها الناس أو يا بني آدم فانه مكي ، وما كان يا أيها الذين آمنوا فانه مدنيّ

قال ابن الحصار قد اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث واعتمدوا عليه على ضعفه ، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنية وأولها يا أيها الناس - وعلى أن الحج مكية وفيها يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا . وقال غيره: هذا القول

ان أخذ على اطلاقه ففيه نظر فان سورة البقرة مدنية وفيها يا أيها الناس اعبدوا ربكم وفيها يا أيها الناس كلوا مما في الارض وسورة النساء مدنية وأولها يا أيها الناس اتقوا ربكم وفيها ان يشأ يذهبكم أيها الناس ، وسورة الحج مكية وفيها يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا . فان أريد أن الغالب كذلك فصحيح ، وكذا قال مكي هذا انما هو في الاكثر وليس بعام وفي كثير من السور المكية يا أيها الذين آمنوا

﴿ تنبيه ﴾

وردت كلاّ في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعا . وهي في خمس عشرة سورة . كلها في النصف الاخير من القرآن . وليس في النصف الاول منها شيء

قال الشيخ عبد العزيز الديريني

وما نزلت كلاّ بيثربَ فاعلمن . ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

ذكر المكي والمدني من السور

قال ابن شيطا: جملة ما نزل في المدينة تسع وعشرون سورة، في النصف الاول خمس سور متواليات . الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة . ثم الانفال والتوبة ثم الرعد

واحدى وعشرون سورة في النصف الثاني . وهي الحج والنور والاحزاب . ثم القتال والفتح والحجرات — ثم من الحديد الى خاتمة التحريم عشر سور . ثم الانسان ؛ و باقي سور القرآن الخمس والثمانون مكيـة . على خلاف في خمس . وهي القمر والرحمن والاخلاص والمعوذتان

السور التي بين الحديد والتحريم ثمان . وهي سورة المجادلة والحشر

والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق

وقال أبو عبيدة في فضائل القرآن حدثنا عبدالله بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال والتوبة والحج والنور والاحزاب والذين كفروا والفتح والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والحواريين — يريد الصف — والتغابن ويا أيها النبيّ اذا طلقتم النساء ويا أيها النبيّ لم تحرم والفجر والليل وانا أنزلناه في ليلة القدر ولم يكن واذا زلزلت واذا جاء نصر الله ، وسائر ذلك بمكة

وقال أبو بكر بن الانباري حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي أنبأ حجاج ابن منهال أنبأنا همام عن قتادة . قال : نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحجّ والنور والاحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والرحمن والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويا أيها النبيّ لم تحرم الى رأس العشر واذا زلزلت واذا جاء نصر الله ، وسائر القرآن نزل بمكة

وقال أبو الحسن بن الحصار في كتابه في الناسخ والمنسوخ : المدنيّ باتفاق عشرون سورة ، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة ، وما عدا ذلك مكي باتفاق

أراد بالسور العشرين المدنية باتفاق سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال والتوبة والنور والاحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والجمعة والمنافقون والطلاق والتحريم والنصر

وأراد بالسور الاثنتي عشرة المختلف فيها سورة الفاتحة والرعد والرحمن والصف والتغابن والتطفيف والقدر ولم يكن واذا زلزلت والاخلاص والمعوذتين

وأراد بالسور المكية باتفاق ما عدا ذلك وهي اثنتان وثمانون سورة وقد نظم ذلك ابن الحصار في أبيات قال في ختامها

وليس كل خلاف جاء معتبرا ... إلا خلاف له حظ من النظر

وقد جرى هذا البيت عند جهابذة العلماء مجرى الامثال

ذكر المكي والمدني من السور على ترتيب النزول

قال ابن الضريس في فضائل القرآن : حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي أنبأنا عمرو بن هارون حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن ابن عباس . قال كانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ماشاء ، وكان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم ن ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم تبت يدا أبي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الأعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا أعطيناك ثم ألهاكم التكاثر ثم أرأيت الذي يكذب ثم قل يا أيها الكافرون ثم ألم تر كيف فعل ربك ثم قل أعوذ برب الفلق ثم قل أعوذ برب الناس ثم قل هو الله أحد ثم والنجم ثم عبس ثم انا أنزلناه في ليلة القدر ثم والشمس وضحاها ثم والسماء ذات البروج ثم والتين ثم لئلاف قريش ثم القارعة ثم لاأقسم بيوم القيامة ثم ويل لكل همزة ثم والمرسلات ثم ق ثم لا أقسم بهذا البلد ثم والسماء والطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم قل أوحي ثم يس ثم الفرقان ثم الملائكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة ثم طسم الشعراء ثم طس ثم القصص ثم بني اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم

لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم حم المؤمن ثم حم السجدة ثم حم عسق ثم حم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم انا أرسلنا نوحا ثم سورة ابراهيم ثم الانبياء ثم المؤمنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور ثم تبارك الملك ثم الحاقة ثم سأل ثم عم يتساءلون ثم والنازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت ثم ويل للمطففين فهذا ما أنزل الله بمكة

ثم أنزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت ثم الحديد ثم القتال ثم الرعد ثم الرحمن ثم الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم اذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم الصف ثم الفتح ثم المائدة ثم براءة

وقد سقط من هذه الرواية ذكر فاتحة الكتاب فيما نزل بمكة

وقال أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور حدثنا أبو العباس عبيدالله بن محمد بن أعين البغدادي. حدثنا حسان بن ابراهيم الكرماني حدثنا أمية الازدي عن جابر بن زيد قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة ثم تبت يدا أبي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الأعلى ثم والليل اذ يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم الكوثر ثم ألهاكم ثم أرأيت الذي يكذب ثم الكافرون ثم ألم تر كيف ثم قل أعوذ برب الفلق ثم قل أعوذ برب الناس ثم قل هو الله أحد ثم والنجم ثم عبس ثم انا أنزلناه ثم والشمس وضحاها ثم البروج

ثم والتين ثم لئلاف ثم القارعة ثم القيامة ثم ويل لكل همزة ثم والمرسلات ثم ق ثم البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم الملائكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم طس سليمان ثم طسم القصص ثم بني اسرائيل ثم التاسعة يعني يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم حم المؤمن ثم حم السجدة ثم حم الزخرف ثم حم الدخان ثم حم الجاثية ثم حم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم حم عسق ثم تنزيل السجدة ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم النحل أربعين وبقيتها بالمدينة ثم انا ارسلنا نوحا ثم الطور ثم المؤمنون ثم تبارك ثم الحاقة ثم سأل ثم عم يتساءلون ثم والنازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت ثم ويل للمطففين . فذاك ما أنزل بمكة

وانزل بالمدينة سورة البقرة ثم آل عمران ثم الانفال ثم الاحزاب ثم المائدة ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت ثم الحديد ثم القتال ثم الرعد ثم الرحمن ثم الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم اذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سبح الحواريين ثم الفتح ثم التوبة خاتمة القرآن

قال الحافظ جلال الدين هذا سياق غريب ، وفي هذا الترتيب نظر ؛ وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن وقد اعتمد برهان الدين الجعبري على هذا الاثر في قصيدته التي سماها تقريب المأمول في ترتيب النزول

ذكر أول ما نزل من القرآن

اختلف في أول ما نزل من القرآن على ثلاثة أقوال :

القول الاول اقرأ باسم ربك ، وهذا هو الصحيح

روى الشيخان وغيرهما عن عائشة أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب اليه الخلاء . فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك . ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال اقرأ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره . الحديث . الغط العصر الشديد والكبس

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ون والقلم

وأخرج ابن اشته في كتاب المصاحف عن عبيد بن عمير قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بنمط فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال اقرأ باسم ربك. فيرون انها أول سورة أنزلت من السماء

وأخرج عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء اذ أتى ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب اقرأ باسم ربك الذي خلق — الى — ما لم يعلم

القول الثاني يا أيها المدثر ، روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن

ابن عوف أنه قال سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول ـ فقال يا أيها المدثر ـ فقلت نبئت أنه اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال لا أخبرك الا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فاذا هو جالس على عرش بين السماء والارض فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا عليّ ماء باردا ـ وأنزل علي يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر

وأجاب أرباب القول الاول عن ذلك بأن جابرا سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر قصة بدء الوحي فسمع آخرها ولم يسمع أولها ـ فتوهم أنها أول ما أنزل وليس الامر كذلك ، نعم هي أول ما نزل بعد اقرأ باسم ربك ـ ويؤيد ذلك ما في الصحيحين أيضا عن أبي سلمة أنه قال أخبرني جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه فبينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا من السماء ـ فرفعت بصري قبل السماء ـ فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثتُ منه حتى هويت الى الارض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الى فاهجر ، قال أبو سلمة : والرجز الاوثان ـ ثم حمي الوحي وتتابع ه فقوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي أنزل فيها اقرأ باسم ربك

ـ جئث الرجل بالبناء للمفعول : فزع وذعر

القول الثالث سورة الفاتحة ، قال في الكشاف ذهب ابن عباس ومجاهد الى أن أول سورة نزلت اقرأ ـ وأكثر المفسرين الى ان أول سورة نزلت

فاتحة الكتاب . قال الحافظ ابن حجر والذي ذهب اليه أكثر الائمة هو الاول . وأما الذي نسبه الى الاكثر فلم يقل به الا عدد أقل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هـ

وطريق الجمع بين الاقوال أن يقال ان أول ما نزل من الآيات اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم . وأول ما نزل من أوامر التبليغ يا أيها المدثر وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة

وقد ورد في الصحيح عن عائشة أنها قالت : ان أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، وقد استشكل ذلك بأن أول ما نزل اقرأ وليس فيها ذكر الجنة والنار وأجيب بأن من مقدّرة أي من أول ما نزل والمراد سورة المدثر فانها أول ما نزل بعد فترة الوحي وفي آخرها ذكر الجنة والنار فلعل آخرها نزل قبل نزول بقية اقرأ

فرع

أخرج الواحدي من طريق الحسين بن واقد قال سمعت علي بن الحسين يقول : أول سورة نزلت بمكة اقرأ باسم ربك ، وآخر سورة نزلت بها المؤمنون ويقال العنكبوت ؛ وأول سورة نزلت بالمدينة ويل للمطففين ، وآخر سورة نزلت بها براءة ؛ وأول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم ، وفي شرح البخاري لابن حجر اتفقوا على أن سورة البقرة أول سورة أنزلت بالمدينة وفي دعوى الاتفاق نظر لقول علي بن الحسين المذكور

فرع في أوائل مخصوصة — أول مانزل في القتال

روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس أنه قال : أول آية نزلت في القتال ـ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأخرج ابن جرير عن أبي العالية أنه قال أول آية نزلت في القتال بالمدينة ـ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، وفي الاكليل للحاكم أن أول مانزل في القتال ـ ان الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم

أول ما نزل في الخمر

روى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر قال نزل في الخمر ثلاث آيات ـ فأول شيء يسألونك عن الخمر والميسر ـ الآية ـ فقيل حرمت الخمر ـ فقالوا يارسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله ـ فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية ـ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ـ فقيل حرمت الخمر ـ فقالوا يارسول الله لا نشربها قرب الصلاة فسكت عنهم ، ثم نزلت يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر

أول مانزل في الأطعمة

قال ابن الحصار : أول آية نزلت في الاطعمة بمكة آية الانعام ـ قل لا أجد فيما أوحي الي محرما ـ ثم آية النحل ـ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ـ الى آخرها ، وبالمدينة آية البقرة انما حرم عليكم الميتة ـ الآية ثم آية المائدة حرمت عليكم الميتة ـ الآية

وروى البخاري عن ابن مسعود أنه قال أول سورة انزلت فيها سجدة

النجم وقال الفرباليّ حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة قال هي أول ما أنزل الله من سورة براءة ، وقال أيضا حدثنا اسرائيل أنبأنا سعيد عن مسروق عن أبي الضحى أنه قال أول ما نزل من سورة براءة ـ انفروا خفافا وثقالا ـ ثم نزل أولها ـ ثم نزل آخرها

وأخرج ابن اشته في كتاب المصاحف عن أبي مالك أنه قال كان أول براءة انفروا خفافا وثقالا سنوات ثم انزلت براءة أول السورة فألفت بها أربعون آية، وأخرج أيضا من طريق داود عن عامر في قوله انفروا خفافا وثقالا قال هي أول آية نزلت في براءة في غزوة تبوك فلما رجع من تبوك نزلت براءة الى ثمان وثلاثين آية من أولها

وأخرج من طريق سفيان وغيره عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير قال أول مانزل من آل عمران ـ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ثم أنزلت بقيتها يوم أحد

ذكر آخر ما نزل من القرآن

اختلف في ذلك أيضا ـ

فروى الشيخان عن البراء بن عازب أنه قال آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ، وآخر سورة نزلت براءة ، وفي حديث عثمان المشهور براءة من آخر القرآن نزولا

وأخرج مسلم عن ابن عباس أنه قال آخر سورة نزلت اذا جاء نصرالله والفتح

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة أنها قالت آخر سورة نزلت المائدة

فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ـ الحديث ، وأخرجا أيضا عن عبدالله بن عمرو أنه قال آخر سورة نزلت المائدة والفتح يعني اذا جاء نصر الله

وأخرج البخاريّ عن ابن عباس أنه قال آخر آية نزلت آية الربا ،وروى البيهقي عن عمر مثله ، والمراد بها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ، وعند أحمد وابن ماجه عن عمر من آخر ما نزل آية الربا ، وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدريّ قال خطبنا عمر فقال ان من آخر القرآن نزولا آية الربا

وأخرج النسائيّ من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال آخر شيء نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ـ الآية ، وأخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ آخر آية نزلت ، وأخرجه ابن جرير من طريق العوفيّ والضحاك عن ابن عباس

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال آخر ما نزل من القرآن كله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية ـ وعاش النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جريج ، وأخرج من طريق عطية عن أبي سعيد أنه قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ـ الآية

وأخرج أبو عبيدة في الفضائل عن ابن شهاب أنه قال آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدَّين

قال الحافظ جلال الدين صاحب الاتقان ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا ـ واتقوا يوما ـ وآية الدين ـ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة

واحدة كترتيبها في المصحف ولأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح

وفي مستدرك الحاكم عن أبيّ بن كعب أنه قال آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة ، وروى عبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه عن ابيّ أنهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر وكان رجال يكتبون . فلما انتهوا الى هذه الآية من سورة براءة ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ظنوا أن هذا آخر ما نزل من القران ، فقال لهم أبيّ بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني بعدها آيتين . لقد جاءكم رسول من أنفسكم . الى قوله وهو رب العرش العظيم . وقال هذا آخر ما نزل من القرآن

قال البيهقيّ يجمع بين هذه الاختلافات ان صحت بأن كل واحد أجاب بما عنده

ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه البخاريّ عن ابن عباس أنه قال نزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم هي آخر ما نزل وما نسخها شيء وعند أحمد والنسائي عنه لقد نزلت في آخر ما نزل . ما نسخها شيء

وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة أنها قالت آخر آية نزلت هذه الآية . فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل الى آخرها . وذلك أنها قالت يارسول الله أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء فنزلت ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . ونزلت ان المسلمين والمسلمات . ونزلت هذه الآية فهي آخر الثلاثة نزولا أو آخر ما نزل بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة

ويشكل على ما تقدم قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم. فانها نزلت بعرفة عام حجة الوداع. وظاهرها اكمال جميع الفرائض والاحكام قبلها، وقد صرّح بذلك جماعة منهم السدّي فقال لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع أنه ورد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك، وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم باقرارهم بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون لا يخالطهم المشركون. ثم أيده بما أخرجه من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال كان المشركون والمسلمون يحجون جميعا. فلما نزلت براءة نفي المشركون عن البيت وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، فكان ذلك من تمام النعمة. وأتممت عليكم نعمتي

﴿ تنبيه ﴾

قدذكرنا المكيّ والمدنيّ وما اختلف فيه وترتيب نزول ذلك وبقي مما ذكره بعض العلماء الحضري والسفريّ. والنهاريّ والليلي. والشتائي والصيفيّ. وما حمل من مكة الى المدينة. وما حمل من المدينة الى مكة وما حمل منها الى الحبشة

فرأيت أن أذكر ذلك إتماما للفائدة

ذكر الحضريّ والسفريّ من القرآن

نزل أكثر القرآن في الحضر وقد نزل يسير منه في السفر وقد تتبع العلماء ذلك فذكروا ما وقفوا عليه منه

فمن ذلك سورة الفتح قال البخاريّ في صحيحه حدثنا عبدالله بن مسلمة

عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا ، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب ثَكِلَتْ أُمُّ عمر - نزرتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كلّ ذلك لا يجيبك ، قال عمر فحركتُ بعيري ثم تقدمتُ أمام الناس ، وخشيت أن ينزل فيّ قران ، فما نَشِبْتُ أن سمعت صارخا يصرخ بي - فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ، فقال لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحبّ اليّ مما طلعت عليه الشمس - ثم قرأ - إنا فتحنا لك فتحا مبينا ه

ثكلت أم عمر ، أي ثكلت عمر - دعاء على نفسه - وفي رواية ثكلتك . ونزرت بفتح الزاي ألححت عليه . وما نشبت - ما لبثت - وحقيقته : ماعلقت بشيء غيره

ومن ذلك - اليوم أكملت لكم دينكم - أخرج البخاريّ في صحيحه في كتاب الايمان عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب ان رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين - آيةٌ في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا - قال أيّ آية - قال : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا - قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة

ومن ذلك - ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها - نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة ، أخرجه سنيد في تفسيره عن ابن جريج وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس

ومن ذلك سورة والمرسلات - فقد أخرج الشيخان عن عبد الله بن

مسعود أنه قال بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى اذ نزلت عليه والمرسلات فتلقيناها من فيه وان فاهُ لرطب بها اذ خرجت حية فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها

ومن ذلك ـ يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ـ الآية ـ أخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت بأسفل الحديبية

ومن ذلك أول الانفال ـ نزلت ببدر عقب الوقعة ـ أخرجه أحمد عن سعد بن أبي وقاص

ومن ذلك ـ لو كان عرضا قريبا ـ الآية ـ نزلت في غزوة تبوك

ومن ذلك ـ ان الذي فرض عليك القرآن ـ نزلت بالجحفة في سفر الهجرة ، أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك

ذكر النهاريّ والليليّ من القرآن

كان القرآن ينزل ليلا ونهارا الا أنّ ما نزل منه نهارا أكثر وقد تتبع العلماء الليلي فذكروا ما وقفوا عليه منه

فمن ذلك سورة الفتح للحديث السابق

ومن ذلك سورة المنافقين ـ فقد أخرج الترمذيّ عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلا في غزوة تبوك ـ وأخرج عن سفيان أنها نزلت في غزوة بني المصطلق وبه جزم ابن اسحق وغيره

ومن ذلك سورة والمرسلات. ففي صحيح الاسماعيلي وهو مستخرجه على البخاري أنها نزلت ليلة عرفة بغار منى وهو في الصحيحين بدون قوله ليلة

عرفة ، والمراد بها ليلة التاسع من ذي الحجة فانها التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيتها بمنى

ومن ذلك آية الثلاثة الذين خلّفوا في براءة . ففي الصحيح من حديث كعب فأنزل الله تعالى توبتنا حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة ، والثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع

﴿ تنبيه ﴾

نزل القرآن كله في اليقظة ولم ينزل منه في النوم شيء

وذهب بعضهم الى أن فيه مانزل في النوم ، واستدل على ذلك بما روى مسلم عن أنس أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا في المسجد اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما . فقلنا ما أضحكك يارسول الله . فقال أنزلت عليّ آنفا سورة . فقرأ . بسم الله الرحمن الرحيم ، انا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر

قال الرافعيّ في أماليه : فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الاغفاءة وقالوا من الوحي ما يأتيه في النوم لأن رؤيا الانبياء وحي . قال وهذا صحيح . لكن الاشبه أن يقال ان القرآن كله نزل في اليقظة . وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة أو تكون تلك الاغفاءة ليست اغفاءة نوم بل الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي وتسمى برحاء الوحي هـ وهو كلام في غاية الاتجاه

وأغفى نام نومة خفيفة وقلما يقال غفا . وآنفا ظرف تقول فعلت الشيء آنفا أي قريبا أو هذه الساعة أو أول وقت يقرب منه

ذكر الشتائيّ والصيفيّ من القرآن

قال الواحدي أنزل الله في الكلالة آيتين ـ احداهما في الشتاء وهي التي في أول النساء ـ والاخرى في الصيف وهي التي في آخرها ـ وفي صحيح مسلم عن عمر ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها ـ حتى طعن بأصبعه في صدري وقال يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء، وفي المستدرك عن أبي هريرة ان رجلا قال يارسول الله ما الكلالة قال أما سمعت الآية التي نزلت في الصيف قل الله يفتيكم في الكلالة ـ وكان ذلك في سفر حجة الوداع فيعدّ من الصيفي ما نزل فيها كأول المائدة وقوله اليوم أكملت لكم دينكم ـ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ـ وآية الدّين

ومن الصيفي الآيات النازلة في غزوة تبوك فقد كانت في شدة الحر فمن ذلك قوله تعالى لو كانَ عرضا قريبا وسفراً قاصدا لاتبعوك ـ الآية أخرجه ابن جرير عن ابن عباس

ومن ذلك قوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر

ومن ذلك قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر ـ الآية

ومن الشتائي الآيات التي في غزوة الخندق من سورة الاحزاب فقد كانت في شدة البرد وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها ـ الآيات

ذكر ما حمل من مكة الى المدينة

من ذلك سورة سبح فقد أخرج البخاري عن البراء بن عازب أنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد. ثم جاء عمر ابن الخطاب في عشرين. ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم. فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء، فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى في سور مثلها من المفصل

ذكر ما حمل من المدينة الى مكة

من ذلك قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه

ومن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا

ومن ذلك صدر سورة براءة

ذكر ما حمل من المدينة الى الحبشة

من ذلك سورة مريم فقد ثبت أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي. أخرجه أحمد في مسنده

صلات تتعلق بهذا الفصل

الصلة الاولى

قال البيهقيّ في دلائل النبوة في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها، وقال ابن الحصار كل نوع من المكيّ والمدنيّ منه

آيات مستثناة . قال الا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل، وقال ابن حجر في شرح البخاري : قد اعتنى بعض الائمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية قال وأما عكس ذلك فلم أره الا نادرا وقد رأيت أن أذكر شيئا من ذلك

ذكر سور مكية فيها آيات مدنية

من ذلك سورة الاعراف . أخرج أبو الشيخ بن حبان عن قتادة انه قال : الاعراف مكية الا آية واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر وقال غيره من هنا الى واذ أخذ ربك من بني آدم . مدني

ومن ذلك سورة ابراهيم . أخرج أبو الشيخ عن قتادة انه قال سورة ابراهيم مكية غير آيتين مدنيتين . ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا . الى . فبئس القرار

ومن ذلك سورة الاسراء . استثنى منها . و يسألونك عن الروح . الآية . لما أخرجه البخاري عن ابن مسعود أنه قال إنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود

ذكر سور مدنية فيها آيات مكية

فمن ذلك سورة الانفال . استثنى منها . واذ يمكر بك الذين كفروا . الآية . قال مقاتل نزلت بمكة . و يرد ذلك ما ثبت عن ابن عباس انه قال في هذه الآية انها نزلت في المدينة

ومن ذلك سورة الحج في قول قتادة فانها عنده مدنية الا أربع آيات وقال العلامة عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الفرس الغرناطي في كتاب

أحكام القرآن : قيل انها مكية الا ـ هذان خصمان . الآيات ـ وقيل الاعشر آيات وقيل مدنية لا أربع آيات ـ وما أرسلنا من قبلك من رسول . الى عقيم ـ قاله قتادة وغيره ، وقيل كلها مدنية قاله الضحاك وغيره ، وقيل هي مختلطة فيها مدنيّ ومكيّ وهو قول الجمهور

ومن ذلك سورة الحديد : قال ابن الفرس الجمهور على أنها مدنية ، وقال قوم انها مكية ـ ولا خلاف أن فيها قرآنا مدنيا لكن يشبه صدرها أن يكون مكيا

الصلة الثانية

صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرر نزوله ، قال ابن الحصار قد يتكرر نزول الآية تذكيرا وموعظة ، وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل وأول سورة الروم ، وذكر ابن كثير منه آية الروح ، وذكر قوم منه الفاتحة ، وذكر بعضهم منه قوله تعالى ما كان للنبيّ والذين آمنوا ـ الآية ، وقال العلامة بدر الدين محمد الزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن : قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه ـ وتذكيرا به عند حدوث سببه وخوف نسيانه ، ثم ذكر منه قوله تعالى ويسألونك عن الروح ـ الآية ـ وهي في سورة الاسراء ـ وقوله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار ـ الآية ـ وهي في سورة هود ، قال وسورة الاسراء وهود مكيتان وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا بالمدينة ـ ولهذا أشكل ذلك على بعضهم ولا اشكال لانهما نزلتا مرة بعد مرة ، وكذلك ما ورد في سورة الاخلاص من أنها جواب للمشركين بمكة وجواب لأهل الكتاب بالمدينة ، قال والحكمة في ذلك كله انه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فيوحى الى النبيّ

صلى الله عليه وسلم تلك الآية بعينها تذكيرا لهم بها و بأنها تتضمن هذه

وقال العلامة علم الدين عليّ السخاوي في كتاب جمال القراء وكمال الأقراء بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين : فان قيل فما فائدة نزولها ثانية قلت يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد ، ونزلت في الثانية ببقية وجوهها نحو ملك ومالك والسراط والصراط — ونحو ذلك

وقد أنكر بعضهم كون شيء من القرآن تكرر نزوله وعلله بأن تحصيل ما هو حاصل لا فائدة فيه. و بأنه يلزم منه ان يكون كل ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى فان جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة. و بأنه لا معنى للانزال الا أن جبريل كان ينزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرآن لم يكن نزل به من قبل فيقرئه اياه ه

﴿ تنبيه ﴾

ان المنكرين لتكرر نزول شيء من القرآن يقولون في آية الروح وما شاكلها أنها من الآيات المدنية الملحقة بالسور المكية. وهذا كاف في ازالة الاشكال وهو أقرب مسلكا وأقوى مدركا

وقد ذكر بعض المحققين عبارة تتعلق بما نحن في صدده قال فيها — :

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري انه قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يابني سلمة دياركم تكتب آثاركم وقد روى مسلم في صحيحه نحوه عن جابر وأنس. وفي هذا القول نظر. فان سورة يس مكية. وقصة بني سلمة بالمدينة الا ان يقال ان هذه الآية وحدها مدنية ، وأحسن من هذا ان يقال

ان هذه الآية ذكرت عند هذه القصة ودلت عليها وذكروا بها عندها إما من النبي صلى الله عليه وسلم أو من جبريل فأطلق على ذلك النزول. ولعل هذا مراد من قال في نظائر ذلك : نزلت مرتين

الصلة الثالثة

من فوائد معرفة المكي والمدني وترتيب ذلك في النزول معرفة الناسخ والمنسوخ من أحكام القرآن التي وقع فيها النسخ ، وانما يرجع في معرفة ذلك الى حفاظ الصحابة والتابعين ، وممن كان له عناية شديدة به عبدالله بن مسعود . أخرج البخاري عنه أنه قال والذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله الا وأنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيم أنزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الابل لركبت اليه

وقد وقع خلاف في بعض السور هل هي مكية أو مدنية الا ان ذلك مع قلته جدا قد وقع في السور التي ليس فيها ناسخ ولا منسوخ على ان الخلاف في بعض ذلك لا يعتد به. وذلك كالخلاف في الفاتحة فقد ثبت أنها مكية وهو قول الجمهور وقد اشتهر عن مجاهد القول بأنها مدنية فان صح هذا القول عنه كان ذلك كما قال الحسين بن الفضل هفوة منه. والكامل من عدت هفواته

الفصل الثاني

في كيفية نزول القرآن وما يتعلق بذلك وفيه مسائل

المسألة الاولى

قال الله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. وقال تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر

اختلف في كيفية انزال القرآن على ثلاثة أقوال

أحدها انه نزل الى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين سنة أو في خمس وعشرين سنة. على حسب الاختلاف في مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة.

القول الثاني أنه نزل الى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة وقيل في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة في كل ليلة ما يقدر الله تعالى انزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة

وهذا القول ذكره العلامة فخر الدين الرازي بحثا فقال يحتمل انه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس الى انزاله الى مثلها من اللوح الى سماء الدنيا ثم توقف هل هذا هو أولى أو الاول وهذا الذي جعله احتمالا نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان. وممن قال بقول مقاتل الحليمي والماوردي ويوافقه قول ابن شهاب: آخر القرآن عهدا بالعرش آية الدين

القول الثالث أنه ابتدأ انزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في

أوقات مختلفة من سائر الاوقات وبه قال الشعبي وغيره

والقول الاول أشهر واليه ذهب الاكثرون ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس انه قال أنزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة قال الحاكم : صح على شرط الشيخين ، وأخرج النسائي في التفسير من جهة حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال فصل القرآن من الذكر الى بيت العزة جملة. واسناده صحيح. وحسان هو ابن أبي الاشرس وثقه النسائي وغيره ، وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه قال انزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان الى سماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوما. واسناده لا بأس به

﴿ تنبيه ﴾

كان بين نزول أول القران وآخره عشرون سنة أو ثلاث وعشرون سنة أو خمس وعشرون سنة. وهو مبني على الاختلاف في مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة فقيل عشر وقيل ثلاث عشرة وقيل خمس عشرة. ولم يختلف في مدة اقامته بالمدينة أنها عشر ، وكان كلما انزل عليه شيء من القرآن أمر بكتابته. ويقول في مفترقات الآيات : ضموا هذه في سورة كذا

المسألة الثانية

قد تبين من استقراء الاحاديث أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل. وقد صح نزول عشر آيات في قصة الافك جملة. وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة. وصح نزول غير أولي الضرر. وحدها. وهي بعض آية. وكذا قوله وان خفتم عيلة

الى آخر الآية نزلت بعد نزول أول الآية . وهي بعض آية

وقال النكزاوي في كتاب الوقف كان القرآن ينزل مفرقا . الآية . والآيتين . والثلاث . والاربع . وأكثر من ذلك

وأما ما أخرجه ابن عساكر من طريق أبي نضرة انه قال كان أبو سعيد الخدري يعلمنا خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات فان معناه ان صح إلقاؤه الى النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القدر حتى يحفظه ثم يلقى اليه الباقي لا انزاله بهذا القدر خاصة ، ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي عن خالد بن دينار قال قال لنا أبو العالية تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات . فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل خمسا خمسا

وقال بعض العلماء من القرآن مانزل مفرقا ومنه ما نزل جمعا . ومن الاول غالب القرآن

ومن أمثلته في السور القصار اقرأ . أول مانزل منها الى قوله ما لم يعلم والضحى . أول مانزل منها الى قوله فترضى

ومن أمثلة الثاني سورة الفاتحة والاخلاص والكوثر وتبت ولم يكن والنصر والمعوذتان ومنه في السور الطوال والمرسلات

ومن ذلك سورة الانعام فقد أخرج أبو عبيد والطبراني عن ابن عباس أنه قال نزلت سورة الانعام بمكة ليلا جملة حولها سبعون الف ملك

لكن قال ابن الصلاح في فتاويه : الحديث الوارد في أنها نزلت جملة رويناه من طريق أبي بن كعب وفي اسناده ضعف ولم نر له اسناداً صحيحا . وقد روي مايخالفه فروي أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة

اختلفوا في عددها فقيل ثلاث وقيل ست وقيل غير ذلك

وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث جابر أنه قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : لقد تبع هذه السورة من الملائكة ماسد الافق . قال الحاكم صحيح على شرط مسلم لكن قال الذهبي فيه انقطاع وأظنه موضوعاً

﴿ تنبيه ﴾

قال العلامة أبو شامة في المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز : فان قيل ما السر في نزوله الى الارض منجما . وهلا نزل جملة كسائر الكتب . قلنا هـذا سؤال قد تولى الله تعالى جوابه . فقال تعالى : وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة . يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله : كذلك . أي أنزلناه كذلك مفرقاً . لنثبت به فؤادك أي لنقوي به قلبك فان الوحي اذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل اليه . ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز . فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة . ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه فيه لجبريل وقيل معنى لنثبت به فؤادك لتحفظه فانه عليه السلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليتيسر عليه حفظه بخلاف غيره من الانبياء فانه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع اذا نزل جملة

وقال ابن فورك قيل أنزلت التوراة جملة لانها نزلت على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى وأنزل الله القرآن مفرقا لانه أنزل غير مكتوب على نبي

أمي ؛ وقال غيره انما لم ينزل جملة واحدة لان منه الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لسؤال ومنه ما هو انكار على قول قيل أو فعل فعل

وقد أنكر بعض العلماء كون سائر الكتب أنزلت جملة واحدة. وقال انه لادليل عليه وان الصواب انها نزلت مفرقة كالقرآن ، ولم يرعه كون ذلك خلاف المشهور عند الجمهور وكان هذا المنكر ممن له يد طولى في معرفة أحوال الكتب الاولى

المسألة الثالثة

قال العلامة الطيبي لعل نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفاً روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه عليه

وقد اختلف في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ما هو على ثلاثة أقوال أحدها أنه اللفظ والمعنى وان جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به

والثاني ان جبريل انما نزل بالمعاني خاصة وانه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك

والثالث ان جبريل القى اليه المعنى وان عبر عنه بلغة العرب بهذه الالفاظ وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ثم انه نزل كذلك بعد ذلك

وقال البيهقي في معنى قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر يريد والله أعلم انا أسمعنا الملك وأفهمناه اياه وأنزلناه بما سمع فيكون الملك متنقلا به من علو الى أسفل

ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعا . اذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله . فاذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجدا . فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة فكلما مرّ بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا قال الحقّ فينتهي به حيث أمر

وقال الجويني : كلام الله المنزل قسمان . قسم قال الله لجبريل قل للنبي الذي أنت مرسل اليه ان الله يقول افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا ففهم جبريل ماقاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ماقاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة ، كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال ، فان قال الرسول يقول الملك لاتتهاون في خدمتي ولاتترك الجند يتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب الى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة

وقسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل به من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه الى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا ه‍ ولا يخفى ان القسم الثاني هو القرآن وان القسم الاول هو السنة وقد ورد ان جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن

وقد تبين بما ذكر سر جواز رواية السنة بالمعنى وعدم جواز رواية القرآن بالمعنى وذلك لان السنة أداها جبريل بالمعنى وأما القرآن فانه أداه باللفظ ولم يبح له ايحاؤه بالمعنى وذلك لاعجازه واشتمال كل كلمة منه على معان لا يحاط بها كثرة

وقد خفف الله على الامة حيث جعل المنزل اليهم على قسمين . قسم يروونه بلفظه الموحى به . وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق ذلك عليهم أو بالمعنى لم يؤمن فيه التبديل والتحريف

تتمة

قال بعض المتكلمين على طريقة السلف: قد فسر كثير من الناس النزول في مواضع من القرآن بغير معناه المعروف لاشتباه وقع لهم في تلك المواضع فصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير المتكلمين من الخلف، فان منهم من يقول المراد بانزال القرآن اظهاره في مكان عال ثم انزال الملك به من ذلك المكان، ومنهم من يقول المراد بانزاله اعلام الملك به وإفهامه اياه ثم انزاله بما فهمه، ومنهم من يقول غير ذلك.

وقد اقتضى الحال ان نبين حقيقة الامر فنقول: النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع - نوع مقيد بأنه من الله سبحانه - ونوع مقيد بأنه من السماء - ونوع غير مقيد لا بهذا ولا بهذا

أما النوع الاول وهو النزول المقيد بأنه من الله سبحانه فلم يرد الا في القرآن - قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق - وقال تعالى - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم - فالقرآن منزل من الله تعالى وهو كلامه لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بأنه عبارة عن كلامه - واذا قرأه الناس لم يخرج بذلك عن ان يكون كلام الله لان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مبلغا مؤديا

وأما النوع الثاني وهو النزول المقيد بأنه من السماء فكقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء - والسماء اسم جنس لكل ما علا فهو مطلق في العلو وقد بينه في موضع آخر فقال أأنتم انزلتموه من المزن - فعلم انه منزل من السحاب

وأما النوع الثالث وهو النزول المطلق فكقوله تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين - الى غير ذلك

الفصل الثالث

في نزول القرآن على سبعة أحرف وما يتعلق بذلك

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أقرأني جبريل على حرف فراجعته. فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف ، زاد مسلم قال ابن شهاب بلغني أن تلك السبعة انما هي في الامر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام

وأخرجا أيضا عن عمر بن الخطاب انه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكدت أساوره في الصلاة. فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه. فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ. فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت كذبت. فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله. اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت. ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت. أنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه

وأخرج مسلم عن أبيّ بن كعب انه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما

قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرءا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله عز وجل فرقا ، فقال يا أبيّ أرسل اليّ أنِ اقرأ القرآن على حرف فرددت اليه أن هوّن على أمتي فردّ اليّ الثانية ان اقرأه على حرفين فرددت اليه أن هوّن على أمتي فردّ اليّ الثالثة أنِ اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها ـ فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لأمتي ـ وأخرت الثالثة ليوم يرغب اليّ الخلق كلهم حتى ابراهيم

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع النبي صلى الله عليه وسلم [يقرأ] خلافها [قال] فأخذت بيده فانطلقت به الى النبي صلى الله عليه وسلم ـ فقال : كلاكما محسن ـ فاقرأ [قال شعبة أحد رواة هذا الحديث] أكبر علمي [ان النبي صلى الله عليه وسلم] قال : فان من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا

وأخرج أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري عن عبد الله بن مسعود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف ـ كلٌّ كافٍ شافٍ

وأخرج عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرأوا ولا حرج ـ ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة

وأخرج عن أم أيوب وهي امرأة أبي أيوب الانصاري أنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نزل القرآن على سبعة أحرف ـ فما قرأت أصبت

وقد ورد حديث ـ أنزل القرآن على سبعة أحرف من رواية نحو عشرين من الصحابة وقد نص أبو عبيد على تواتره

***

وقد اختلف في المراد بالاحرف السبعة اختلافا كثيرا ـ وقد رأينا أن نورد هنا من الاقوال التي قيلت في ذلك ما يقتضي الحال ايراده فنقول : —

القول الاول ان المراد بالاحرف السبعة الاوجه التي يقع بها الاختلاف في القراءة ـ

وهو قول ابن قتيبة ومن نحا نحوه ـ قال والاوجه التي يقع بها ذلك سبعة

أولها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل ولا يُضارُّ كاتبٌ بالفتح والرفع

وثانيها ما يتغير بالفعل مثل باعِدْ و باعَد بلفظ الطلب والماضي

وثالثها ما يتغير باللفظ مثل ننشرها وننشزها

ورابعها ما يتغير بأبدال حرف قريب المخرج مثل طلح منضود وطلع منضود

وخامسها ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل وجاءت سكرة الموت بالحق ـ وسكرة الحق بالموت

وسادسها ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل والذكر والانثى ـ وما خلق الذكر والانثى

وسابعها ما يتغير بأبدال كلمة بأخرى مثل كالعهن المنفوش ـ وكالصوف المنفوش

وتعقب ذلك قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل بأن الرخصة وقعت وأ كثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف الرسم وانمـا كانوا يعرفون الحروف ومخارجها وأجيبت بأنه لا يلزم من ذلك توهين ما ذهب اليه ابن قتيبة لاحتمال ان يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقا وانما اطلع عليه بالاستقراء

وقال أبو الفضـل الرازيّ في اللوائح : الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف

الاول اختلاف الاسماء ـ من أفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث

الثاني اختلاف تعريف الافعال من ماض ومضارع وأمر

الثالث وجوه الاعراب

الرابع النقص والزيادة

الخامس التقديم والتأخير

السادس الابدال

السابع اختلاف اللغات كالفتح والامالة ـ والتوفيق والتفخيم ـ والادغام والاظهار ونحو ذلك

وقال ابن الجزريّ تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فاذا هي ترجع الى سبعة أوجه من الاختلاف ـ لاتخرج عنها

وذلك اما بتغير في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو البخـل ويحسب بوجهين ـ وأما بتغير في المعنى فقط نحو فتلقى آدم من ربه كلمات ـ ـ

وأما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو تبلو وتتلو ـ وعكس ذلك نحو الصراط والسراط ـ أو بتغيرهما نحوفامضوا فاسعوا ـ وأما في التقديم والتأخير نحو فيَقتلون ويُقتلون ـ أو في الزيادة والنقصان نحو أوصي ووصى ،

فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها

قال وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والرَّوْم والاشمام والتخفيف والتسهيل والنقل والابدال فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ أو المعنى لان هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن ان يكون لفظا واحدا هـ .

القول الثاني ان المراد بالاحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالالفاظ المختلفة نحو اقبل وهلم وتعال وعجل وأسرع. وأنظر وأخر وأمهل ونحوه وكاللغات التي في أفّ ونحو ذلك

قال أبو عمر بن عبد البر وعلى هذا القول أكثر أهل العلم وأنكروا على من قال انها لغات لان العرب لايرتكب بعضها لغة بعض ، ومحال ان يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم أحدا بغير لغته ، . قال فهذا يعني السبعة الاحرف المذكورة في الاحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث. منهم سفيان بن عيينة وابن وهب ومحمد بن جرير الطبري والطحاويّ وغيرهم

قال ابن عبد البر وذكر ابن وهب في كتاب الترغيب من جامعه قال قيل لمالك أترى ان تقرأ مثل ما قرأ عمر بن الخطاب فامضوا الى ذكر الله قال ذلك جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه ، ومثل تعلمون ويعلمون قال مالك لا أرى باختلافهم في ذلك بأسا. وقد كان الناس ولهم مصاحف ، قال ابن وهب سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لي ذهب ؛ وأخبرني مالك قال أقرأ عبد الله بن مسعود رجلا إنّ شجرة الزقوم طعام الاثيم. فجعل الرجل يقول اليتيم فقال طعام الفاجر. قلت لمالك أترى أن يقرأ بذلك قال نعم أرى ان ذلك واسع.

قال ابن عبد البر معناه عندي ان يقرأ به في غير الصلاة . وانما لم تجز القراءة به في الصلاة لان ماعدا مصحف عثمان لا يقطع عليه وانما يجري مجرى أخبار الآحاد لكنه لا يقدم أحد على القطع في رده وقد قال مالك فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة مما يخالف المصحف : لم يصل وراءه

وقد ذكر الطبري هذه المسألة في مقدمة تفسيره و بين رأيه فيها فرأينا أن نورد هنا ما قاله في ذلك ملخصا قال أبو جعفر بعد أن أورد روايته لحديث انزل القرآن على سبعة أحرف من طرق مختلفة : فصح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع اذ كان معلوما ان ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن احصائه

فان قال لنا قائل وما برهانك على ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف وقوله امرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف هو ما ادعيت به من انه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل ونحو ذلك من الاقوال . فقد علمت قائلي ذلك من سلف الامة وخيار الائمة

قيل له ان الذين قالوا ذلك لم يدعوا ان تأويل الاخبار التي تقدم ذكرنا لها هو مازعمت انهم قالوه في الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا . وانما أخبروا ان القرآن نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من أصحابه أخبارا قد تقدم ذكرنا لبعضها

وسنستقصي ذكر باقيها ببيانه اذا انتهينا اليه فأما الذي قد تقدم ذكرناه من ذلك فخبر أبي بن كعب من رواية أبي كريب عن ابن فضيل عن اسماعيل بن أبي خالد الذي ذكر فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة والسبعة الاحرف هو ما قلنا من انه الألسن السبعة . والابواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الامر والنهي والترغيب والترهيب والجدل والقصص والمثل التي اذا عمل بها العامل وانتهى الى حدودها المنتهي استوجب به الجنة وليس والحمد لله في قول من قال ذلك من المتقدمين خلاف لشيء مما قلناه

والدلالة على صحة ما قلناه ما تقدم ذكرنا له من الروايات الثابتة عن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب أنهم تماروا في القرآن فخالف بعضهم بعضا في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعاني وانهم احتكموا فيه الى النبيّ صلى الله عليه وسلم فاستقرأ كل رجل منهم ثم صوّب جميعهم في قراءتهم على اختلافها حتى ارتاب بعضهم لتصويبه اياهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم ان الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف

فقد وضح ان اختلاف الاحرف السبعة انما هو اختلاف ألفاظ باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام ، وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الاخبار عن جماعة من السلف والخلف ، قال عبد الله بن مسعود اني قد سمعت القراء فوجدتهم متقارين . فاقرؤا كما علمتم واياكم والتنطع . فانما هو كقول أحدكم هلم وتعال ، وقال : من قرأ القرآن على حرف فلا يتحولن عنه الى غيره

ومعلوم ان ابن مسعود لم يعن بقوله هذا من قرأ ما في القرآن من الامر أو النهي فلا يتحولن عنه الى قراءة ما فيه من الوعد أو الوعيد ومن قرأ ما فيه من الوعد أو الوعيد فلا يتحولن عنه الى قراءة ما فيه من القصص أو المثل. وانما عنى ان من قرأ بحرفه وحزفه قراءته فلا يتحولن عنه الى غيره رغبة عنه ومن قرأ بحرف أبي أو بحرف زيد أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الاحرف السبعة فلا يتحولن عنه الى غيره رغبة عنه فان الكفر ببعضه كفر بجميعه. والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعه يعني بالحزف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الاحرف السبعة

وروى الاعمش عن أنس أنه قرأ هذه الآية ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا. فقال له بعض القوم يا أبا حمزة انما هي أقوم فقال أقوم وأصوب وأهدى واحد.

وحدث أيوب عن محمد انه قال نبئت أن جبرائيل وميكائيل اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبرائيل اقرأ القرآن على حرفين فقال له ميكائيل استزده فقال اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف فقال له ميكائيل استزده قال حتى بلغ سبعة أحرف قال محمد لا تختلف في حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي هو كقولك تعال وهلم وأقبل قال قال وفي قراءتنا ان كانت الا صيحة واحدة. وفي قراءة ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة

قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فاذا كان تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف عندك ما وصفت. فأوجدنا حرفا في كتاب الله مقروءا بسبع لغات فتحقق بذلك قولك. والاّ فان لم نجد ذلك كذلك كان معلوما بعدمكه صحة قولك من زعم أن تأويل ذلك أنه نزل

بسبعة معان الامر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثـل وفساد قولك أو تقول في ذلك أن الاحرف السبعة لغات في القرآن سبع متفرقة في جميعه من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الالسن كما قال بعض من لم يمعن النظر فى ذلك فتصير بذلك الى القول بما لا يجهـل فساده ذو عقل ولا يلتبس خطؤه على ذي لب . لان الأحرف السبعة اذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن فغير موجب حرف من ذلك اختلافا بين تاليه لان كل تال أنما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ما هو به في المصحف وعلى ما أنزل . واذا كان ذلك كذلك بطل وجه اختلاف الذين روي عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة وفسد معنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم كل قارئ منهـم أن يقرأه على ما علم اذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافا في لفظ ولا افتراقا في معنى ، وكيف يجوز أن يكون هناك اختلاف بين القوم والمعلم واحد غير ذي أوجه . وفي صحة الخبر عن الذين روي عنهم الاختـلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم وصفناه أبين الدلالة على فسـاد القول بأن الاحرف السبعة انما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني مع أن المتدبر اذا تدبر قول هذا القائل في تأويله قول النبيّ صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف وادعاءه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ثم جمع بين قيله ذلك واعتلاله لقيله بالاخبار التي رويت عمن روى ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال هو بمنزلة قولك تعال وهلم وأقبل وان بعضهم قال هو بمنزلة قراءة عبد الله الا زقية وهيَ في قراءتنا الا صيحة وما أشبه ذلك من حججه علم ان حججه مفسدة في ذلك مقالته وأن

مقالته فيه مضادة حجته اذ الذي نزل به القرآن عنده احدى القراءتين اما صيحة واما زقية واما تعال أو أقبل أو هلم لا جميع ذلك لان كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن غير الكلمة او الحرف الذي فيه اللغة الاخرى واذا كان ذلك كذلك بطل اعتلاله لقوله بقول من قال ذلك بمنزلة هلم وتعال وأقبل لان هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة يجمعها في التأويل معنى واحد وقد أبطل قائل هذا القول الذي حكينا عنه قوله اجتماع اللغات السبع في حرف واحد من القرآن. فقد تبين بذلك افساده حجته لقوله بقوله وافساده قوله بحجته. قيل له ليس القول في ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني كقول القائل هلم وأقبل وتعال والي ونحو ذلك مما تختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني

فان قال ففي أي موضع من كتاب الله نجد حرفا واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الالفاظ متفقات المعنى فنسلم لك صحة ما ادعيت من التأويل في ذلك. قيل انا لم ندع أن ذلك موجود اليوم وانما أخبرنا أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف على نحو ما جاءت به الاخبار التي تقدم ذكرنا لها هو ما وصفنا دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك للعلل التي بينا

فان قال فما بال الاحرف الستة غير موجودة ان كان الامر في ذلك على ما وصفت وقد أقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم. أنسخت فرفعت فما

الدلالة على نسخها ورفعها أم نسيتهن الامة فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه أم ما القضية في ذلك . قيل لم تنسخ فترفع ولا ضيعتها الامة وهي مأمورة بحفظها ولكن الامة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الاحرف السبعة شاءت كما أمرت اذا هي حنثت في اليمين وهي موسرة أن تكفّر بأي الكفارات الثلاث شاءت اما بعتق أو اطعام أو كسوة فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير فيها بأي الثلاث شاء المكفر كانت مطيعة حكم الله مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله فكذلك الامة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخيرت في قراءته بأي الاحرف السبعة شاءت فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالاحرف الستة الباقية ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به

فان قيل وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون سائر الاحرف الستة الباقية، قيل ثبت عند رواة الاخبار أنه اجتمع في غزو اذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق فتذاكروا القرآن واختلفوا فيه حتى كاد تكون بينهم فتنة فركب حذيفة بن اليمان لما رأى اختلافهم في القرآن الى عثمان فقال ان الناس قد اختلفوا في القرآن حتى اني والله لاخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، ففزع عثمان لذلك فزعا شديدا ، فارسل الى حفصة فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها . فنسخ منها مصاحف وبعث بها الى الآفاق . وعزم على كل من عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه فاستوثقت له الامة على ذلك بالطاعة ورأت فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالاحرف

الستة التي عزم عليها امامها العادل في تركها طاعة منها له ونظرا منها لانفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها - حتى درست من الامة معرفتها - وتعفت آثارها - فلا سبيل لاحد اليوم الى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها لصحتها وصحة شيء منها ولكن نظرا منها لانفسها ولسائر أهل دينها ، فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الاحرف الستة الباقية

فان قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها - قيل ان أمره اياهم بذلك لم يكن أمرا ايجاب وفرض وانما كان امر اباحة ورخصة لان القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب ان يكون العلم بكل حرف من تلك الاحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراء الامة ، وفي تركهم فعل ذلك كذلك اوضح دليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد ان يكون في نقلة القرآن من الامة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الاحرف السبعة ، فاذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله بل كان الواجب عليهم من الفعل مافعلوا اذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للاسلام وأهله فكان القيام بفعل الواجب عليهم أولى بهم من فعل ما لو فعلوه كانوا الى الجناية على الاسلام وأهله أقرب منهم الى السلامة من ذلك

فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف الى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزل لانه معلوم

أن الاحرف من حروف القرآن مما اختلفت القراء في قراءته بهذا المعنى يوجب المراء به كفر الماري به في قول أحد من علماء الامة

فان قال لنا قائل فهل لك من علم بالالسن السبعة التي نزل بها القرآن وأي الالسن هي من ألسن العرب قلنا أما الالسن الستة التي قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا الى معرفتها لأنا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الاسباب التي قدمنا ذكرها

وقد قيل أن خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة

القول فى البيان

عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة

روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الكتاب الاول نزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف . زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا ،

وروي عن أبي قلابة انه قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل

وروي عن أبي بن كعب أنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي قال اقرأه على حرفين فقلت اي رب خفف عن أمتي فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة كلها شاف كاف

وهذه الاخبار متقاربة المعاني

فأما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كان الكتاب الاول نزل على حرف واحد ونزل القرآن على سبعة أحرف فهو ان كل كتاب تقدم كتابنا من الكتب المنزلة على نبي من أنبياء الله صلوات الله عليهم فانما نزل بلسان واحد متى حول الى غير اللسان الذي نزل به كان ذلك له ترجمة وتفسيرًا لا تلاوة له على ما أنزله الله ، وأنزل كتابنا بألسن سبعة بأي تلك الالسن السبعة تلاه التالي كان له تاليا على ما أنزله الله لا مترجما ولا مفسرا حتى يحوله عن تلك الالسن السبعة الى غيرها فيصير فاعل ذلك حينئذ اذا أصاب معناه له مترجما كما كان التالي لبعض الكتب التي أنزلها الله بلسان واحد اذا تلاه بغير اللسان الذي أنزل به له مترجما لا تاليا على ما أنزله الله به

وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الكتاب الاول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب فانه صلى الله عليه وسلم عنى بقوله نزل الكتاب الاول من باب واحد والله أعلم ما نزل من كتب الله على من أنزله من أنبيائه خاليا من الحدود والاحكام والحلال والحرام كزبور داود الذي انما هو تذكير ومواعظ . وانجيل عيسى الذي هو تمجيد ومحامد وحض على الصفح والاعراض دون غيرها من الاحكام والشرائع وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعهن كتابنا الذي خص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته فلم يكن المتعبدون باقامته يجدون لرضا الله تعالى ذكره مطلبا ينالون به الجنة و يستوجبون به القربة الا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهم وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب

وخص الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته بأن أنزل عليهم كتابه

على أوجه سبعة من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله ويدركون بها الفوز بالجنة إذا أقاموها فلكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة الذي نزل منه القرآن . لان العامل بكل وجه من أوجهه السبعة عامل على باب من أبواب الجنة وطالب من قبله الفوز بها فالعمل بما أمر الله جل ذكره في كتابه باب من أبواب الجنة . وترك ما نهى الله عنه فيه باب آخر ثان من أبوابها وتحليل ما أحل الله فيه باب ثالث من أبوابها . وتحريم ما حرم الله فيه باب رابع من أبوابها . والايمان بمحكمه المبين باب خامس من أبوابها . والتسليم لمتشابهه الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن خلقه والاقرار بأن كل ذلك من عند ربه باب سادس من أبوابها . والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بعظاته باب سابع من أبوابها . فجميع ما في القرآن من حروفه السبعة وأبوابه السبعة التي نزل منها جعله الله لعباده الى رضوانه هاديا ولهم الى الجنة قائدا . انتهى ما قاله الطبري في ذلك ملخصا

وقال ابن عبد البر أنكر بعض أهل العلم ان يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الامر لأن ذلك من لغته التي طبع عليها . وأيضا فان عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي وقد اختلفت قراءتهما ومحال ان ينكر عليه عمر لغته

القول الثالث ان المراد بالسبعة الاحرف سبع لغات متفرقة في القرآن لسبعة أحياء من قبائل العرب مختلفة الالسن .

والى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وثعلب وأبو حاتم السجستاني وغيرهم وقال الازهري في التهذيب انه المختار

وقد اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثروا فقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم استرضع فيهم وهو يخالط في اللسان كنانة وهذيلا وثقيفا وخزاعة وأسدا وضبة وألفافها لقربهم من مكة وتكرارهم اليها ثم من بعد هذه تميما وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة العرب

وقال قاسم بن ثابت ان قلنا من هذه الاحرف لقريش . ومنها لكنانة . ومنها لاسد . ومنها لهذيل . ومنها لتميم . ومنها لضبة والفافها . ومنها لقيس لكان قد أتى على قبائل مضر في قراءات سبعة تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن وهذه الجملة هي التي اليها انتهت الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل .

قال أبو عمر بن عبد الله وأنكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن لان فيها شواذّ لا يقرأ بها مثل كشكشة قيس وعنعنة تميم فكشكشة قيس انهم يجعلون كاف المؤنث شينا فيقولون في جعل ربك تحتك سريا . ربش تحتش . وعنعنة تميم انهم يقولون في ان عن فيقرؤون عسى الله عن يأتي بالفتح . وبعضهم يبدل السين تاء فيقول في الناس النات . وهذه لغات يرغب بالقرآن عنها ؛

وما نقل عن عثمان من انه قال نزل القرآن بلسان مضر معارض بما نقل عنه من أنه قال القرآن نزل بلسان قريش . وهذا أثبت عنه لانه من رواية ثقات أهل المدينة

وقال أبو عبيد اللغات السبع مفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وغيرهم .

قال وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا

وجاء عن أبي صالح عن ابن عباس انه قال نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن . وهم خمس قبائل أو أربع . منها سعد بن بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم . وجشم بن بكر ونصر ابن معاوية وثقيف ،

وهؤلاء كلهم من هوازن . ويقال لهم عليا هوازن ، ولهذا قال أبو عمرو ابن العلاء أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم قال أبو حاتم وخصّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب لقرب جوارهم من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومنزل الوحي قال وأحب الالفاظ واللغات الينا ان يُقرأ بها لغاتُ قريش ثم أدناهم من بطون مضر

وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس انه قال نزل القرآن بلغة الكعبين قيل وكيف ذاك قال لان الدار واحدة يعني ان خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم

وقال أبو حاتم نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتيم الرباب والازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر وأنكر ذلك ابن قتيبة وغيره وقالوا لم ينزل القرآن الا بلغة قريش لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه

واستبعد بعض العلماء دلالة هذه الآية على ذلك الا انه عند امعان النظر يتبين قوة قول من قال ان القرآن لم ينزل الا بلغة قريش وذلك لامرين

أحدهما انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم

والثاني انها أفصح اللغات ، ولنذكر لك شيئا ممـا قيل في قريش وفصاحتها قال ابن فارس في فقه اللغة :—

باب القول في أفصح العرب

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقزوين . قال حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس الخشكي . حدثنا اسماعيل بن أبي عبيد الله قال أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة . وذلك ان الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمدًا صلى الله عليه وسلم . فجعل قريشا قطان حرمه وولاة بيته . فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش في أمورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم ، ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها أهل الله لانهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام لم تشبهم شائبة ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة . فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفا . اذ جعلهم رهط نبيه الادنين وعترته الصالحين . وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب . ألاترى انك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرفية قيس ولا كشكشة أسد . ولا كسكسة ربيعة ولا الكسر تسمعه من أسد وقيس مثل تِعلمون ونِعلم ومثل شِعير وبِعير

وقال الفراء كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ .

ثم ذكر ما يوجد في لغات غيرهم من مستبشع اللغات كالكشكشة والكسكسة والعنعنة وغير ذلك وأطال

وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف: كانت قريش أجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد. فان هؤلاء هم الذين عنهم أخذ اكثر ما أخذ ومعظمه. وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف. ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. ولم عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم. فأنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط. ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية. ولا من تغلب واليمن فأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ولا من عبد القيس وازدعمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس. ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة. ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة. ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم. ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت ألسنتهم. والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب هـ

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرح البخاري في باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب لقول الله تعالى قرآنا عربيا ـ بلسان عربي مبين : وأما نزوله بلغة قريش فمذكور في الباب من قول عثمان ، وقد أخرج أبو داود من طريق كعب الانصاري ان عمر كتب الى ابن مسعود ان القرآن نزل بلسان قريش ـ فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل ، وأما عطف العرب عليه فمن عطف العام على الخاص لان قريشا من العرب ، وأما ما ذكره من الآيتين فهو حجة لذلك ، وقد أخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق أخرى عن عمر قال اذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلسان مضر اه ومضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان ـ واليه تنتهي انساب قريش وقيس وهذيل وغيرهم ، وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني معنى قول عثمان نزل القرآن بلسان قريش أي معظمه ، وانه لم تقم دلالة قاطعة على ان جميعه بلسان قريش فان ظاهر قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا انه نزل بجميع ألسنة العرب ـ ومن زعم انه أراد مضر دون ربيعة أو هما دون اليمن أو قريشا دون غيرهم فعليه البيان ـ لان اسم العرب يتناول الجميع تناولا واحدا ، ولو ساغت هذه الدعوى لساغ للآخر أن يقول نزل بلسان بني هاشم مثلا لانهم أقرب نسبا الى النبي صلى الله عليه وسلم من سائر قريش ، وقال أبو شامة يحتمل أن يكون قوله نزل القرآن بلسان قريش أي في ابتداء نزوله ثم أبيح ان يقرأ بلغة غيرهم كما سيأتي تقريره في باب انزل القرآن على سبعة أحرف . اه

وتكميلته ان يقول انه نزل أولا بلسان قريش أحد الاحرف السبعة ثم نزل باقي الاحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلا وتيسيرا كما سيأتي بيانه. فلما جمع عثمان الناس علي حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولا بلسانه

أولى الاحرف لحمل الناس عليه لكونه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ولما له من الاولية المذكورة. وعليه يحمل كلام عمر لابن مسعود أيضا ه

وقال بعض العلماء ان القرآن كله نزل بلغة قريش غير أن قريشا دخل في لغتهم شيء من لغات غيرهم من قبائل العرب مما اختاروه منها فصار ذلك من لغتهم و بذلك يرتفع الخلاف بين الفريقين

ونظير هذا القول ما قاله أبو عبيد في المعرب كالسجل والقسطاس والجبت وذلك ان بعض العلماء ذهب الى انه قد وقع في القرآن ألفاظ منها ما هو بلسان الفرس ومنها ما هو بلسان غيرهم كالروم والحبش

وأنكر بعض العلماء ذلك وأعظم هذا القول وأكبره وقال ليس في القرآن شيء من كلام العجم وهو كله بلسان عربي قال الله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين

وقال أبو عبيد والصواب من ذلك عندي والله أعلم مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك ان هذه الحروف وأصولها عجمية كما قال الفقهاء الا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال انها عجمية فهو صادق

هذا وقد اعترض على القول الثالث وهو ان المراد بالسبعة الاحرف سبع لغات متفرقة في القرآن لسبعة احياء من قبائل العرب مختلفة الالسن بأن الامر لو كان كذلك لم يقع اختلاف بين التالين لان كل لغة من اللغات السبع عند القائلين بهذا القول في كلمة من القرآن غير الكلمة التي فيها اللغة الاخرى

ويوضح لك مرادهم قول بعضهم اللغات السبع مفرقة في القرآن فبعضه

بلغة قريش و بعضه بلغة هذيل و بعضه بلغة هوازن و بعضه بلغة اليمن وغيرهم و بعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا وكأن القائلين به لم يمعنوا النظر في مورد قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ماتيسر منه. وهذا الاعتراض أورده الطبري وقد ذكرنا آنفا ما قاله في ذلك على طريق البسط.

القول الرابع ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أنواع من الكلام كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن وقد اختلف القائلون به في تعيين السبعة. والمشهور في ذلك قول من قال انها أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال واحتجوا على ذلك بما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله. وحرموا حرامه. وافعلوا ماأمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه. واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه. وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا. أخرجه أبو عبيد وغيره

قال في فتح الباري قال ابن عبد البر هذا حديث لا يثبت لانه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ولم يلق ابن مسعود وقد رده قوم من أهل النظر منهم أبو جعفر أحمد بن أبي عمران. قلت وأطنب الطبري في مقدمة تفسيره في الرد على من قال به. وحاصله انه يستحيل ان يجتمع في الحرف الواحد هذه الاوجه السبعة، وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود. وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري عن أبي سلمة مرسلا وقال هذا مرسل جيد

ثم قال ان صح فمعنى قوله في هذا الحديث سبعة أحرف أي سبعة أوجه كما فسرت في الحديث. وليس المراد الاحرف السبعة التي تقدم ذكرها في الاحاديث الاخرى لان سياق تلك الاحاديث يأبى حملها على هذا بل هي ظاهرة في ان المراد ان الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة الى سبعة تهوينا وتيسيرا، والشيء الواحد لا يكون حراما وحلالا في حالة واحدة ه

وقال ابن عطية: هذا القول ضعيف لان هذه لاتسمى أحرفا وأيضا فالاجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا في تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة

وقال الماوردي هذا القول خطأ لانه صلى الله عليه وسلم أشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقدأجمع المسلمون على تحريم ابدال آية أمثال بآية أحكام، وقال أبو شامة يحتمل أن يكون التفسير المذكور للابواب لا للاحرف أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه أي أنزله الله على هذه الاصناف لم يقتصر منها على صنف واحد كغيره من الكتب؛ وقد اوردنا في اثناء بيان القول الثاني ما قاله الطبري في معنى هذا الحديث وما يتعلق به ملخصا

وهذه الاقوال الاربعة هي أشهر ماقيل في معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف وأظهرها القول الاول وهو أن المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه يقع الاختلاف بها في القراءة مع عدم التضاد في المعنى

وقال بعض العلماء ان المراد بالسبعة الاحرف سبع قراءات وحكي عن الخليل بن أحمد واستضعفه بعضهم جدا وكأنه لم يشعر بأنه بمعنى القول الاول

غير أنه عبر عنه بعبارة أخرى

القول الخامس ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه في خواتم الآي مثل سميعا حكيما وعليما حكيما

ودليل القائلين به ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ان قلت غفورا رحيما أو قلت عزيزا حكيما فالله كذلك ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة وقال ابن عبد البر انما اراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا يكون في شيء منها معنى وضده ولا وجه يخالف معنى وجه خلافا ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده

وقال بعض العلماء هذه السبعة انما هي سبعة أوجه في أسماء الله تعالى واذا صحت هذه الرواية حملت على أنه مما نسخ . فانه لا يجوز للناس أن يبدلوا اسماً لله بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه

وكأن بعض الحفاظ ينكر صحة هذه الرواية فانه قال في اثبات ماذهب اليه من عدم جواز الرواية بالمعنى : وبرهان ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علم البراء بن عازب دعاءً وفيه ونبيك الذي أرسلت . فلما أراد البراء ان يعرض ذلك الدعاء على النبي صلى الله عليه وسلم قال ورسولك الذي أرسلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا . ونبيك الذي أرسلت ، فأمره عليه السلام أن لا يضع لفظة رسول في موضع لفظة نبي . وذلك حق لا يحيل معنى وهو عليه السلام رسول ونبي ، فكيف يسوغ للجهال المغفلين ان يقولوا انه عليه السلام كان يجيز أن يوضع في القرآن مكان عزيز حكيم غفور رحيم أو سميع عليم وهو يمنع من ذلك في دعاء ليس قرآنا . والله يقول مخبرا عن نبيه : ما يكون

لي أن أبدّله من تلقاء نفسي، ولا تبديل أكثر من وضع كلمة موضع أخرى.

القول السادس ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه.

أحدها التذكير والتأنيث كقوله ولا يقبل منها شفاعة. ولا تقبل

الثاني الجمع والتوحيد كقوله والذين هم لأماناتهم. ولأمانتهم

والثالث الاعراب كقوله ذو العرش المجيدِ والمجيدُ

والرابع التصريف كقوله يعكِفون ويعكُفون

والخامس اختلاف الادوات مثل لكن بالتخفيف والتشديد كقوله ولكنِ البرُّ ولكنَّ البرَّ

والسادس اختلاف اللغات في نحو المدّ والقصر. والهمز وتركه. والامالة والتفخيم. والادغام والاظهار

السابع تغيير اللفظ من المتكلم الى الغائب ونحو ذلك كقوله ندخله ويدخله

القول السابع ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه في أداء التلاوة وكيفية النطق بالكلمات التي فيها من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق وامالة واشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتليين لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه. وحكي هذا القول عن القراء

والاقوال في هذه المسألة كثيرة وغالبها بعيد عن الصواب وكأنّ القائلين بذلك ذهلوا عن مورد حديث أنزل القرآن على سبعة احرف فقالوا ما قالوا

وقال الحافظ ابو حاتم بن حبان البستيّ: اختلف اهل العلم في معنى

الاحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا فذكرها ونحن نذكر منها اربعة عشر قولا : —

الاول - زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال

الثاني - وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج

الثالث - محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص

الرابع سبع جهات لا يتعداها الكلام - لفظ خاص أريد به الخاص - ولفظ عام أريد به العام - ولفظ عام أريد به الخاص - ولفظ خاص أريد به العام ولفظ يستغني بتنزيله عن تأويله - ولفظ لا يعلم فقهه الا العلماء - ولفظ لا يعلم معناه الا الراسخون في العلم

الخامس - اظهار الربوبية وأثبات الوحدانية - وتعظيم الالوهية - والتعبد لله - ومجانبة الاشراك - والترغيب في الثواب - والترهيب من العقاب

السادس - سبع لغات منها خمس في هوازن واثنتان لسائر العرب

السابع - سبع لغات متفرقة لجميع العرب كل حرف منها لقبيلة مشهورة

الثامن - سبع لغات - لغة قريش - ولغة لليمن - ولغة لجرهم - ولغة لهوازن - ولغة لقضاعة - ولغة لتميم - ولغة لطيء

التاسع - لغة الكعبين كعب بن عمرو وكعب بن لؤي - ولهما سبع لغات

العاشر - اللغات المختلفة لاحياء العرب في معنى واحد مثل هلم وهات وتعالى وأقبل

الحادي عشر - همز وامالة وفتح وكسر وتفخيم ومد وقصر

الثاني عشر - أنها في أسماء الرب - مثل الغفور الرحيم السميع البصير العليم الحكيم

الثالث عشر هي آية في صفات الذات . وآية تفسيرها في آية أخرى . وآية بيانها في السنة الصحيحة . وآية في قصص الانبياء والرسل . وآية في خلق الاشياء . وآية في وصف الجنة . وآية في وصف النار

الرابع عشر . أنها آية في اثبات الصانع . وآية في اثبات وحدانيته . وآية في اثبات صفاته . وآية في اثبات رسله . وآية في اثبات كتبه . وآية في اثبات الاسلام . وآية في ابطال الكفر

وقد أوردها الحافظ جلال الدين بأسرها في الاتقان ثم قال قال ابن حبان فهذه خمسة وثلاثون قولا لاهل العلم واللغة في معنى انزال القرآن على سبعة أحرف وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة ويحتمل غيرها وقال الشرف المرسي : هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عمن نقلت ولا أدري لم خصّ كل واحد منهم هذه الاحرف السبعة بما ذكر مع ان كلها موجودة في القرآن فلا أدري معنى التخصيص . ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة . وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الذي في الصحيح . فانهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه وانما اختلفا في قراءة حروفه ، وقد ظن كثير من العوامّ ان المراد بها القراءات السبع وهو جهل قبيح ﻫ

وقال أبو جعفر محمد بن سعدان النحويّ هذا الحديث من المشكل الذي لا يدرى معناه لان الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة . ونحا نحوه الحافظ المذكور في حاشيته على سنن النسائيّ حيث قال بعد ذكره لحديث ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف: في المراد به أكثر من ثلاثين قولا حكيتها في الاتقان ، والمختار عندي انه من المتشابه الذي لا يدرى تأويله ﻫ

وقد أفاض في بيان معناه كثير من الفقهاء والقراء وأهل التفسير والحديث والكلام وغيرهم حتى ان بعضهم أفرده بالتصنيف منهم العلامة عبد الرحمن المعروف بأبي شامة وهو جدير بذلك

وقد رأيت ان أورد هنا على طريق التلخيص بعض ماذكره بعض العلماء الاعلام في ذلك لاشتماله على شيء مما لم يذكر من قبل

**

قال بعضهم اختلف الناس في معنى قول النبي عليه السلام ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف . فاقرؤوا ماتيسر منه . فقيل ان ذلك في الذي يقال على سبعة أوجه كأف ونحوه

وزعم قوم ان كل كلمة تختلف القراء فيها فانها على سبعة أوجه ويعرف بعض الوجوه بمجيء الخبر . ولا يعرف البعض منها اذا لم يأت بها خبر

وقال قوم ظاهر الحديث يوجب ان يكون في القرآن ما يقرأ على سبعة أوجه . فاذا وجد ذلك في كلمة أو كلمتين تم معنى الحديث

وزعم قوم ان المراد به انه أنزل على سبع لغات ويرد عليه ان لغة عمر وابي وابن مسعود كانت واحدة وقراءتهم مختلفة . وفي ذلك نظر . لان لغتهم ليست واحدة في كل شيء . فان ما استعملته قريش ومنهم عمر وما استعملته الانصار ومنهم أبي . وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود قد يختلف ، وذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله

وقد اختلف في القبائل السبع التي أنزل القرآن بلغاتها فقيل كلها من قبائل مضر وقيل غير ذلك

وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو العباس المبرد ان عرب اليمن من

القبائل التي انزل القرآن بلغاتهم والظاهر ان ذلك انما هو فيما استعمله أهل الحجاز من لغة أهل اليمن

وقال قوم معنى الحديث أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات والإعراب ، ومن تأمل أوجه القراءات وجدها سبعة هـ

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد تفسيره للسبعة الاحرف بسبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها : وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه بل المراد أن غاية ما انتهى اليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة الى سبعة ، فان قيل فانا نجد بعض الكلمات يقرأ على أكثر من سبعة أوجه . فالجواب أن غالب ذلك اما لا يثبت الزيادة واما أن يكون من قبيل الاختلاف في الاداء كما في المد والامالة ونحوها ، وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التسهيل والتيسير . ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة في الآحاد كما يطلق لفظ السبعين في العشرات والسبعمائة في المئين ولا يراد العدد المعين والى هذا جنح عياض ومن تبعه وذكر القرطبي عن ابن حبان أنه بلغ الاختلاف في معنى الاحرف السبعة الى خمسة وثلاثين قولا ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة وقال المنذري أكثرها غير مختار ولم أقف على كلام ابن حبان بعد تتبعي مظانه من صحيحه وسأذكر ما انتهى الي من أقوال العلماء في ذلك مع بيان المقبول منها والمردود ان شاء الله تعالى في آخر هذا الباب وقال بعد ذكره لقول النبي عليه السلام فاقرؤوا ما تيسر منه أي من المنزل : وفيه اشارة الى الحكمة في التعدد المذكور وأنه للتيسير على القارئ . وهذا يقوي قول من قال المراد بالاحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة لان لغة هشام وكذلك عمر لغة قريش ومع

ذلك فقد اختلفت قراءتهما ـ نبه على ذلك ابن عبد البر ، ونقل عن أكثر أهل العلم أن هذا هو المراد بالاحرف السبعة ، وذهب أبو عبيدة وآخرون الى أن المراد اختلاف اللغات وهو اختيار ابن عطية وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة وأجيب بأن المراد افصحها

وقال ابو حاتم السجستاني نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتيم الرباب والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر ـ واستنكره ابن قتيبة واحتج بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ـ فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش ـ وبذلك جزم أبو علي الاهوازي

وقال أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وغيرهم قال وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا

وقيل نزل بلغة مضر خاصة لقول عمر نزل القرآن بلغة مضر

وعين بعضهم فيما حكاه ابن عبد البر السبع من مضر أنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش ـ فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الالفاظ والاعراب ـ ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته الى لغة أخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد ـ كل ذلك مع اتفاق المعنى ـ وعلى هذا يتنزل اختلافهم في القراءة كما تقدم وتصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا

منهم، قلت: وتتمة ذلك أن يقال ان الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهي أي ان كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته بل المراعى في ذلك السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم و يشير الى ذلك قول كل من عمر وهشام في حديث الباب أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم - لكن ثبت عن غير واحد من الصحابة انه كان يقرأ بالمرادف ولو لم يكن مسموعاً له - ومن ثم أنكر عمر على ابن مسعود قراءته عتى حين أي حتى حين - وكتب اليه ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل، وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة، قال ابن عبد البر بعد ان أخرجه من طريق أبي داود بسنده يحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار لا أن الذي قرأ به ابن مسعود لا يجوز، قال واذا أبيحت قراءته على سبعة أوجه أنزلت جاز الاختيار فيما أنزل؛ قال أبو شامة ويحتمل أن يكون مراد عمر ثم عثمان بقولهما نزل بلسان قريش ان ذلك كان أول نزوله ثم ان الله تعالى سهله على الناس فجوز لهم أن يقرؤوه على لغاتهم على أن لا يخرج ذلك عن لغات العرب لكونه بلسان عربي مبين - فأما من أراد قراءته من غير العرب فالاختيار له أن يقرأه بلسان قريش لأنه الاولى - وعلى هذا يحمل ما كتب به عمر الى ابن مسعود لأن جميع اللغات بالنسبة الى غير العربي مستوية في التعبير فاذاً لا بد من واحدة فلتكن بلغة النبي صلى الله عليه وسلم وأما العربي المجبول على لغته فلو كلف قراءته بلغة قريش لعسر عليه التحول مع إباحة الله له أن يقرأه بلغته - و يشير الى هذا قوله في حديث أبي كما تقدم هون على أمتي وقوله ان أمتي لا تطيق ذلك - وكأنه انتهى عند السبع لعلمه أنه لا تحتاج لفظة من ألفاظه الى أكثر من ذلك العدد غالبا، وليس المراد

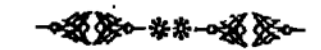
كما تقدم ان كل لفظة منه تقرأ على سبعة أوجه . قال ابن عبد البر وهذا مجمع عليه بل هو غير ممكن بل لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه الا الشيء القليل مثل عبد الطاغوت . وقد أنكر ابن قتيبة أن يكون في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه . ورد عليه ابن الانباري بمثل عبد الطاغوت . ولا تقل لهم أف . وجبريل ، ويدل على ما قرره انه أنزل بلسان قريش ثم سهل على الامة أن يقرؤوه بغير لسان قريش [ان] ذلك [وقع] بعد أن كثر دخول العرب في الاسلام فقد ثبت ان ورود التخفيف بذلك كان بعد الهجرة كما تقدم فى حديث أبي بن كعب أن جبريل لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند أضاةِ بني غِفار فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته فان أمتي لا تطيق ذلك . الحديث . أخرجه مسلم ،

وأضاة بني غفار هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همز وآخره تاء تأنيث هو مستنقع الماء كالغدير . وجمعه أضا كعصا وقيل بالمد والهمز مثل آناء وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب الى بني غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء لانهم نزلوا عنده ،

وحاصل ماذهب اليه هولاء أن معنى قوله أنزل القرآن على سبعة احرف أي أنزل موسعا على القارئ ان يقرأه على سبعة اوجه أي يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه كأنه قال أنزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة . وذلك لتسهيل قراءته اذ لو أخذوا بأن يقرؤوه على حرف واحد لشق عليهم كما تقدم . قال ابن قتيبة في أول تفسير المشكل له : كان من تيسير الله ان أمر نبيه ان يقرأ كل قوم بلغتهم . فالهذلي يقرأ عتى حين يريد حتى حين . والاسدي يقرأ تِعلمون بكسر أوله . والتميمي يهمز . والقرشي لا يهمز ، قال ولو

أراد كل فريق منهم أن يزول عن لغته وما جرى عليه لسانه طفلا وناشئا وكهلا لشق عليه غاية المشقة فيسر عليهم ذلك بمنه . ولو كان المراد ان كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه لقال مثلا أنزل سبعة أحرف . وانما المراد ان يأتي في الكلمة وجه او وجهان او ثلاثة او اكثر الى سبعة ؛ وقال ابن عبد البر انكر اكثر اهل العلم ان يكون معنى الاحرف اللغات لما تقدم من اختلاف هشام وعمر ولغتهما واحدة . قالوا وانما المعنى سبعة اوجه من المعاني المتفقة بالالفاظ المختلفة نحو أقبل وتعال وهلم ثم ساق الاحاديث الماضية الدالة على ذلك

انتهى ما أردنا نقله من فتح الباري ملخصا



الفصل الرابع

في جمع القرآن وترتيبه

كان القرآن ينزل شيئا فشيئا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة ما نزل منه وكان كثير من الصحابة يحفظونه في صدورهم غير أنه لم يكن في عهده مجموعا في موضع واحد

فلما حدثت وقعة اليمامة وقتل فيها كثير من القراء وكان ذلك في عهد أبي بكر الصديق خشي ان يذهب شيء من القرآن ان لم يجمع في موضع واحد فأمر بأن يجمع في الصحف .

ولم يزل الامر كذلك الى ان اشتد الخلاف بين كثير من الناس في بعض أوجه القراءة وأنكر بعضهم على بعض وذلك في عهد عثمان فأمر بنسخ تلك الصحف في المصاحف وأن يكتب بلسان قريش وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وعزم على الناس ان يتركوا القراءة بالاوجه المختلفة التي رخص لهم فيها في ابتداء الامر تسهيلا عليهم وان يقتصروا منها على الوجه الارجح فوافقوه على ذلك ورأوا السداد فيما فعل

ولنذكر ما قيل في هذا الامر : —

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت انه قال أرسل اليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبو بكر ان عمر أتاني . فقال ان القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن . واني أخشى ان يستحرّ القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن . واني أرى ان تأمر بجمع

القرآن . قلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال عمر هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك .
ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، قال زيد قال أبو بكر انك رجل شاب عاقل
لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فتتبع القرآن
فاجمعه ؛ فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به
من جمع القرآن . قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح
له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللّخاف وصدور
الرجال . حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدها
مع أحد غيره . لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم . حتى خاتمة
براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله . ثم عند عمر حياته . ثم
عند حفصة بنت عمر

وأخرج ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه ان أبا بكر قال
لعمر ولزيد اقعدا على باب المسجد . فمن جاءكما بشاهدين على شيء من
كتاب الله فاكتباه ، رجاله ثقات مع انقطاعه ، قال ابن حجر وكأن المراد
بالشاهدين الحفظ والكتاب ، وقال السخاوي في جمال القراء : المراد انهما
يشهدان على ان ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
أو المراد أنهما يشهدان على ان ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن قال أبو شامة
وكان غرضهم أن لا يكتب الا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم لا من مجرد الحفظ . قال ولذلك قال في آخر سورة التوبة لم أجدها مع
غيره أي لم أجدها مكتوبة مع غيره لانه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة

وقال الامام أبوعبد الله الحارث بن أسد المحاسبي في كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والاكتاف والعسب فانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا. وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر فجمعها جامع ور بطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء. قال: فان قيل كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال قيل لانهم كانوا يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فكان تزوير ما ليس منه مأمونا. وانما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه ،

وقد تقدم في حديث زيد أنه جمع القرآن من العُسب واللِّخاف وفي رواية والرقاع. وفى اخرى وقطع الاديم. وفي أخرى والاكتاف. وفي أخرى والاضلاع. وفي أخرى والاقتاب ؛

والعسب جمع عسيب وهو جريد النخل. كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، واللخاف بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الدقاق ، وقال الخطابي صفائح الحجارة ، والرقاع جمع رقعة وقدتكون من جلد أو ورق أو كاغد ، والاكتاف جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة. كانوا اذا جف كتبوا عليه ، والاقتاب جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .

وروى ابن وهب في موطأه عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال جمع ابو بكر القرآن في قراطيس. وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل ، وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف

ان يذهب من القرآن طائفة . فاقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف وهذا كله أصح مما وقع في رواية عُمارة بن غَزِية أن زيد بن ثابت قال فامرني أبو بكر فكتبته في قطع الاديم والعسب . فلما توفي أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده . وانما كان في الاديم والعسب أولا قبل أن يجمع في عهد أبي بكر ثم جمع في المصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الاخبار الصحيحة المترادفة

وهذا هو الجمع الاول ، وأما الجمع الثاني فقد كان في عهد عثمان فانه أمر بنسخ تلك الصحف في المصاحف وترتيب السور فيها على الوجه المشهور المتداول ، وأرسل الى كل أفق بمصحف ، وحمل الناس على القراءة بوجه واحد تلافيا لما نشأ في ذلك الوقت من الاختلاف في القراءة ،

روى البخاريّ في صحيحه عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة . فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم . ففعلوا . حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف الى حفصة ، فأرسل

الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ـ وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ه

وروي عن زيد أنه قال فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ـ فألحقناها في سورتها في المصحف ه

قال الحافظ ابن حجر وكان ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين وهو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أن أرمينية فتحت فيه

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق أبي قلابة انه قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال انتم عندي تختلفون ـ فمن نأى عني من الامصار أشد اختلافا ؛ فكأنه والله أعلم لما جاءه حذيفة وأعلمه باختلاف أهل الامصار تحقق عنده ما ظنه من ذلك ورأى الامر قد حزب فأمر بما أمر به

وقد جاء ان عثمان انما فعل ذلك بعد ان استشار الصحابة ـ أخرج ابن أبي داود باسناد صحيح من طريق سويد بن غفلة قال قال علي لاتقولوا في عثمان الا خيرا ـ فو الله مافعل الذي فعل في المصاحف الا عن ملأ منا ـ قال ماتقولون في هذه القراءة فقد بلغني ان بعضهم يقول ان قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفرا ـ قلنا فما ترى قال أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ـ فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا فنعم مارأيت

قال ابن التين وغيره : الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان ان جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لانه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سوره على ماوقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم مع اتساع اللغات فأدى ذلك الى تخطئة بعضهم بعضا فخشي من تفاقم الامر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم وان كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الامر ، فرأى ان الحاجة في ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في الانتصار : لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين . وانما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك . وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير . ولا تأويل اثبت مع تنزيل . ولا منسوخ تلاوتُه كُتب مع مثبت رسمُه ومفروض قراءتُه وحفظه خشيةَ دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد

وقال الحارث المحاسبي : والمشهور عند الناس ان جامع القرآن عثمان وليس كذلك . انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والانصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات . فاما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي انزل القرآن بها، فأما

السابق الى جمع الجملة فهو الصديق رضي الله عنـه . روي عن علي رضي الله عنه انه قال : رحم الله أبا بكر . هو أول من جمع [كتاب الله] بين اللوحين، ولم تحتج الصحابة في أيام أبي بكر وعمر الى جمعه على الوجه الذي جمعه عثمان لانه لم يحدث في أيامهما من الخلاف ماحدث في أيام عثمان، ولقد وفق لامر عظيم ورفع الاختلاف وجمع الكلمة وأراح الامة . قال : ولهذا لم ينكر عليه أحد ذلك بل رضوه وعدوه من مناقبه . حتى قال عليّ : لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل بها . انتهى ملخصا

وقد اختلف في عدة المصاحف التي أمر عثمان بكتابتها والمشهور أنها كانت خمسة أرسل أربعة منها الى الآفاق وأمسك عنده واحدا منها

وقال أبو عمرو الداني في المقنع أكثر العلماء على انها كانت أربعة أرسل واحدا منها للكوفة وآخر للبصرة وآخر للشام وترك واحدا عنده

وقال ابن أبي داود سمعت أبا حاتم السجستاني يقول كتب سبعة مصاحف فأرسل الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة والى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا

صلات تتعلق بهذا الفصل

الصلة الاولى

ترتيب الآيات توقيفي بلا شبهة

وقد ترادفت النصوص على ذلك ووقع الاجماع عليه

أما الاجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته . وعبارته . ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله

عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين

وأما النصوص فمنها ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال قلت لعثمان والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ـ قد نسختها الآية الاخرى فلم تكتبها أو تدعها ـ قال ياابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه

قال الحافظ ابن حجر قوله فلم تكتبها أو تدعها ـ كذا في الاصول بصيغة الاستفهام الانكاري كأنه قال لم تكتبها وقد عرفت أنها منسوخة أو قال لم تدعها أي تتركها مكتوبة ـ وهو شك من الراوي أي اللفظين قال ـ ووقع في الرواية الآتية بعد ما بين فلم تكتبها قال تدعها ياابن أخي ـ وفي رواية الاسماعيلي لم تكتبها وقد نسختها الآية الاخرى وهو يؤيد التقدير الذي ذكرته ـ وله من رواية أخرى قلت لعثمان هذه الآية والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج قال نسختها الآية الاخرى قلت تكتبها أو تدعها قال يا ابن أخي لا أغير منها شيئا عن مكانه ـ وهذا السياق أولى من الذي قبله ـ وأو للتخيير لا للشك ، وفي جواب عثمان هذا دليل على ان ترتيب الآي توقيفي وكأن عبدالله بن الزبير ظن ان الذي ينسخ حكمه لا يكتب فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقيف

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ـ فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدة فكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها

كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منهـا - فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم - ووضعتها في السبع الطوال

ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء

ومنها مارواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعا من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال - وفي لفظ عنده من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف

ومنها مارواه البخاري عن أبي مسعود أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليـلة كفتاه ، والآيتان هما آمن الرسول الى آخر السورة وآخر الآية الاولى المصير ومن ثم الى آخر السورة آية واحدة - وأبو مسعود هو عقبة بن عمرو البدريّ وقد وقع في رواية بعضهم بدله ابن مسعود وهو تصحيف - والصواب أبو مسعود وهذا الحديث مشهور به وعنه خرجه مسلم والناس

ومن النصوص الدالة على ذلك اجمالا ماثبت من قراءته صلى الله عليه وسلم لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء - ففي صحيح مسـلم عن حذيفة أنه قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليـلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى - فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران - الحديث.

وكسورة الاعراف ففي صحيح البخاري انه قرأها في المغرب

وكسورة الم تنزيل ـ وهل أتى على الانسان ـ ففي الصحيحين أنه كان يقرأها في صبح الجمعة

وكسورة والنجم ففي الصحيح انه قرأها بمكة على الكفار وسجد في آخرها

وكسورة اقتربت ففي صحيح مسلم أنه كان يقرأها مع ق في العيد

وكسورة الجمعة والمنافقون ففي صحيح مسلم انه كان يقرأ بهما في صلاة الجمعة

وكسورة والمرسلات ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار اذ نزلت عليه والمرسلات فتلقيناها من فيه وان فاه لرطب بها اذ خرجت حية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم اقتلوها قال فابتدرناها فسبقتنا قال فقال وقيت شركم كما وقيتم شرها

وكسور شتى من المفصل

وقال مكي وغيره : ترتيب الآيات في السور هو بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم ـ ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار : الذي نذهب اليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر باثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وانه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه ـ وان ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آي السور لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر منه مقدم ـ وان الامة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها

كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة وانه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب سوره وأن يكون قد وكل ذلك الى الامة بعده قال : وهذا الثاني أقرب ، وأخرج عن ابن وهب انه قال سمعت مالكا يقول انما الف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم

وقال ابن الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها انما كان بالوحي - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف

الصلة الثانية

اختلف في ترتيب السور على ماهو عليه الآن - على ثلاثة أقوال

القول الاول انه كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم

القول الثاني انه كان باجتهاد من الصحابة

القول الثالث ان ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وترتيب بعضها كان باجتهاد من الصحابة

وقد ذهب جمهور العلماء منهم مالك والقاضي أبو بكر بن الطيب فيما اعتمده واستقر عليه رأيه من قوليه الى القول الثاني

وذهبت طائفة منهم الى القول الاول

قال أبو بكر بن الانباري أنزل الله القرآن كله الى سماء الدنيا - ثم فرقه في بضع وعشرين سنة - فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر ويقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ،

فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف - كله عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن

وقال أبو جعفر النحاس المختار ان تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : وانما جمع في المصحف على شيء واحد

وقال ابن الحصار ترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها انما كان بالوحي

ومال القاضي ابو محمد بن عطية الى القول الثالث فقال ان كثيرا من السور قد علم ترتيبها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كالسبع الطوال والحواميم والمفصّل وان ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الامر فيه الى الامة بعده ، وقال أبو جعفر ابن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية - ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران - رواه مسلم - وكحديث سعيد بن خالد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبع الطوال في ركعة رواه ابن أبي شيبة في مصنفه - وفيه انه عليه السلام كان يجمع المفصل في ركعة - وروى البخاري عن ابن مسعود انه قال في بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء انهن من العتاق الاول وهن من تلادي - فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها - وفي صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين

وقال أبو الحسين احمد بن فارس في كتاب المسائل الخمس : جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة رضي الله عنهم ، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فذلك شيء تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل

الصلة الثالثة

في أن الاحرف السبعة هل هي مجموعة في المصحف أم لا

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري قال أبو شامة : وقد اختلف السلف في الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن هل هي مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم أو ليس فيه الأحرف واحد منها ـ مال ابن الباقلاني الى الاول ـ وصرح الطبري وجماعة بالثاني ـ وهو المعتمد ـ

وقد أخرج ابن أبي داود في المصاحف عن أبي الطاهر بن أبي السرح قال سألت ابن عيينة عن اختلاف قراءة المدنيين والعراقيين هل هي الاحرف السبعة قال لا ـ وانما الاحرف السبعة مثل هلم وتعال وأقبل ـ أيّ ذلك قرأت اجزأك ، قال وقال لي ابن وهب مثله ، والحق ان الذي جمع في المصحف هو المتفق على انزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم وفيه بعض ما اختلفت فيه الاحرف السبعة لا جميعها كما وقع في المصحف المكي تجري من تحتها الانهار ـ وفي غيره بحذف من ـ وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الامصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض وعدة هاءات وعدة لامات ونحو ذلك ـ وهو محمول على أنه نزل بالامرين معا وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته لشخصين أو أعلم بذلك شخصا واحدا وأمره باثباتهما على الوجهين ـ وماعدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوّزت به توسعة على الناس وتسهيلا ـ فلما آل الحال الى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان وكفر بعضهم بعضا اختاروا الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته وتركوا الباقي

الفصل الخامس في القراءات السبع

ليس المراد بالقراءات السبع الاحرف السبعة التي ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل عليها . وانما المراد بها القراءات المنقولة عن الائمة السبعة المعروفين عند القراء . وهي داخلة في الاحرف السبعة المذكورة

ولم تكن القراءات السبع متميزة من غيرها حتى قام الامام أبو بكر أحمد ابن موسى بن العباس بن مجاهد وكان على رأس الثلاث المائة ببغداد . فجمع قراءاتٍ سبعةٍ من مشهوري أئمة الحرمين والعراقين والشام . وهم نافع . وعبد الله بن كثير . وأبو عمرو بن العلاء . وعبد الله بن عامر . وعاصم . وحمزة . وعلي الكسائيّ

وقد توهم بعض الناس أن قراءات السبعة هي الاحرف السبعة وليس الامر كذلك . والذي أوقع هؤلاء في هذه الشبهة انهم سمعوا ان القرآن أنزل على سبعة أحرف وسمعوا قراءات السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار اليها .

وقد لام كثير من العلماء المتقدمين ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة لما فيه من الايهام وقالوا ألا اقتصر على ما دون هذا العدد أو زاد عليه أو بين مراده منه ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة

قال أحمد بن عمار المهدويّ لقد فعل مسبّع هذه السبعة ما لا ينبغي له وأشكل الامر على العامة بايهامه كل من قل نظره ان هذه القراءات هي المذكورة في الخبر . وليته اذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة .

ووقع له أيضا في اقتصاره من رواة كل امام على راويين أنه صار من سمع قراءة راوٍ ثالث غيرهما أبطلها. وقد تكون أشهر وأصحّ وأظهر. وربما بالغ من لا يفهم فخطّأ أو كفر

وقال الاستاذ اسماعيل بن ابراهيم بن محمد القراب في الشافي: التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة وانما هو من جمع بعض المتأخرين لم يكن قرأ بأكثر من السبع فصنف كتابا وسماه كتاب السبعة فانتشر ذلك في العامة. وتوهموا أنه لا تجوز الزيادة على ما ذكر في ذلك الكتاب لاشتهار ذكر مصنفه. وقد صنف غيره كتبا في القراءات بعده. وذكر لكل امام من هؤلاء الائمة روايات كثيرة وأنواعا من الاختلاف ولم يقل أحد أنه لا تجوز القراءة بتلك الروايات من أجل أنها غير مذكورة في كتاب ذلك المصنف، ولو كانت القراءة محصورة بسبع روايات لسبعة من القراء لوجب أن لا تؤخذ عن كل واحد منهم الا رواية واحدة. وهذا لا قائل به

وقال الامام أبو محمد مكي: قد ذكر الناس من الائمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجلّ قدرا من هؤلاء السبعة. على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة واطّرحهم. قد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر وزاد نحو عشرين رجلا من الائمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة. وكذلك زاد الطبريّ في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلا. وكذلك فعل أبو عبيد واسماعيل القاضي. فكيف يجوز أن يظنّ ظانّ أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها. هذا تخلف عظيم. أكان ذلك بنص من النبيّ صلى الله عليه وسلم أم

كيف ذلك ، وكيف يكون ذلك والكسائي أنما لحق بالسبعة بالامس في أيام المأمون وغيره . وكان السابع يعقوب الحضرمي . فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة ونحوها الكسائي في موضع يعقوب

وقد نسب بعض الناس الى ابن مجاهد أنه كان يتوهم ان هذه القراءات السبع هي الاحرف السبعة المذكورة في الحديث وهو خطأ . والغريب في ذلك الاقدام على نسبة مثل هذا الوهم الى مثل هذا الامام وقد بالغ صاحبه أبو طاهر بن أبي هاشم في الرد على من نسب اليه ذلك

فوائد تتعلق بالقراءات

الفائدة الاولى

وهي في الائمة الذين تنسب اليهم القراءات السبع ورواتهم

الائمة الذين تنسب اليهم القراءات السبع سبعة

(الاول) منهم نافع بن عبد الرحمن المدنيّ . أخذ عن سبعين من التابعين منهم أبو جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج

وله راويان يرويان عنه بغير واسطة . أحدهما قالون وهو عيسى بن مينا . وثانيهما ورش وهو عثمان بن سعيد المصري

(الثاني) عبدالله بن كثير المكيّ . أخذ عن عبدالله بن السائب المخزوميّ الصحابيّ

وله راويان يرويان عنه بوسائط . أحدهما البزّي . وهو أحمد بن محمد المكيّ ، وثانيهما قنبل وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي المكي .

(الثالث) أبو عمرو بن العلاء البصري المازني . أخذ عن جماعة من التابعين منهم ابن كثير ومجاهد

وله راويان يرويان عنه بواسطة يحيى بن المبارك اليزيدي . أحدهما الدوريّ . وهو أبو عمر حفص بن عمر . وثانيهما السوسي . وهو أبو شعيب صالح بن زياد

(الرابع) عبدالله بن عامر اليحصبي ولد في اليمن وانتقل منها الى دمشق من بلاد الشام وكان من التابعين . أخذ عن أبي الدرداء

وله راويان يرويان عنه بوسائط . أحدهما هشام بن عمار . وثانيهما ابن ذكوان . وهو عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان

(الخامس) عاصم بن أبي النجود الكوفي . وكان من التابعين . أخذ عن عبدالله بن حبيب السلمي وزر بن حبيش الاسدي . وهما أخذا عن عليّ وابن مسعود

وله راويان أخذا عنه من غير واسطة . أحدهما حفص بن سليمان الاسدي الكوفي وثانيهما أبو بكر شعبة بن عياش الكوفي

(السادس) حمزة بن حبيب الزيات الكوفي . أخذ عن عاصم والاعمش وغيرهما.

وله راويان يرويان عنه بواسطة سليم . أحدهما خلف بن هشام البزار أحد الائمة العشرة وثانيهما خلاد بن خالد الكوفي

(السابع) علي بن حمزة الكوفي المعروف بالكسائي . أخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش

وله راويان يرويان عنه بغير واسطة . أحدهما أبو الحارث الليث بن خالد، وثانيهما أبو عمر حفص بن عمر الدوري وهو أحد الراويين عن أبي عمرو بن العلاء

﴿ تنبيه ﴾

ان لكل واحد من الائمة السبعة رواة كثيرين من أهل الديانة والامانة والضبط والاتقان الا ان ابن مجاهد اقتصر منهم على من ذكر هنا تقريبا لامر القراءات على الراغبين فيها فتابعه الناس على ذلك

الفائدة الثانية

وهي في الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه

الخلاف ان كان لاحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت الروايات والطرق عنه فهو قراءة . وان كان للراوي عنه فرواية . أو لمن بعده فنازلا فطريق . وما كان على غير هذه الصفة مما هو راجع الى تخيير القارئ فيه فوجه

مثال ذلك اثبات البسملة بين السورتين فانه يقال فيه هو قراءة ابن كثير ومن معه . ورواية قالون عن نافع . وطريق الاصبهاني عن ورش

ومثال الاوجهِ الاوجهُ الثلاثة الواقعة في الوقف على العالمين فانه يجوز فيه لجميع القراء الاشباع والتوسط والقصر . أما الاشباع فلاجتماع الساكنين . وأما التوسط فلاجتماع الساكنين مع ملاحظة كونه عارضا . وأما القصر فلعدم الاعتداد بذلك لكونه عارضا . ويقاس على ذلك جميع ماماثله

﴿ تنبيه ﴾

ليس للقارئ ان يدع شيئا من القراءات والروايات والطرق فان أخل بشيء من ذلك كان نقصا في روايته

وأما الاوجه فليست كذلك اذ هي على سبيل التخيير . فأي وجه أتى به القارئ أجزأه في تلك الرواية ولم يكن مخلا بشيء منها . فلا حاجة لجمعها في موضع واحد بلا داع

ومن ثم كان بعض المقرئين يأخذ بالاقوى عنده ويجمل الباقي مأذونا فيه . وبعضهم كان لا يلتزم شيئا بل يترك القارئ يقرأ بما شاء منها . وبعضهم كان يقرأ بواحد في موضع وبآخر في غيره يتجمع الجميع بالرواية والمشافهة . وبعضهم كان يجمعها في أول موضع وردت فيه أو موضع ما من المواضع ، وأما جمعها في كل موضع ففيه تكلف لا داعي اليه وانما ساغ الجمع بين الاوجه في نحو التسهيل في وقف حمزة لتدريب القارئ المبتدئ عليها ليعتاد لسانه على التلفظ بها من غير كلفة ولذلك لا يكلف من اتقنها بجمعها في كل موضع

الفائدة الثالثة

وهي في مأخذ القراءات وسبب اختلافها

قال ابن أبي هاشم : أن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها ان الجهات التي وجهت اليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة . وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل . قال فثبت أهل كل ناحية على ماكانوا تلقوه سماعا عن الصحابة بشرط موافقة الخط وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لامر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الامصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة هـ. وقد ظن بعض الناس ان القراءات قد أخذت من المصحف وليس كذلك . لخلوه في أول الامر من النقط والشكل قال المازري ليس الاعراب وبابه في الاختلاف بين القراء مما يرجع فيه الى المصحف وقال غيره ان المصحف امام ودليل فيما يعينه من ترتيب بمنع التقديم والتأخير . ومن حصر بمنع الزيادة والنقصان وابدال لفظ بلفظ آخر وان كان بمعناه دون ما لا يعينه من كيفية النطق باللفظ

الفائدة الرابعة

وهي في ان القراءات توقيفية

قال الزركشي في البرهان : ان القراءات توقيفية وليست اختيارية خلافا لجماعة منهم الزمخشري حيث ظنوا انها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء . ورد على حمزة قراءة والارحام بالخفض . ومثل ماحكي عن أبي زيد والاصمعي ويعقوب الحضرمي انهم خطؤوا حمزة في قراءته وما أنتم بمصرخيّ بكسر الياء المشددة . . وكذلك انكروا على أبي عمرو ادغامه الراء في اللام في يغفر لكم . وقال الزجاج انه خطأ فاحش فلا يدغم الراء في اللام اذا قلت مر لي بكذا، لأن الراء حرف مكرر ولا يدغم الزائد في الناقص للاخلال به . فأما اللام فيجوز ادغامه في الراء ، ولو أدغمت الراء في اللام لذهب التكرير من الراء وهذا خلاف اجماع النحويين انتهى. وهذا تحامل . وقد انعقد الاجماع على صحة قراءة هؤلاء الائمة وانها سنة متبعة . ولا مجال للاجتهاد فيها ولهذا قال سيبويه في كتابه في قوله تعالى ما هذا بشرا . وبنو تميم يرفعونه الا من درى كيف هي في المصحف . وانما كان كذلك لان القراءة سنة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه انتهى . ه

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين الى اثبات قرآن حكما لا علما بخبر الواحد دون الاستفاضة . وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه ، وقال قوم من المتكلمين أنه يسوغ اعمال الرأي والاجتهاد في اثبات قراءة وأوجه وأحرف اذا كانت تلك الاوجه صوابا في اللغة العربية وان

لم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بها . وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطوئوا من قال به

وقد ذهب الى هذا كثيرون ممن اشتهر بالقراءة والاقراء . الا ان الناس رغبوا عن قراءتهم . لانهم اعتمدوا في كثير منها على رأيهم وخلطوا ذلك بما رووه عن أئمتهم ؛

منهم ابن محيصن وهو محمد بن عبد الرحمن المكي . قال الداني: كان له اختيار على مذهب العربية خرج به عن اجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير

ومنهم ابن مقسم . قال الداني : عالم بالعربية حافظ للغة حسن التصنيف مشهور بالضبط والاتقان الا انه سلك مسلك ابن شنبوذ فاختار حروفا خالف فيها أئمة العامة وكان يذهب الى ان كل قراءة توافق خط المصحف فالقراءة بها جائزة وان لم تكن لها مادة ه وقد نقل عنه انه قال يجوز للعالم بالعربية والمعاني القرآنية ان يقرأ برأيه على ماتقتضيه العربية والمعاني التفسيرية . ونقل عنه أنه قرأ نجيا في قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا . نُجبا بالباء . وقد ذكر ابن الجزري أمره في النشر حيث قال بعد أن ذكر رد ماوافق العربية والرسم ولم ينقل البتة : وقد ذكر جواز ذلك عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم البغدادي المقرئ النحوي وكان بعد الثلاث المائة ، قال الامام أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه البيان : وقد نبغ نابغ في عصرنا فزعم ان كل من صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها . فابتدع بدعة ضل بها سواء السبيل . قلت وقد عقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد حضره الفقهاء والقراء وأجمعوا على منعه

وأوقف للضرب فتاب ورجع وكتب عليه بذلك محضر كما ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد وأشرنا اليه في الطبقات ، ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع اليه - ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه - كما روينا عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت من الصحابة - وعن ابن المنكدر وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي من التابعين انهم قالوا : القراءة سنة يأخذها الآخر عن الاول فاقرؤا كما عُلّمتموه ؛ ولذلك كان كثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول : لولا انه ليس لي ان أقرأ الا بما أقرئت لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا ؛ وقال أبو بكر بن مجاهد في كتاب جامع القراءات : ولم أر أحدا ممن أدركت من القراء وأهل العلم باللغة وأئمة العربية يرخصون لاحد في ان يقرأ بحرف لم يقرأ به أحد من الائمة الماضين وان كان جائزا في العربية - بل رأيتهم يشددون في ذلك وينهون عنه ويروون الكراهة له عمن تقدم من مشايخهم - لئلا يجسر على القول في القرآن بالرأي أهل الزيغ - وينسبون من فعله الى البدعة والخروج عن الجماعة ومفارقة أهل القبلة ومخالفة الامة -

قال أبو بكر بن مجاهد ومتى ماطمع أهل الزيغ في تغيير الحرف والحرفين غيروا أكثر من ذلك - وعسى أن يتطاول الزمان كذلك فينشأ قوم فيقولون لم يقرأ بعضهم هذا الا وله أصل

الفائدة الخامسة

وهي في حكم خلط القراءات بعضها ببعض

قال الامام أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في كتاب جمال القراء :

خلط هذه القراءات بعضها ببعض خطأ ، وقال العلامة النووي في كتاب التبيان : واذا ابتدأ القارئ بقراءة شخص من السبعة فينبغي ان لايزال على تلك القراءة ما دام للكلام ارتباط . فاذا انقضى ارتباطه فله ان يقرأ بقراءة آخر من السبعة . والاولى دوامه على تلك القراءة في ذلك المجلس ه وأما التلفيق بين القراءات فان أخل بالمعنى أو بالعربية منع منه اتفاقا وذلك نحو قوله تعالى : فتلقى آدم من ربه كلمات ، فقرأه القراء غير ابن كثير برفع آدم ونصب كلمات وقرأه ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ؛ وان لم يخل بالمعنى ولا بالعربية اختلف فيه فذهب بعضهم الى المنع منه أيضا

وذهب بعضهم الى جوازه ورأى ان في المنع منه تضييقا على القراء في أمر ثبتت التوسعة فيه

﴿ تنبيه ﴾

وهو في معنى الاختيار في أمر القراءة

الاختيار عند القوم أن يعمد من كان اهلاً له الى القراءات المروية فيختار منها ما هو الراجح عنده ويجرد من ذلك طريقا في القراءة على حدة ، وقد وقع ذلك من الكسائي ؛ وممن اختار من القراءات كما اختار الكسائي أبو عبيد وأبو حاتم والمفضل وأبو جعفر الطبري . وذلك واضح في تصانيفهم

قال مكي وقد اختار الناس بعد ذلك . وأكثر اختياراتهم انما هو في الحرف اذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء . قوة وجهه في العربية وموافقته للمصحف واجتماع العامة عليه . والمراد باجتماع العامة عليه عندهم اتفاق أهل المدينة وأهل الكوفة عليه . فان ذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار . وربما أرادوا باجتماع العامة عليه اجتماع أهل الحرمين عليه . وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم .

فان قراءة هذين الامامين أولى القراءات وأصحها سندًا وأفصحها في العربية
ويتلوها في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي

الفائدة السادسة

وهي في كيفية تحمل القرآن .

قال في الاتقان في مبحث كيفية تحمل القرآن : أما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفا وخلفا ـ وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا لان الصحابة رضي الله عنهم انما أخذوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم سماعا لكن لم يأخذ به أحد من القراء ، والمنع فيه ظاهر ـ لأن المقصود هنا كيفية الاداء وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الاداء كهيئته بخلاف الحديث فان المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيآت المعتبرة في اداء القرآن ـ وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الاداء كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم لانه نزل بلغتهم ، ومما يدل للقراءة على الشيخ عرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في رمضان كل عام

ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزري لما قدم القاهرة وازدحم عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع ـ فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة فلم يكتف بقراءته ؛ وتجوز القراءة على الشيخ ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة اذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم ، وقد كان الشيخ علم الدين السخاوي يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أماكن مختلفة ويرد على كل منهم ـ وكذا لو كان الشيخ مشتغلا بشغل آخر كنسخ ومطالعة ـ وأما

القراءة من الحفظ فالظاهر انها ليست بشرط بل تكفي ولو من المصحف ه

وقال فيه : فائدة - ادعى ابن خير الاجماع على أنه ليس لأحد أن ينقل حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يكن له به رواية ولو بالاجازة فهل يكون حكم القرآن كذلك - فليس لاحد أن ينقل آية أو يقرأها مالم يقرأها على شيخ .. لم أر في ذلك نقلا - ولذلك وجه - من حيث أن الاحتياط في أداء ألفاظ القرآن أشد منه في ألفاظ الحديث - ولعدم اشتراطه فيه وجه - من حيث أن اشتراطه ذلك في الحديث انما هو لخوف أن يدخل في الحديث ما ليس منه أو يتقول على النبي صلى الله عليه وسلم مالم يقله - والقرآن محفوظ متلقى متداول ميسر - وهذا هو الظاهر

فائدة ثانية - الاجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدّي للاقراء والافادة - فمن علم من نفسه الاهلية جاز له ذلك وان لم يجزه أحد - وعلى ذلك السلف الاولون والصدر الصالح - وكذلك في كل علم وفي الاقراء والافتاء - خلافا لما يتوهمه الاغبياء من اعتقاد كونها شرطا - وانما اصطلح الناس على الاجازة لان أهلية الشخص لا يعلمها غالبا من يريد الاخذ عنه من المبتدئين ونحوهم لقصور مقامهم عن ذلك - والبحث عن الاهلية قبل الاخذ شرط فجعلت الاجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالاهلية

تتمة

في بيان أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبيّ صلى الله عليه وسلم بالقرآن كل سنة في شهر رمضان

أخرج البخاريّ عن فاطمة عليها السلام انها قالت أسرّ اليّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة - وانه عارضني العام

مرتين. ولا أراه الاحضر أجلي ؛ وأخرج عن ابن عباس انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير. وأجودُ ما يكون في شهر رمضان. لان جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن. فاذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة ؛ وأخرج عن أبي هريرة أنه قال كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة. فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ه

قال بعض العلماء : هذا الحديث وهو حديث أبي هريرة يدل على أن جبريل عليه السلام كان يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم أي يقرؤه عليه والنبي يستمع. والحديث السابق وهو حديث ابن عباس يدل على عكس ذلك وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل أي يقرؤه عليه وجبريل يستمع. . والواقع ان كلا منهما كان يعرض القرآن على الآخر فكأن كلا من الراويين اقتصر في روايته على ذكر طرف من الخبر. ومثل ذلك كثير الوقوع. ويدل على أن الواقع ذلك حديث فاطمة عليها السلام فان المعارضة انما تكون من الجانبين

وأخرج البخاري في أول كتابه. وهو باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. عن ابن عباس أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس. وكان أجودُ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ؛ قال بعض العلماء ظاهر هذا الحديث يقتضي أن جبريل عليه السلام كان يلقى النبي صلى الله عليه وسلم في كل

رمضان منذ أنزل عليه القرآن ولا يختص ذلك برمضانات الهجرة وان كان صيام شهر رمضان انما فرض بعد الهجرة لانه كان يسمى رمضان قبل أن يفرض صيامه.. وقد اختلف في العرضة الاخيرة هل كانت بجميع الاحرف المأذون في قراءتها أو بحرف واحد منها. وعلى الثاني فهل هو الحرف الذي جمع عثمان عليه الناس أو غيره. والراجح ان العرضة الاخيرة كانت بحرف واحد منها وأن ذلك الحرف هو الحرف الذي جمع عثمان عليه الناس..

أخرج بن اشته في المصاحف وابن أبي شيبة في الفضائل من طريق ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال القراءة التي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم، وأخرج ابن اشته عن ابن سيرين قال كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه وسلم كل سنة في شهر رمضان مرة. فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين. فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الاخيرة ، وقال بعض المحدثين كان زيد قد شهد العرضة الاخيرة وكان يقرئ الناس بها حتى مات. ولذلك اعتمده الصديق في جمع القرآن وولاه عثمان كتب المصاحف

الفصل السادس في بيان تواتر القرآن والقراءات وما يتعلق بذلك.

هذا المبحث من أجل المباحث. وقد عني به العلماء الاعلام عناية شديدة وأفاضوا فيه كثيرا. الا انه قد وقع في عبارات كثير منهم اضطراب شديد وذلك لأمور

منها غموض معنى المتواتر في حد ذاته حتى انه عرضت فيه شبه لبعض

الباحثين عنه جعلتهم حيارى في أمره

ومنها ظن بعضهم ان خبر الآحاد لايفيد العلم وانما يفيد العلم الخبر المتواتر مع ان خبر الآحاد قد يفيد العلم . وذلك اذا احتفت به قرائن توجب ذلك

ومنها اعتماد بعضهم على أخبار رويت في ذلك لقول بعض المحدثين فيها: هذه أخبار صحيحة الاسناد .. مع ان الحكم بصحة الاسناد لايقتضي الحكم بصحة الخبر . وهو أمر مقرر في علم أصول الاثر .

ولنذكر شيئا مما ذكره بعض المتكلمين في ذلك فنقول

قال الحافظ جلال الدين في الاتقان : لاخلاف ان كل ما هو من القرآن يجب ان يكون متواترا في أصله واجزائه .. وأما في محله ووضعه وترتيبه فكذلك عند محققي أهل السنة . للقطع بأن العادة تقضي بالتواتر في تفاصيل مثله . لان هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم مما تتوفر الدواعي على نقل جمله وتفاصيله ، فما نقل آحادا ولم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن .

وذهب كثير من الاصوليين الى ان التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله . وليس بشرط في محله ووضعه وترتيبه بل يكثر فيها نقل الآحاد . قيل وهو الذي يقتضيه صنع الشافعيّ في اثبات البسملة من كل سورة . ورُدّ هذا المذهب بأن الدليل السابق يقتضي التواتر في الجميع . ولانه لولم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر وثبوت كثير مما ليس بقرآن منه .

أما الاول فلأنا لو لم نشترط التواتر في المحل جاز أن لايتواتر كثير من المكررات الواقعة في القرآن مثل فبأي آلاء ربكما تكذبان . .

وأما الثاني فلأنه اذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل جاز اثبات ذلك البعض في الموضع بنقل الآحاد .. وقال القاضي أبو بكر في الانتصار : ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين الى اثبات قرآن حكما لا علما بخبر الواحد دون الاستفاضة . وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه ؛ وقال قوم من المتكلمين انه يسوغ أعمال الرأي والاجتهاد في اثبات قراءة وأوجه وأحرف اذا كانت تلك الاوجه صوابا في العربية . وان لم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بها . وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطؤوا من قال به انتهى . وقد بنى المالكية وغيرهم ممن قال بانكار البسملة قولهم على هذا الاصل وقرروه بأنها لم تتواتر في أوائل السور . وما لم يتواتر فليس بقرآن . . وأجيب من قبلنا بمنع كونها لم تتواتر فرب متواتر عند قوم دون آخرين وفي وقت دون آخر . .

ويكفي في تواترها اثباتها في مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف مع منعهم ان يكتب في المصحف ما ليس منه كأسماء السور وآمين والاعشار . فلو لم تكن قرآنا لما استجازوا اثباتها بخطه من غير تمييز لان ذلك يحمل على اعتقادها قرآنا . فيكونون مغررين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا . وهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة . . فان قيل لعلها اثبتت للفصل بين السور . أجيب بأن هـذا فيه تغرير . ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل . ولو كانت له لكتبت بين براءة والانفال . هـ

وهنا مشكلات ترد على هذا الاصل وهو وجوب تواتر القرآن نذكرها مع الجواب عنها

المشكل الاول . نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن .

وقد أنكر صحة النقل عنه كثير من العلماء قال النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على ان المعوذتين والفاتحة من القرآن - وان من جحد شيئا منها كفر - وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح - وقال ابن حزم في كتاب القدح المعلى تتميم المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع - وانما صح عنه قراءة عاصم عن زرّ عنه - وفيها المعوذتان والفاتحة

وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد صح عن ابن مسعود انكار ذلك - فأخرج أحمد وابن حبان عنه انه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه - وأخرج عبدالله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الاعمش عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال كان عبدالله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله - وأخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه انه كان يحك المعوذتين من الصحف ويقول انما أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما - وكان عبد الله لا يقرأ بهما - أسانيدها صحيحة - . قال البزار لم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة - وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قرأهما في الصلاة - قال ابن حجر فقول من قال انه كذب عليه مردود - والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل -

قال وقد أجاب ابن الصباغ بأنه لم يستقر عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك . هـ

وقال ابن قتيبة في مشكل القرآن : ظن ابن مسعود ان المعوذتين ليستا من القرآن لانه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم يعوّذ بهما الحسن والحسين فأقام على ظنه - ولا نقول أنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والانصار - قال وأما اسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن -

معاذ الله ـ ولكنه ذهب الى أن القرآن انما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ـ ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد ـ وقال بعض العلماء يحتمل أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتواترا عنده فتوقف في أمرهما وانما لم ينكر عليه ذلك لانه في صدد البحث والنظر والواجب عليه التثبت في مثل هذا الامر ـ وهنا نكتة مهمة ينبغي التنبيه لها وهي ما ذكره بعض المتكلمين حيث قال ليس المعتبر في العلم بصحة النقل والقطع على ثبوته انْ لا يخالف فيه مخالف ـ وانما المعتبر في ذلك مجيئه عن قوم يثبت بهم التواتر وتقوم بهم الحجة ؛ ومن أمعن النظر في هذه المسألة وما شاكلها تبين له فرط عناية الصحابة بأمر القرآن وتعجب ممن يستدل بها على خلاف ذلك ، ومما يشاكل ما نقل عن ابن مسعود ما نقل عن أبيّ بن كعب أنه كتب في مصحفه سورتين تسميان سورتي الخلع والحفد كان يقنت بهما ـ وهما ـ اللهم انا نستعينك ونستغفرك ـ ونثني عليك الخير ولا نكفرك ـ ونخلع ونترك من يفجرك ـ اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ـ واليك نسعى ونحفد ـ نخشى عذابك ونرجو رحمتك ـ ان عذابك بالكفار ملحق .

وقد تعرض القاضي لذكر ذلك في الانتصار فقال ان كلام القنوت المروي أن أبي بن كعب أثبته في مصحفه لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل بل هو ضرب من الدعاء ـ وانه لو كان قرآنا لنقل نقل القرآن وحصل العلم بصحته ـ وانه يمكن أن يكون منه كلام كان قرآنا منزلا ثم نسخ وأبيح الدعاء به وخلط بكلام ليس بقرآن ـ ولم يصح ذلك عنه ـ وانما روي عنه أنه أثبته في مصحفه وقد أثبت في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء وتأويل

المشكل الثاني - نقـل عن زيد بن ثابت أنه قال في أثنـاء ذكره لحديث جمع القرآن في الصحف وهو الجمع الاول وكان ذلك في عهـد ابي بكر الصديق : فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصـدور الرجال - حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع ابي خزيمة الانصاري - لم اجدهما مع أحد غيره - لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم - الى آخرها - ونقل عنه انه قال لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى عليه وسلم يقرؤها - لم أجدها مع أحد الا مع خزيمة الانصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين - من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ه وقد وقع هذا في الجمع الثاني - وكان ذلك في عهد عثمان ، وقد اختلف المتكلمون في ذلك فقـال بعضهم ان هـذا الخبر وان كان مخرجا في الصحيحين غير صحيح - لاقتضائه أن الآيات الثـلاث المذكورة قد ثبتت بغير طريق التواتر - وهو خلاف ما يقتضيه الدليل المذكور - وقال بعضهم ليس في الخبر المذكور ما يقتضي ثبوت الآيات المذكورة بغير طريق التواتر لاحتمال ان يكون زيد قد أراد بقوله: لم أجدها مع غير فلان-:لم أجدها مكتوبة عند غيره - وهو لا يقتضي انه لم يجدها محفوظة عند غيره

وقال بعضهم ان الدليل المذكور انما يقتضي كون القرآن قد نقل على وجه يفيد العلم - وافادة العـلم قد تكون بغير طريق التواتر - فان في أخبار الآحاد مايفيد العلم - وهي الاخبار التي احتفت بها قرائن توجب ذلك - . وعلى هذا فنحن لا نستبعد أن يكون في القرآن ما نقل على هذا الوجه - وذلك كالآيات الثلاث المذكورة - اذ المطلوب حصول العلم على أي وجه كان - وقد

حصل بهذا الوجه . وهذا القول في غاية القوة والمتانة . ولا يرد عليه شيء مما يرد على من أفرط في هذا الامر أو فرط عليه

المشكل الثالث . روى البخاري عن قتادة انه قال سألت انس بن مالك . من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أربعة كلهم من الانصار . أبيّ بن كعب . ومعاذ بن جبل . وزيد بن ثابت . وأبو زيد . قلت من أبو زيد . قال أحد عمومتي . وروى من طريق ثابت عن أنس انه قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة . أبو الدرداء . ومعاذ بن جبل . وزيد بن ثابت . وأبو زيد . وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين . أحدهما التصريح بصيغة الحصر في الاربعة . والآخر ذكر أبي الدرداء بدل أبي بن كعب

وقد استنكر جماعة من الائمة الحصر في الاربعة وقال المازريّ لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم ان يكون الواقع في نفس الامر كذلك . لان التقدير انه لا يعلم ان سواهم جمعه . والا فكيف الاحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد . وهذا لا يتم الا ان كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه انه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا في غاية البعد في العادة . واذا كان المرجع الى ما في علمه لم يلزم ان يكون الواقع كذلك . قال : وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة . ولا متمسك لهم فيه . فانا لا نسلم حمله على ظاهره . سلمناه ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الامر كذلك . سلمناه . لكن لا يلزم من كون كل من الجم الغفير لم يحفظه كله ان لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير . وليس من شرط التواتر ان يحفظ كل فرد جميعه بل اذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع

كفى؛ وقال القرطبي: قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء. وقتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد. قال وانما خص أنس الاربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم ه

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو انه قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرأه في شهر. الحديث. وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من الانصار معاذ ابن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب الانصاري

﴿ تنبيه ﴾

وهو في أي الروايتين أصح

قد اعترض الاسماعيلي على اخراج حديثي أنس معاً في الصحيح مع اختلافهما فقال: هذان الحديثان مختلفان ولا يجوزان في الصحيح مع تباينهما. بل الصحيح أحدهما. وجزم البيهقي بأن ذكر أبي الدرداء وهم والصواب أبي ابن كعب. وقال الداودي لا أرى ذكر أبي الدرداء محفوظا والصحيح هي الرواية الاولى. وأما الرواية الثانية فالظاهر ان بعض الرواة رواها بالمعنى فزاد فيها الحصر لتوهمه انه مراد وذهل في ذكر الاسماء فأبدل اسم ابي بن كعب باسم أبي الدرداء. ومن أمعن النظر في أمر الرواية بالمعنى لم يستبعد ذلك

وهذا أقرب الى السداد من قول بعض العلماء يحتمل أن يكون أنس حدث بما ذكر في الروايتين في وقتين أورد في أحد الوقتين احدى الروايتين وفي الوقت الآخر الرواية الاخرى. هذا ما يتعلق بأمر تواتر القرآن؛

ولنذكر ما يتعلق بأمر تواتر القراءات فنقول :

قال الجمهور : القراءات السبع متواترة - واستثنى ابن الحاجب من ذلك ما كان من قبيل الاداء كالامالة وتخفيف الهمزة - واستثنى أبو شامة من ذلك الالفاظ المختلف فيها بين القراء السبعة - وقد نقل ذلك عنه ابن الجزري في النشر حيث قال : قال الامام الكبير أبو شامة رحمه الله في مرشده : وقد شاع على ألسنة جماعة من المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع كلها متواترة - أي كل فرد فرد مما روي عن هؤلاء الائمة السبعة - قالوا والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب - ونحن بهذا نقول ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق - واتفقت عليه الفرق - من غير نكير له - مع أنه شاع واشتهر واستفاض - فلا أقل من اشتراط ذلك اذا لم يتفق التواتر في بعضها ه

وقد أشكلت هذه العبارة على كثير ممن وقف عليها ولم يظهر لهم كنه مراده منها - وقال أبو شامة في كتاب البسملة : وقد تكلم القاضي أبو بكر على صحة مجيء بعض الاحرف أتم من غيرها وبينه في كتاب الانتصار - - وهذا من أقوى الادلة لنا فيما نختاره في القراءات على ما مهدناه في كتاب ابراز المعاني الكبير وغيره من أنا لسنا ممن يلتزم التواتر في الكلمات المختلف فيها بين القراء بل القراءات كلها منقسمة الى متواتر وغير متواتر وذلك بين لمن أنصف وعرف وتصفح القراءات وطرقها - وكفى شاهدا لذلك اختلاف أعيان الامة من الصحابة فمن بعدهم في البسملة ه وقد أورد هذه العبارة في آخر قوله فيه : ونقل عن بعض متأخري الظاهرية أنها آية حيث كتبت في بعض الاحرف السبعة دون بعض - وهذا قول غريب - ولا بأس به ان شاء الله تعالى - وكأنه نزل اختلاف القراء في قراءتها بين السورتين منزلة

اختلافهـم في غيرها . فكما اختلفوا في حركات وحروف اختلفوا أيضا في اثبات كلمات وحذفها . كقوله تعالى في سورة الحديد . ومن يتول فان الله هو الغنيّ الحميـد . اختلف القراء في اثبات هو وحذفها . وكذلك من في آخر سورة التوبة . تجري من تحتها الانهار . . فلا يبعـد في أن يكون الاختلاف في البسملة من ذلك وإن كانت المصاحف عليها . فان من القراءات ما جاء على خلاف خط المصحف كالصراط ويبصط ومصيطر . اتفقت المصاحف على كتابتها بالصـاد وفيها قراءة أخرى بالسين . وقوله وما هو على الغيب بضنين . تقرأ بالضاد وبالظاء . ولم تكتب بالمصاحف الائمـة الا بالضاد . وقراءة القرآن تكون في بعض الاحرف السبعة أتمّ حرفا وكلما من بعض . ولا مانع من ذلك يخشى ، قال أبو محمد بن حزم : النص قد صح بوجوب قراءة أم القرآن فرضا . والبسمـلة في قراءة صحيحة آية من أم القرآن وفي قراءة صحيحة ليست آية من أم القرآن . والقرآن أنزل على سـبعة أحرف . كلها حق . وهذا كله من تلك الاحرف لصحته . فقـد وجب اذ كلها حق أن يفعل الانسان في قراءته أيّ ذلك شاء . قلت يعني أنه يقرأ في الصلاة على حسب ما يقرأ خارج الصلاة

﴿ تنبيه ﴾

ما استثناه ابن الحاجب من قولهم أن القراءات السبع متواترة لم يذكره في كتابه المسمى بمنتهى السول والامل . في علمي الاصول والجدل . وانما ذكره في مختصر المنتهى المذكور وهو المتداول المشهور

وعبارته في المنتهى

مسألة . القراءات السبع متواترة . لنا . لو لم تكن متواترة لـكان بعض القرآن

غير متواتر. كملك ومالك ونحوهما. وتخصيص أحدهما تحكم باطل لاستوائهما.

وعبارته في المختصر المذكور

مسألة ـ القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الاداء كالمد واللين والامالة وتخفيف الهمزة ونحوه. لنا ـ لو لم تكن متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما ـ وتخصيص أحدهما تحكم باطل لاستوائهما ـ وذكر بعض الشراح أن الزيادة المذكورة لا توجد في النسخ المشهورة قال والاولى ما في النسخ المشهورة ـ والحكم على أن القراءات السبع مطلقا سواء كانت من قبيل الاداء أو لا متواترة ـ في كلام ابن الحاجب بحث من أوجه

(الوجه الاول) قال بعض العلماء لا نعلم أحدا تقدم ابن الحاجب الى استثناء ما كان من قبيل الاداء من قولهم ان القراءات السبع متواترة ـ وقد نص على تواتر ذلك كل أئمة الاصول كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره

(الوجه الثاني) قال بعض شراح المختصر: لايخفى أن التخصيص بغير مخصص انما يلزم من الحكم ببعضية ملك دون مالك أو بالعكس لو لم يجز ترجيح كون البعض قرآنا دون البعض بكونه أولى وأحسن بل يتعين الترجيح باخذ هذه الثلاثة وهي صحة الاسناد واستقامة وجهها في العربية وموافقة لفظها خط المصحف المنسوب الى صاحبها، أما لو جاز الترجيح بغير هذه الثلاثة يلزم الترجيح بغير مرجح ه

أقول ترجيح بعض القراءات الثابتة على بعض بمثل كونها أفصح أو أدل على المرام أو أكثر مناسبة لسياق الكلام أمر معروف غير منكر الا أن بعض العلماء نبه على أمر ينبغي الانتباه له وهو أن لا يبالغ في ذلك لئلا يصل الامر الى حد يسقط القراءات الاخرى أو يكاد يسقطها ـ على أن معرفة كون

هذه أفصح من هــذه أو أدل على المرام ونحو ذلك أمر صعب المدرك عسر المسلك ، وكثيرا ما تختلف أنظار أرباب الترجيح في ذلك فيرجح بعضهم خلاف ما رجحه غيره . وهذا مما لا يخفى على من نظر في الكتب المشتملة على ذلك؛ وهنا أمر لا ينبغي أن يغفل عنه وهو أن القرآن هل تتفاوت فيــه مراتب الفصاحة أم لا . اختلف العلماء في ذلك . ولسنا في صدد البحث فيه

(الوجه الثالث) . ظن بعض الخائضين في هذا البحث ان القول بتواتر القرآن لا يستلزم القول بتواتر القراءات وله مقالتان رد فيهما على ماذكره ابن الحاجب هنا وشدد عليه النكير في ذلك غير أنه لم يأت بشيء يثبت دعواه وقد ذكر في احداهما انه لم يقع لاحد من أئمة الاصوليين تصريح بتواتر القراءات وتوقف تواتر القرآن على تواترها كما وقع لابن الحاجب . ويظهر من كلامه ان الذي حمله على الحكم بعدم تواتر القراءات انه رأى ان عمدة أهلها انما هو النقل عن أفراد لا يخرج عددهم عن مرتبة الآحاد ، وقد نحا نحو ذلك بعضهم حيث قال : التحقيق ان القراءات السبع مواترة عن الائمة السبعة ، أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر . فان اسناد الائمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات وهي نقل الواحد عن الواحد وأجيب عن ذلك بأن عدد التواتر موجود في كل طبقة الا انهم اقتصروا على ذكر بعضهم لتصديهم للاشتغال بالقراءة واشتهارهم بذلك ؛ وقال بعض شراح المختصر: ولقائل ان يقول ان المعلوم بالتواتر هو كون أحدهما من القرآن . وأما هما معا أو أحدهما بعينه فلا . كيف والذين تسند اليهم القراءات وهم سبعة لا يحصل العلم بقولهم فيما اتفقوا عليه فضلا عما اختلفوا فيه . وأجيب عن ذلك بأن قراءة كل واحد من هؤلاء السبعة قد علمت من جهته ومن

جهة غيره ممن يبلغ عددهم التواتر. وانما نسب العلماء القراءات المتواترة اليهم لئلا تلتبس على الجاهل بغيرها من الشواذ، فاذا قيل : هذه القراءة في السبع كان معناه انها مروية بطريق التواتر لا بطريق الآحاد. وأما اضافة القراءة الى من أضيفت اليه من أئمة القراءة فالمراد بها ان ذلك الامام اختار القراءة بذلك الوجه على حسب ما قرأ به فآثره على غيره ولزمه حتى اشتهر به وقُصد فيه وأخذ عنه فلذلك أضيف اليه دون غيره من القراء

وقال بعض العلماء ان القراءات السبع مشهورة. وقال بعض العلماء ان القراءات السبع آحاد، وقد نحا نحو ذلك بعض المتأخرين من علماء الاثر حيث قال: ادعى بعض أهل الاصول تواتر كل واحدة من القراءات السبع. وهي قراءة أبي عمرو ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وابن عامر دون غيرها. وادعى بعضهم تواتر القراءات العشر وهي هـذه مع قراءة يعقوب وأبي جعفر وخلف. وليس على ذلك اثارة من علم. فان هذه القراءات كل واحدة منها منقولة نقلا آحاديا كما يعرف ذلك من يعرف أسانيد هؤلاء القراء لقراءاتهم، وقد نقل جماعة من القراء الاجماع على ان في هذه القراءات ماهو متواتر وفيها ما هو آحاد. ولم يقل أحد منهم بتواتر كل واحدة من السبع فضلا عن العشر. وانما هو قول قاله بعض أهل الاصول. وأهل الفن أخبر بفنهم. وقد بالغ بعضهم في توهين أمر القراءات السبع فزعم أنه لا فرق بينها وبين سائر القراءات. وأن القول بتواترها أمر منكر لانه يؤدي الى تكفير من طعن في شيء منها. فقد وقع شيء من ذلك لبعض العلماء الاعلام. وقد طعن بعضهم في قراءة حمزة. واتقوا الله الذي تساءلون به والارحامِ. بخفض الارحام عطفا الضمير في به. لان في ذلك عطفا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار

وهو غير جائز في السعة. على ان في ذلك أشكالا من جهة المعنى

وطعن بعضهم في قراءة أبي عمرو. فتوبوا الى بارئْكم باسكان الهمزة. وان الله يأمرْكم باسكان الراء لان في ذلك حذفا لحركة الاعراب وهو غير جائز في السعة. ولما كانت نسبة اللحن في مثل ذلك الى أبي عمرو أمرًا جللا زعم بعض النحاة ان أبا عمرو اختلس الحركة فلم يضبط الراوي ذلك فظن انه سكن وقد روي عنه الاختلاس من بعض الطرق، وطعن بعضهم في قراءة ابن عامر. زين لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم بنصب أولادهم وخفض شركائهم. لان في ذلك فصلا بين المضاف والمضاف اليه وذلك انه قرأ زُيِّن بضم الزاي وكسر الياء المشددة بالبناء للمفعول ورفع قتل على انه نائب عن المفعول ونصب أولادهم على انه مفعول به للمصدر وهو قتل. وخفض شركائهم باضافة قتل اليه وهو فاعل في المعنى فقد وقع في هذه القراءة الفصل بين المضاف وهو قتل وبين المضاف اليه وهو شركائهم بالمفعول وهو أولادهم. والفصل بين المضاف والمضاف اليه لا يجوز في السعة. قال الزمخشري: والذي حمله على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء. ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لأن الاولاد شركاء في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة. وممن أنكر هذه القراءة من العلماء المشهورين ابن جرير الطبري. وهذا المطعن أقوى من غيره من سائر المطاعن، وقد أجيب عنه وعن غيره الا أن الجواب عنه أدنى من الجواب عن غيره في القوة. وقرأ سائر القراء زَيَّنَ بفتح الزاي والياء المشددة على انه مبني للفاعل. وقتلَ بفتح اللام على انه مفعول به وأولادِهم بكسر الدال على انه مضاف اليه وشركاؤُهم بضم الهمزة على انه فاعل زَيَّن أي زين لكثير

من المشركين شركاؤُهم أن يقتلوا أولادهم . وهي واضحة من جهة اللفظ والمعنى . وطعن بعضهم في قراءة ابن كثير في احدى الروايتين عنه . نارًا تَّلظى وما أشبهه بتشديد التاء لأن ذلك يؤدي الى الجمع بين ساكنين على وجه يوجب العسر في التلفظ بهما . بل قال بعض العلماء ان الجمع بين مثلي الساكنين المذكورين ممتنع لعدم امكان التلفظ بهما معا وهما على حالهما وكأن القائل المذكور يدّعي ان الراوي قد وقع له وهم في الرواية

وقد رأى بعض كبار المقرئين أنه لا يتيسر له تشديد التاء الا اذا أزال سكون ما قبلها وهو التنوين فعمد اليه فحركه بالكسر وتمكن بذلك من تشديد التاء . الا أن هذا أمر لم يسبقه اليه سابق ولا لحقه فيه لاحق . والرواية المذكورة عن ابن كثير هي رواية البزي بوسائطَ عنه . والرواية الاخرى عن ابن كثير هي تخفيف التاء وبذلك قرأ سائر القراء . وتاءات البزي مذكورة في كتب القراءة وهي ثلاثة أقسام : قسم يكون قبل التاء فيه حرف متحرك نحو الذين تّوفاهم الملائكة . وهذا لا اشكال فيه . وقسم يكون قبل التاء فيه حرف ساكن الا انه حرف مدّ نحو . ولا تَّيمموا الخبيث . ولا تّفرّقوا . وهذا لا اشكال فيه أيضا لانه وان اجتمع فيه ساكنان فان وجود المدّ فيه يخفف العسر في التلفظ غير أن المدّ هنا ينبغي أن يكون طويلا . وقسم يكون قبل التاء فيه حرف ساكن الاّ أنه ليس بحرف مدّ نحو نارا تلظى . وشهرٍ تّنزل . وقل هل تّربصون . وهذا موضع البحث وقال القائمون بتشييد أركان القراءات في جواب ماذكره المبالغون في توهين أمرها : ان عدم مساواة سائر القراءات لها في المنزلة أمر لايخفى . وأما الذي قد يخفى فهو أمر تواترها . لانها انما تواترت عند القراء الذين عُنوا بأمر القراءات وضبط وجوهها دون غيرهم . .

فتواترها ليس كتواتر القرآن، واما الحكم على القول بتواترها بانه أمر منكر لانه يؤدى الى تكفير من طعن في شيء منها وقد وقع شيء من ذلك لبعض العلماء الاعلام فهو خطأ لان انكار شيء من القراءات لا يقتضي التكفير لان التكفير انما يكون بانكار ماعلم من الدين بالضرورة. والقراءات ليست كذلك فان وقع التكفير من احد بسبب ذلك حكم بخطأه وتجاوزه الحد ومخالفته لمنهج السلف في مثل ذلك. فقد اختلفوا في أمر البسملة المكتوبة في أوائل السور فقال بعضهم هي هناك من القرآن. وقال بعضهم هي هناك ليست من القرآن. ولم يكفر أحد الفريقين المختلفين الفريق الآخر وانما خطّأ كل منهما الفريق الآخر مع الاعتذار عنه بقوة الشبهة التي عرضت له في ذلك فكيف يسوغ لمن وقف على ذلك أن يكفر من أنكر شيأ من القراءات لشبهة قوية عرضت له. وأمر القراءات أيسر خطبا من أمر البسملة، وكما بالغ بعضهم في توهين أمر القراءات السبع بالغ بعضهم في تقوية أمرها منهم مفتي البلاد الاندلسية الاستاذ ابو سعيد فرج بن لب فأنه قال وهو يحكم بين اثنين من طلبة غرناطة اختلفا في أمر القراءات السبع فتحا كما اليه: من زعم ان القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقوله كفر لانه يؤدّي الى عدم تواتر القرآن جملة. قال وهذا مبنى ماقاله ابن الحاجب. وقد كتب بما ذكر بعض أهل غرناطة الى أحد العلماء المشهورين من أهل تونس يسأله بيان رأيه في ذلك. فأجابه بجواب يتضمن الرد على ماذكر. فوقف عليه المفتي المذكور. فألف رسالة كبيرة في الرد على هذا الرد. سماها فتح الباب ورفع الحجاب. بتعقب ماوقع في تواتر القرآن من السؤال والجواب، وقد أورد جميع ذلك العلامة أحمد الونشريسي في الجزء الثاني عشر من المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب

ارشاد

وهو في بيان ما ينبغي ان يقال في امر القراءات السبع

اعلم ان قول من قال ان القراءات كلها لم تنقل الا بطريق الآحاد المحضة غير سديد لانه يؤدي الى ان يكون القرآن في كثير من المواضع وهي المواضع التي اختلفت فيها قراءة القراء لا يهتدى الى معرفة قراءته فيها على الوجه الذي ينبغي ان يقرأ به . وهو أمر ينافي ما ثبت عن الامة من فرط عنايتها بأمر القرآن. ويظهر لك ذلك مما نذكره وهو أن القارئ اذا قرأ الفاتحة مثلا فوصل الى ملك يوم الدين وكان ممن يقول بهذا القول ويتدبر ما يؤدي اليه فانه يقف هنا واجما لانه يرى ان ملك قد قرأه عاصم والكسائي بالالف وقرأه غيرهما بغير ألف. وانه بأي وجه منهما قرأه به لا يستيقن انه أصاب في قراءته به لاحتمال ان يكون غير مطابق لما في نفس الامر وذلك لانه مروي بطريق الآحاد المحضة وهي لا تفيد اليقين، واستنكر المحققون هذا القول ورأوا أنه لابد من اثبات تواتر بعض القراءات اذ لا يعقل ان يكون القرآن كله متواترا وتكون أوجه قراءته كلها غير متواترة. فقالوا بتواتر القراءات السبع لكثرة تداولها بين قراء الامصار في جميع الاعصار. وقد أطلق الاكثرون منهم القول في ذلك ولم يستثنوا شيئا فحكموا بتواتر ما انفرد به أحد القراء السبعة ولو في احدى الروايتين عنه. وذلك مثل تشديد التاء في. ولا تّيمموا الخبيث ونحوه فان ابن كثير قد تفرد بذلك عن سائر القراء في احدى الروايتين عنه وهي رواية البزي بوسائط عنه. وقد وافقهم في الرواية الاخرى على عدم تشديد التاء هي رواية قنبل بوسائط عنه. وحكموا بتواتر القراءات التي أنكرت بناء على وانها مخالفة اللغة العربية وقالوا أنها جاءت على بعض لغات العرب التي لم يطلع

المنكرون عليها ولغات العرب كثيرة لايتيسر الاحاطة بها ، وذلك مثل قراءة حمزة بمصرخيِّ بكسر الياء وقد ذكر قطرب انها لغة بني يربوع وأجازها هو والفراء وامام النحو واللغة أبو عمرو بن العلاء . وهذه اللغة شائعة ذائعة باقية في أفواه كثير من الناس الى اليوم . يقولون مافيِّ افعل كذا وما عليِّ منك الى غير ذلك ، وأنكر كثير من العلماء تواتر ما لايظهر وجهه في اللغة العربية من ذلك . وحكموا بوقوع الخطأ فيه من بعض القراء . وكأنهم يستبعدون أن تتواتر قراءة ولا يطلع أئمة اللغة العربية على اللغة التي جاءت على نهجها من لغات العرب لفرط اهتمامهم بمثل ذلك عناية بأمر القرآن . وقد تصدى ابن جرير الطبري في تفسيره لبيان القراءات وتوجيهها وذكر في كل موضع اختلف فيه القراء ما اختاره هناك من القراءات الخالية من الشوائب غير انه طعن في كثير من المواضع في بعض القراءات المذكورة في السبع لامور بدت له في ذلك . وقد أنكر عليه ذلك من يقول بتواتر القراءات السبع مطلقا . وله كتاب كبير في القراءات وعللها ذكره في تفسيره

والاقرب الى السداد أن يقال : ان القراءات السبع متواترة في الجملة . ويوجد فيها المشهور والمروي من طريق الآحاد المحفوفة بالقرائن المفيدة للعلم . وأما المروي من طريق الآحاد المحضة فهو فيها نزر لايكاد يذكر وهو ما طعن فيه بعض الائمة ولم يكن عنه جواب سديد

﴿ تنبيه ﴾

وهو في التحذير من الاغترار بكل قراءة تنسب الى احد الائمة السبعة

قال ابن الجزري في النشر : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه . ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا . وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي

لا يجوز ردها ولا يحل انكارها - بل هي من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها - سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين - ومتى اختل ركن من هذه الاركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة - سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف .. صرح بذلك الامام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني - ونص عليه في غير موضع الامام أبو محمد مكي بن أبي طالب - وكذلك الامام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي - وحققه الامام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة - وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه؛ قال أبو شامة رحمه الله في كتابه المرشد الوجيز : فلا ينبغي ان يغتر بكل قراءة تعزى الى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها هكذا أنزلت الا اذا دخلت في ذلك الضابط وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل ان نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فان الاعتماد على استجماع تلك الاوصاف لا على من تنسب اليه - . فان القراءات المنسوبة الى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه والشاذ - غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم . ه

مسائل شتى

المسألة الاولى

وهي في انواع القراءات

من أنواع القراءات الشاذّ ـ وقد اختلف في حده ـ فقيل الشاذّ من القراءات مالم يتواتر منها ـ وعلى هذا تكون القراءات نوعين فقط وقيل في حده غير ذلك

وقد ذكر في الاتقان أنواع القراءات على رأي بعض العلماء فقال: أتقن الامام ابن الجزري هـذا الفصل جدا ـ وقد تحرر لي منه ان القراءات أنواع

(الاول) المتواتر ـ وهو مانقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم الى منتهاه ـ وغالب القراءات كذلك

(الثاني) المشهور ـ وهو ماصح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ووافق العربية والرسم ـ واشتهر عند القراء ـ فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ ـ ويقرأ به على ماذكره ابن الجزري ويفهمه كلام أبي شامة السابق ـ . ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ـ . وأمثلة ذلك كثيرة في فرش الحروف من كتب القراءات كالذي قبله

(الثالث) الآحاد ـ وهو ماصح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به ـ وقد عقد الترمذي في جامعه والحاكم في مستدركه لذلك بابا أخرجا فيه شيئا كثيرا صحيح الاسناد ـ ومن ذلك ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قرأ لقد جاءكم رسول من أنفَسكم ـ بفتح الفاء

(الرابع) الشاذّ - وهو ما لم يصح سنده - وفيه كتب مؤلفة - من ذلك قراءة مَـلَكَ يوم الدين بصيغة الماضي

(الخامس) الموضوع - كقراءات الخزاعي . وظهر لي سادس يشبه من أنواع الحديث المدرج وهو مازيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة ابن عباس - ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلامن ربكم في مواسم الحج - أخرجها البخاري - انتهى ملخصا

المسألة الثانية

وهي في بيان كون القراءات ترجع من جهة اختلاف اللفظ الى نوعين

ان القراءات ترجع من جهة اختلاف اللفظ الى نوعين -

(أحدها) ما اختلف لفظه واتفق معناه - سواء كان الاختلاف اختلاف كل أو كان اختلاف جزء - نحو فاسقوا وفامضوا - والعهن والصوف - وخُطُوات وخُطْوات . وكُفُوًا وكُفْـؤًا وكُفُؤًا

(والثاني) ما اختلف لفظه ومعناه نحو قال ربي وقل ربي - ويكذِبون ويُكذّبون - واتّخذوا واتخِذوا ، وبقي الاختلاف بالاظهار والادغام - والروم والاشمام - والتفخيم والترقيق - والمد والقصر - والامالة والفتح - والتحقيق والتسهيل - والابدال والنقل - ونحو ذلك مما يعبر عنه القراء بالاصول - . فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ لان هـذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن ان يكون لفظا واحدا - وهذا الذي أشار اليه ابن الحـاجب بقوله : والسبعة متواترة فيما ليس من قبيـل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمز ونحوه ، وهذا النوع من الاختلاف داخل في الاحرف السبعة الا انه ليس واحدًا منها

المسألة الثالثة

وهي في ان الاختلاف في كثير من القراءات يرجع الى اختلاف اللغات

ان الاختلاف في كثير من القراءات يرجع الى اختلاف اللغات ـ وذلك مثل عليهم ـ فان فيه لغات ـ وهي عليـهِم بكسر الهاء واسكان الميم ـ وعليهـُم بضم الهاء واسكا ن الميم ـ وعليهمُ بكسر الهاء وضم الميم معوصلها بالواو ـ وهذه اللغات الثلاث هي المشهورة فيه ـ وقد قرئ بها في السبع وفيه ـ سبع لغات أخرى ذكرها في النشر حيث قال : وعن عبد الرحمن بن هرمز الاعرج ومسلم ابن جندب وعيسى بن عمر الثقفي البصري وعبدالله بن يزيد القصير عليهمو بضم الهاء ووصل الميم بالواو ـ وعن الحسن بن فائد عليهمي بكسر الهاء ووصل الميم بالياء ـ وعن أبي هرمز أيضا بضم الهاء والميم من غير صلة ـ وعنه أيضا بكسر الهاء وضم الميم من غير صلة ، فهذه أربعة أوجه وفي المشهور ثلاثة ـ فتصير سبعة وكلها لغات ؛ وذكر أبو الحسن الاخفش فيها ثلاث لغات أخرى لو قرئ بها لجاز ـ وهي ضم الهاء وكسر الميم مع الصلة والثانية كذلك الا انه بغير صلة ـ والثالثة بالكسر فيهما من غير صلة ـ ولم يختلف عن أحد منهم في الاسكان وقفا ـ . ومثل يحسِب مضارع حسِب بمعنى ظن ـ فان فيه لغتين ـ احداهما يحسَب بفتح السين ـ والاخرى يحسِب بكسرها ، وقد قرئ بهما في السبع

ومثل هذان في تثنية هذا ـ فان من العرب من يجعله بالالف في الاحوال كلها وهي حال الرفع وحال النصب والجر فيقول: جاء هذان ورأيت هذان ومررت بهذان ـ وهذه هي لغة بني الحارث بن كعب ـ ومن العرب من يجعله بالالف في حال الرفع وبالياء في حالي النصب والجر ـ . فيقول جاء هذان ورأيت هذين ومررت بهذين وهذه هي لغة جل العرب وقد قرئ هذان بهما في قوله

تعالى ان هذان لساحران فقرأه أبو عمرو ان هذين لساحران. بالياء جريا على اللغة المشهورة في مثل ذلك وقرأه غيره بالالف

ومن الغريب هنا اعتراض بعض الناس على قراءة أبي عمرو بأن فيها مخالفة لخط المصحف ، وأغرب من ذلك اعتراض بعضهم على قراءة جمهور القراء بأن فيها مخالفة للغة العربية . . قال العلامة ابن هشام في شرح شذور الذهب نقلا عن العلامة أحمد بن تيمية : قال وقد زعم قوم ان قراءة من قرأ ان هذان لحن . وان عثمان قال ان في المصحف لحنا . وستقيمه العرب بألسنتها . وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه .

(أحدها) ان الصحابة كانوا يتسارعون الى انكار أدنى المنكرات فكيف يقرون اللحن في القرآن مع انه لا كلفة عليهم في ازالته

(والثاني) ان العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام . فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف

(والثالث) ان الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم لان المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي

(والرابع) انه قد ثبت في الصحيح ان زيداً بن ثابت أراد ان يكتب التابوت بالهاء على لغة الانصار فمنعوه من ذلك ورفعوه الى عثمان فأمرهم ان يكتبوه بالتاء على لغة قريش . ولما بلغ عمر ان ابن مسعود قرأ عتى حين على لغة هذيل أنكر ذلك عليه . وقال اقرئ الناس بلغة قريش فان الله تعالى انما أنزله بلغتهم ولم ينزله بلغة هذيل . انتهى كلامه ملخصا

المسألة الرابعة

وهي في كون القراءات السبع سنة متبعة

قال العلامة أحمد بن تيمية في جواب مسألة سئل عنها تتعلق بالقراءات

السبع : ان القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الاول ، فمعرفة القراءات التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها أو يقرهم على القراءة بها أو يأذن لهم وقد أقرئوا بها سنة ؛ والعارف بالقراءات الحافظ لها له مزية على من لا يعرف الا قراءة واحدة

المسألة الخامسة

وهي في ان اختلاف القراءات يظهر اختلاف الاحكام

قال في الاتقان: باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الاحكام . ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في لمستم ولامستم . وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف في حتى يطهرن ، وقد حكوا خلافا غريبا في الآية اذا قرئت بقراءتين . . فحكى أبو الليث السمرقندي في كتاب البستان قولين . أحدهما ان الله تعالى قال بهما جميعا . والثاني ان الله تعالى قال بقراءة واحدة الا انه أذن ان تقرأ بقراءتين . ثم اختار توسطا . وهو انه ان كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعا وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل حتى يطهرن وان كان تفسيرهما واحدا كالبُيوت والبِيوت فانما قال بأحداهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعوّد لسانهم ، فان قيل اذا قلتم انه قال بأحداهما فأي القراءتين هي قلنا التي بلغة قريش

المسألة السادسة

وهي في ان القرآن كله نزل بلغة قريش

ذهب بعض العلماء الى أن القرآن كله نزل بلغة قريش وليس فيه شيء من لغة غيرهم . واحتجوا لذلك بما في البخاري عن عثمان أنه قال للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه

بلسان قريش . فانما نزل بلسانهم. ففعلوا. وذهب بعض العلماء الى أن القرن قد نزل فيه شيء بلغة غير قريش من لغات بعض قبائل العرب. وأولوا ما ذكر، قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد: قول من قال نزل بلغة قريش معناه عندي في الاغلب . لان لغة غير قريش موجودة في جميع القراءات من تحقيق الهمزة ونحوها . وقريش لا تهمز، وقال الشيخ جمال الدين بن مالك : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين الا قليلا فانه نزل بلغة التميميين . كالادغام في من يشاقّ الله . وفي من يرتدّ منكم عن دينه . فان ادغام المجزوم لغة تميم . ولهذا قل - والفكّ لغة الحجاز . ولهذا كثر . نحو وليُمْلِلِ . يحببكم الله . يُمددكم واشدد به أزري . ومن يحلل عليه غضبي ، قال وقد أجمع القراء على نصب الا اتباعَ الظنّ. لان لغة الحجاز يبن التزام النصب في المنقطع . كما أجمعوا على نصب ما هذا بشرا . لان لغتهم إعمال ما . . وزعم الزمخشري في قوله تعالى . قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله . انه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم، وقال بعض العلماء: ان القرآن كله نزل بلغة قريش غير أن قريشا دخل في لغتهم شيء من لغات غيرهم من قبائل العرب مما اختاروه منها فصار ذلك من لغتهم . وما يقال انه وقع في القرآن بغير لغة قريش كالفتاح فهو مما كان من هذا القبيل.. وهذا القول فيه جمع بين المذهبين على أحسن وجه.

الفتاح الحاكم تقول افتح بيننا أي احكم . وهي كلمة يقال انها يمنية في الاصل

المسألة السابعة

وهى في جواز القراءة والصلاة بالشاذة

قال النوي في شرح المهذب: قال أصحابنا وغيرهم لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة لانها ليست قرآنا . لان القرآن لا يثبت الا بالتواتر . والقراءة الشاذة ليست متواترة . ومن قال غيره فغالط أو جاهل .

فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءته في الصلاة وغيرها ، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ . ونقل ابن عبد البر الاجماع على أنه لا تجوز القراءة بالشواذ وأنه لا يصلى خلف من يقرأ بها . لكنه قال في الروضة تبعا للعزيز للامام الرافعي : وتسوغ القراءة بالسبع . وكذا بالقراءات الشاذة ان لم يكن فيها تغيير معنى ولا زيادة حرف ولا نقصانه .. والقراءة الشاذة قيل ما وراء السبع وقيل هي ما وراء العشر

المسألة الثامنة

وهي في ان الشاذة تفسير للمشهورة

قال أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن : القصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها - وذلك كقراءة عائشة وحفصة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر . وكقراءة ابن مسعود . والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما . وقراءة جابر فأن الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ، فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن . وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن . فكيف اذا روي عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى . فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل . على أنها من العلم الذي لا تعرف العامة فضله - انما يعرف ذلك العلماء

المسألة التاسعة

وهي في توجيه القراءات وترجيح احدى القراءتين على الاخرى

من المهم معرفة توجيه القراءات وهو فن جليل يذكر فيه وجه كل قراءة . وقد اعتنى به الائمة وأفردوا فيه كتبا .. منها كتاب الحجة لابي علي الفارسي . وكتاب الكشف لمكي . وكتاب الهداية للمهدوي . وقد صنفوا أيضا في توجيه

القراءات الشواذ. منها كتاب المحتسب لابن جني. وكتاب أبي البقاء العكبري

وهنا شيء ينبغي التنبيه عليه وهو أنه قد ترجح احدى القراءتين الثابتتين على الاخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءة الاخرى. وهو غير مرضي. وقال أبو شامة قد اكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة مالك وملك حتى أن بعضهم يبالغ الى حد يكاد يسقط وجه القراءة الاخرى. وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ثم قال. حتى اني أصلي بهذه في ركعة وبهذه في ركعة، وقال بعض العلماء السلامة عند أهل الدين اذا صحت القراءتان أن يقال أحدهما أجود. وحكى أبو عمرو الزاهد في كتاب اليواقيت عن ثعلب أنه قال: اذا اختلف الاعرابان في القراءات لم أفضل اعرابا على اعراب. فاذا خرجت الى كلام الناس فضلت الاقوى. واعلم أن المشتغلين بفن القراءات وتوجيهها يلوح لهم من خصائص اللغة العربية ودلائل اعجاز الكتاب العزيز ما لا يلوح لغيرهم ويحصل لهم من البهجة ما يعجز اللسان عن بيانه فينبغي لمن سمت همته أن يقدم على ذلك بعد أن يقف على الفنون التي يلزم أن يوقف عليها من قبل. فالامر يسير على من جدّ جِدّه. والله ولي التوفيق

الفصل السابع في أسماء القرآن

اعلم أن الله تعالى قد سمى ما أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأربعة أسماء. وهي القرآن والفرقان والكتاب والذكر. وقد ذكر ذلك مع بيان وجه التسمية بها الامام ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره فقال ان الله تعالى ذكرُه سمّى تنزيله الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أسماء أربعة.

سورة لم يكن . وتسمى سورة أهل الكتاب . وكذلك سميت في مصحف أبي . وسورة البينة . وسورة القيمة

سورة اذا زلزلت . وتسمى سورة الزلزلة

سورة ألهاكم . وتسمى سورة التكاثر

سورة أرَأيتَ . وتسمى سورة الماعون

سورة الاخلاص . وتسمى الاساس . لاشتمالها على أساس الدين وهو توحيد الله تعالى

سورة قل أعوذ برب الفلق . وتسمى سورة الفلق

سورة قل أعوذ برب الناس . وتسمى سورة الناس . ويقال لهاتين السورتين المعوذتان بكسر الواو . ه وكما سميت السورة الواحدة بأسماء سميت سور باسم واحد كالسور المسماة بألم على القول بأن فواتح السور أسماء لها ، وقد تميز بمثل قولهم ألم البقرة وألم السجدة

﴿ تنبيه ﴾

قال الزركشيّ في البرهان ينبغي البحث عن تعداد الأسامي هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ، فان كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسماء لها وهو بعيد . قال وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه . أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لادراك الرائي للمسمى ، ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها . وعلى ذلك أسماء سور القرآن كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم

لغرابة قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها . وتسمية سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء . وتسمية سورة الانعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها وان كان ورد لفظ الانعام في غيرها الا أن التفصيل الوارد في قوله . ومن الانعام حمولة وفرشا . الى قوله . أم كنتم شهداء . لم يرد في غيرها . كما ورد ذكر النساء في سور الا أن ما تكرر و بسط من احكامهن لم يرد في غير سورة النساء . وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها ؟

صلتان تتعلقان بهذا الفصل

الصلة الاولى

قسم العلماء القرآن أربعة أقسام . وهي السبع الطول والمئون والمثاني والمفصل وقد جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الاسقع عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال أعطيت السبع الطول مكان التوراة . . وأعطيت المئين مكان الانجيل وأعطيت المثاني . مكان الزبور . وفضلت بالمفصل . وهو حديث غريب . وسعيد بن بشير فيه لين . أما السبع الطول فهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والأعراف ويونس ، وقيل السابعة هي الكهف وقيل هي الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة . وعلى هذا تكون السبع الطول متتابعة لا يفصل بينها شيء من السور التي ليست منها . والطول بضم الطاء جمع طولى كالكبر في جمع كبرى وسميت هذه السور السبع الطول لكونها أطول من سائر سور القرآن . كذا قال بعض العلماء . وفي

هذا نظر . فان في السور الاخرى ماهو أطول من بعض هذه السور وذلك كالنحل وطه والشعراء والصافات . ومما يستغرب في هذا المبحث قول بعض العلماء ان السبع الطول قد ورد ذكرها في الكتاب العزيز وذلك في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم . قالوا عنى بالسبع السبع الطول وسماهن مثاني لانهن تثنى فيهن القصص والوعد والوعيد مع أن هذه الآية نزلت في مكة وأكثر تلك السور نزلن بعدها في المدينة . والذي عليه أكثر المفسرين أن المراد بالسبع المذكورة في هذه الآية فاتحة الكتاب . فانها سبع آيات . تثنى في كل صلاة . وقد ورد في الحديث الصحيح تسميتها بالسبع المثاني

وأما المئون فهي ما ولي السبع الطول ، سميت بذلك لان كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها ، وأما المثاني فهي ما ولي المئين ، سميت بذلك لانها ثنت المئين أي كانت بعدها فهي لها ثوان والمئون لها أوائل . يقال ثنى الشيء اذا صار له ثانيا وقال الفراء المثاني هي السور التي آيها أقل من مائة آية لانها تثنى أكثر مما يثنى الطوال والمئون وقيل سميت مثاني لانها تثنى فيها الامثال والخبر والعبر وقد تطلق المثاني على القرآن كله قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني . قال العلماء عنى بقوله متشابها أنه يشبه بعضه بعضا في الصدق وحسن البيان وما أشبه ذلك . وبقوله مثاني أنه تثنى فيه الانباء والاحكام والوعد والوعيد والحجج . ومن ذلك ترديد بعض قصص الانبياء في أمكنة كثيرة

وأما المفصل فهو ما ولي المثاني من قصار السور . وسمي بذلك لكثرة الفصول التي بين سوره ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقيل لقلة المنسوخ منه ،

ولهذا يسمى بالمحكم أيضا ـ روى البخاري عن سعيد بن جبير انه قال ان الذي تدعونه المفصل هو المحكم ، وآخره سورة الناس بلا نزاع وقد اختلف في أوله ـ فقيل الصافات وقيل الجاثية ـ وقيل القتال وعزاه الماوردي للاكثرين وقيل الفتح ـ وقيل الحجرات وقيل ق ـ وقيل الرحمن ـ وقيل غير ذلك والصحيح عند أهل الاثر ان أوله ق والمفصل طوال وأوساط وقصار ـ فطواله الى عم وأوساطه منها الى الضحى وقصاره منها الى آخر القرآن ـ . هذا أقرب ما قيل في ذلك

الصلة الثانية

وهي في اعراب أسماء السور

من السور ما سمي بجملة ومنها ما سمي بغير جملة أما ما سمي منها بجملة فتجب فيها الحكاية ـ . وذلك نحو سأل سائل ـ وألم نشرح ـ وألم تر ـ وأرأيت ـ . فتقول في سأل سائل : هذه سأل سائلٌ ـ وقرأت سأل سائل ـ ونظرت في سأل سائلٌ بضم اللام في الاحوال الثلاث ؛ وتقول في ألم نشرح : هذه ألم نشرح ـ وقرأت ألم نشرح ـ ونظرت في ألم نشرح بإسكان الحاء في الاحوال الثلاث وقس على ذلك

والحكاية ايراد اللفظ على هيئته من غير تغيير ما ـ فيبقى آخره على ما كان عليه من قبل ولا يختلف باختلاف العوامل الداخلة عليه ، والمحكي من قبيل المعرب المقدر الاعراب وجوبا لاشتغال آخره بالحركة التي كان عليها من قبل أو بالسكون الذي كان عليه كذلك

وأما ما سمي منها بغير جملة فمنه ما ليس من قبيل حروف الهجاء ومنه ما هو من قبيل حروف الهجاء

أما ماليس من قبيل حروف الهجاء فان كان معرفا باللام اعرب اعراب المنصرف وذلك نحو الانعام والاعراف والانفال ويستثنى من ذلك مثل والطور ومثل والنجم وغيرهما مما فيه واو القسم فانه تجب فيه الحكاية تقول: هذه والطورِ وقرأتُ والطورِ ونظرت في والطورِ بكسر الراء في الاحوال الثلاث وقد تحذف هذه الواو فيصير الاسم من قبيل المعرف باللام فقط. وان كان غير معرف باللام أعرب اعراب غير المنصرف سواء كان غير منصرف من قبل نحو يونس ويوسف أو كان منصرفا من قبل نحو هود ونوح. تقول هذه هودُ وقرأت هودَ ونظرت في هودَ. الا ان مثل هود يصرف اذا أضيفت اليه سورة لفظا نحو هذه سورة هودٍ أو تقديراً نحو هذه هودٌ اذا أريد بذلك هذه سورة هود.. وما ذكر من منع مثل هود من الصرف اذا جعل اسما للسورة هو المشهور. وهو مذهب سيبويه ومن وافقه. وذهب بعض النحاة الى جواز الصرف وعدمه في ذلك قال سيبويه في باب أسماء السور: تقول هذه هودٌ كما ترى اذا أردت ان تحذف سورة من قولك هذه سورة هودٍ. فيصير هذا كقولك هذه تميمٌ كما ترى، وان جعلت هوداً اسم السورة لم تصرفها لانها تصير بمنزلة امرأة سميتها بعمرو. والسور بمنزلة النساء والارضين. وقال السيرافي في شرحه: عند قوله وان جعلت هود اسم السورة لم تصرفها هذا على مذهب سيبويه ومن وافقه ممن يقول ان المرأة اذا سميت بزيد لم يصرف. وأما من يقول انها كهند تصرف ولا تصرف فهو يجيز في نوح وهود اذا كانا اسمين للسورتين ان يصرفا ولا يصرفا. وممن قال به أيضا أبو العباس المبرد

وأما ما هو من قبيل حروف الهجاء فان كان حرفا واحدا مثل ص و ق و ن ففيه الوقف والاعراب. أما الوقف ويعبر عنه بالحكاية فلانها حروف

مقطعة فتحكى كما هي . وأما الاعراب فعلى جعلها اسماء لحروف الهجاء . . وعلى هذا يجوز فيها الصرف بناء على تذكير الحرف . وعدمه بناء على تأنيثه . تقول هذه صاد بالسكون بناء على حكايتها . وهذه صادٌ بالضم مع التنوين بناءً على صرفها . وهذه صادُ بالضم بدون تنوين بناء على منعها من الصرف . وهذه الاوجه الثلاثة وهي الحكاية والصرف والمنع منه تجري في ذلك سواء أضيفت اليها سورة أم لا .

وان كان أكثر من حرف فان وازن الاسماء الاعجمية كطس وحم ويس ففيه الحكاية لانها حروف مقطعة . والاعراب ممنوعا من الصرف لموازنتها مثل قابيل وهابيل من الاسماء الاعجمية . وهذان الوجهان يجريان في ذلك سواء أضيفت اليه سورة أم لا وقال سيبويه في ذلك : وأما حم فلا ينصرف . جعلته اسما للسورة أو أضفته اليه . . لانهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي نحو هابيل وقابيل وقال الشاعر .

وجدنا لكم في آل حم آيةً   تأولها منا تقيٌ ومعرب

وقال

أو كتبا بُيِّنَّ من حاميا   قد علمت أبناءُ ابراهيما

وكذلك طاسين وياسين . . واعلم إنه لا يجيء في كلامهم على بناء حاميمَ وياسينَ . وان أردت في هذا الحكاية تركته وقفا على حاله . وقد قرأ بعضهم ياسينَ والقرآن . وقافَ والقرآن . فمن قال هذا فكأنه جعله اسما أعجميا ثم قال اذكر ياسينَ .

وأما صاد فلا تحتاج الى ان تجعله اسما أعجميا . لان هذا البناء والوزن من كلامهم . ولكنه يجوز ان يكون اسما للسورة فلا تصرفه . . ويجوز أيضا

ان يكون ياسينُ وصادُ اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما ألزمت الاسماء غير المتمكنة الحركات . نحو كيف وأين وحيث وأمس . ثم قال : ومما يدل على ان حاميم ليس من كلام العرب ان العرب لا تدري معنى حاميم . وان قلتَ ان لفظ حروفه لا تشبه لفظ حروف الاعجمي فانه قد يجيء الاسم هكذا وهو أعجمي . قالوا قابوسُ ونحوه . ه وان لم يوازن الاسماء الاعجمية فان أمكن فيه التركيب كطسم فان أضيفت اليه سورة لفظا أو تقديرا ففيه الحكاية والاعراب . غير أن الاعراب فيه يجوز اجراؤه على الميم بناء على جعل طسم مركبا تركيب بعلبك فتكون النون فيه مفتوحة . . ويجوز اجراؤه على النون بناء على جعل طس مضافا الى ميم وعلى هذا يجوز في ميم الصرف بناء على تذكير الحرف وعدم الصرف بناء على تأنيثه . وان لم تضف اليه سورة ففيه الحكاية والاعراب ممنوعا من الصرف كبعلبك وبناء الجزئين على الفتح كخمسة عشر ، وقال سيبويه في ذلك : وأما طسم فان جعلته اسما لم يكن بد من ان تحرك النون وتصير ميما كأنك وصلتها الى طاسين فجعلتها اسما بمنزلة دَرابَ جِرْدَ وبَعلَ بكّ ، وان شئت حكيتَ وتركتَ السواكن على حالها وان لم يمكن فيه التركيب مثل كهيعص والمر وحمعسق فليس فيه الا الحكاية لعدم امكان غير الحكاية فيه سواء أضيفت اليه سورة أم لا قال سيبويه في ذلك : وأما كهيعص والمر فلا يكن الا حكاية ، وان جعلتها بمنزلة طاسين لم يجز لانهم لم يجعلوا طاسين كحضرموتَ ولكنهم جعلوها بمنزلة هابيل وقابيل وهاروت ؛ وان قلتَ أجعلها بمنزلة طاسين ميم لم يجز لانك وصلت ميما الى طاسين . ولا يجوز ان تصل خمسة أحرف الى خمسة أحرف فتجعلهن اسما واحدا ؛ وان قلتَ أجعل الكاف والهاء اسما ثم اجعل الياء والعين اسما . فاذا صارا

اسمين ضممت أحدهما الى الآخر فجعلتهما كاسم واحد لم يجز ذلك . لانه لم يجئ مثل حضرموت في كلام العرب موصولا بمثله . وهو أبعد لانك تريد أن تصله بالصاد، فان قلت أدعه على حاله وأجعله بمنزلة اسماعيل لم يجز لان اسماعيل قد جاء عدة حروفه على عدة حروف اكثر العربية نحو اشهيباب . وكهيعص ليس على عدة حروفه شيء . ولا يجوز فيه الا الحكاية . ه وحكي عن يونس انه كان يجيز اعراب كهيعص ممنوعا من الصرف وان لم يكن له نظاير في الاسماء المعربة قال بعض النحاة حكي عن يونس انه كان يجيز في كهيعص ان تفتح فيه الهاء من كاف والنون من عين ويجعل الاعراب فيه على صاد على ان يكون كاف مركبا مع صاد والباقي حشوا لا يعتد به

فوائد شتى

منها ما يتعلق بما نحن بصدده ومنها ما يناسبه

الفائدة الاولى

قال بعض النحاة في مبحث أسماء السور: ما سمي منها بفعل لا ضمير فيه أعرب اعراب ما لا ينصرف الا أنه ان كان في أوله همزة وصل تقطع أو كان في آخره تاء تأنيث تقلب هاء في الوقف فتقول في اقتربت قرأت إقتربةَ في الوصل وقرأت إقتربه في الوقف ، أما الاعراب فلانها صارت اسما . والاسماء معربة الا لموجب بناء ، واما قطع همزة الوصل فلانها لا تكون في الاسماء الا في ألفاظ معدودة تحفظ ولا يقاس عليها ، وأما قلب تائها هاء فلان ذلك حكم تاء التأنيث التي في الاسماء ، وأما كتبها هاء فلان الخط تابع للوقف غالبا وقال ابن سيده في المخصص في باب اسماء السور : وان أردت

ان تجعل اقتربت اسما قطعت الالف ووقفت عليها بالهاء فقلت هذه أقتربه. فاذا وصلت جعلتها تاء ولم تصرف فقلت هذه إقتربَت ياهذا وهذه تَبتُ. وتقول هذه تبّه في الوقف. فاذا وصلت قلت هذه تَبتُ ياهذا ؛ ويجوز أن تحكيها فتقول هذه اقتربتْ وهذه تبت بالتاء في الوقف كما تقول هذه إنّ اذا أردت الحكاية

الفائدة الثانية

تقول في المؤمنون اذا اردت بهاسورة قد أفلح المؤمنون: هذه المؤمنون. وقرأت المؤمنين. ونظرت في المؤمنين. فتجعلها بالواو في حالة الرفع و بالياء في حالة النصب والجر كما تجعلها كذلك في الاصل وهو المؤمنون الذي هو جمع مؤمن فتقول فيه جاء المؤمنون ورأيت المؤمنين ومررت بالمؤمنين. وفيها وجه آخر وهو أن تجعلها بالواو في الاحوال الثلاثة مع بقاء فتحة النون على حالها فتقول فيها : هذه المؤمنونَ. وقرأت المؤمنونَ. ونظرت في المؤمنونَ. وقس على ذلك المنافقون اذا أردت بهاسورة اذا جاءك المنافقون. والكافرون اذا أردت بها سورة قل ياأيها الكافرون . ولنذكر لك ماقاله علماء العربية في مثل ذلك ملخصا. قال بعضهم : واذا سميت رجلا بمسلمين فلك فيه وجهان. أحدهما أن تجعله بالواو في حال الرفع وبالياء في حال النصب والجر فتقول هذا مسلمون ورأيت مسلمين. ومررت بمسلمين. الثاني أن تجعله بالواو في الاحوال الثلاثة فتقول هذا مسلمونَ ورأيت مسلمون. ومررت بمسلمونَ. كأنك تحكي لفظ الجمع المرفوع في التسمية وقد أجاز بعض النحويين في نحو مسلمين هنا أن يجعل الاعراب فيه على النون مع إلزامه الياء. اجراءً له مجرى سنين في

لغة من قال أتت عليه سنينٌ بضم النون مع التنوين وهـذه النون لا تحذف عندهم في حال الاضافة قال الشاعر

دعانيَ من نجد فإنَّ سِنينَـه لَعِـبْنَ بنا شيبًـا وشيَّبننا مُرْدا

وأ كثر ما يجيء ذلك في الشعر . وانما الزموها الياء لانها أخف من الواو . وعلى ذلك تقول هذا مسلمينٌ . ورأيت مسلميناً . ومررت بمسلمينٍ وقد ذكر ذلك سيبويه في كتابه حيث قال فأذا سميت رجلا برجلين فأن أقيسه وأجوده أن تقول هذا رجلانِ ورأيت رجـلينِ ومررت برجـلين . كما تقول هذا مسلمونَ ورأيت مسلـمينَ ومررت بمسلمين . فهذه الياء والواو بمنزلة الياء والألف .. ومثل ذلك قول العرب هذه قِنَّسْرُونَ وهذه فِلَسْطُونَ ، ومن النحويين من يقول هذا رجُلانُ كما ترى . يجعله بمنزلة عثمانَ ، وقال الخليل من قال هذا قال مسلمون كما ترى . جعله بمنزلة قولهم سِـنِينٌ كما ترى . بمنزلة قول بعض العـرب فِلَسـطِينٌ وقِنَّسـرينٌ كما ترى ، فان قلت هلا تقول هذا رجلين تدع الياء كما تركتها في مسلمين . فانه انما منعهم من ذلك أنَّ هذه لا تشبه شيأ من الاسماء في كلامهم ؛ ومسلمـينٌ مصروف كما كنت صارفا سنينا .. وقال بعض النحويين في ذلك : اذا أردت التسمية بشيء من الالفاظ . فان كان ذلك اللفظ مثنى أو مجموعا على حده كضاربان وضاربون أوجاريا مجراهما كاثنان وعشرون أعرب اعرابه قبل التسمية في الا كثر .. ويجوز أن يجعل النون في كليهما مُعتقَبَ الاعراب بشرط أن لا تتجاوز حروف الكلمة بسبعة لان نحو حروف قَـرَعْبَـلانَـة غايةُ عدد حروف الكلمة . فلا يجعل النون في مستعتبان ومستعتبون معتقب الاعـراب ، فاذا أعربت ألزم المثنى الالف دون الياء لانها أخف منها . ولانه ليس في المفردات ما آخره ياء ونون زائدتان وقبل

الياء فتحة . قال — : الا يا ديارَ الحيّ ِ بالسبُعانِ

وألزم الجمع الياء دون الواو لكونها أخف منها ، وقد جاء البحرين في المثنى على خلاف القياس . يقال هذه البحرينُ بضم النون ودخلت البحرينَ . قال الازهري ومنهم من يقول البحران على القياس . لكن النسبة الى البحران الذي هو القياس اكثر فبحرانيّ أكثر من بحرينيّ وان كان استعمال البحرين مجعولا نونه معتقب الاعراب أكثر من استعمال البحران كذلك ، وجاء في الجمع الواو قليلا مع الياء نحو . قنسرين وقنسرون ونصيبين ونصيبون ووالغين ووالغون و بيرين و بيرون لان مثل زيتون موجود في كلامهم ، وقال الزجاج نقلا عن المبرّد : يجوز الواو قبل نون الجمع اذا كان معتقب الاعراب قياسا . قال ولا أعلم أحدا سبقنا الى هذا .. قال أبو علي هذا لاشاهد له . وهو بعيد عن القياس ه

والقرعبلانة دويبة عريضة بطينة. والمعتقب محل الاعتقاب وهوالتناوب ووالغين اسم واد

﴿ تنبيه ﴾

قد يظن الناظر في هذا المبحث في أول الامر انه يجوز في المطففين اذا أريد بها سورة ويل للمطففين ان يقال فيها : هذه المطففون . وقرأت المطففون . ونظرت في المطففون . بالواو في الاحوال الثلاثة مع بقاء فتحة النون فيها . بناء على الوجه الآخر . . لكن اذا أمعن النظر توقف في ذلك . لان هذا الوجه فيما يظهر مبني على انهم حكوا الاسم على ما كان عليه حين التسمية وهو عندهم في ذلك الحين كان بلفظ الجمع المرفوع . والمطففين ليس كذلك فانه حين التسمية به كان بلفظ الجمع المخفوض .

الفائدة الثالثة

الاعلام الاعجمية منها ما يعرب ـ ومنها ما يبنى ـ ومنها ما يحكى

أما ما يبنى منها فهو ما كان مركبا من جزئين ثانيهما لفظ وَيهِ نحو سيبويه ومسكَويه وخالَويه ـ فانه يبنى على الكسر ويبنى الجزء الاول منه على الفتح تقول جاء سيبويهِ ـ ورأيت سيبويهِ ومررت بسيبويهِ ـ بفتح الباء وكسر الهاء في الاحوال الثلاث ـ وانما بني لان ويهِ يشبه أسماء الاصوات وهي مبنية. وانما بني على الكسر لانه الاصل في التخلص من التقاء الساكنين وهذا مذهب سيبويه والجمهور ـ وذهب الجَرْميّ الى انه يجوز فيه ذلك ويجوز فيه ان يعرب اعراب ما لا ينصرف

وأما ما يعرب منها فهو ما ليس فيه ما يوجب البناء ولا ما يمنع من الاعراب. وذلك مثل يوسف ولقمان فانه يعرب مع المنع من الصرف في الاغلب ـ ولنبسط ذلك فنقول: ان الاعلام الاعجمية المعربة ان كانت زائدة على ثلاثة أحرف منعت من الصرف حتما ـ وذلك مثل يونس وداود وسليمان واسماعيل ـ وانما منعت من الصرف لوجود العلمية والعجمة فيها ـ وان كانت على ثلاثة أحرف فان كانت علما على مذكر صرفت حتما ـ وذلك مثل نوح وسام وحام وانما صرفت حتما مع وجود العلمية والعجمة فيها وهما مانعان من الصرف ـ لضعف العجمة فيها لمشابهتها للأعلام العربية من جهة الخفة ـ فألحقت بها وجعلت كأنها ليس فيها عجمة ـ وذلك لان العرب يؤثرون في أعلامهم الاوزان الخفيفة ولذلك كثر ذلك في كلامهم بخلاف العجم فانهم يؤثرون في أعلامهم الاسماء التي فيها طول ولذلك كثر ذلك في كلامهم وقل فيه ما يقابله وما ذكر من الصرف حتما هو مذهب جمهور النحاة لا فرق في ذلك عندهم بين ساكن الوسط

كنوح - وبين متحرك الوسط كلَمَك - قال تعالى «انا أرسلنا نوحاً الى قومه» وذهب بعض النحاة الى جواز الصرف وعدمه في هذا النوع - ويرد عليهم أنه لم يرد مثل نوح في كلام العرب وهو غير مصروف. وذهب بعضهم الى الفرق بين ساكن الوسط و بين متحركه فقالوا بصرف ساكن الوسط حتما مثل ماقال الجمهور - و بعدم صرف متحرك الوسط حتما ضد ماقال الجمهور و بنوا ذلك على ان حركة الوسط تقوم مقام الحرف الرابع كما في المؤنث

لمك كهجر ولاَمَك كهاجر اسم أبي نوح عليه السلام

وان كانت علما على مؤنث منعت من الصرف حتما وذلك مثل ماه وجُور وخان - اذا سميت امرأة بشيء منها - وانما منعت من الصرف حتما للعلمية والتأنيث مع انضمام العجمة اليه وان كان فيهاهنا ضعف كما عرفت وقد جوز بعضهم فيها الصرف وعدمه ولم يجعل للعجمة في ذلك تأثيرا - وان كانت تحتمل ان تكون علما على مذكر - وان تكون علما على مؤنث جاز فيها الصرف وعدمه - وذلك مثل مِصر - فانها تحتمل ان تكون اسما للبلد وهو مذكر فتصرف - وتحتمل ان تكون اسما للبلدة وهي مؤنثة فتمنع من الصرف -

قال بعض النحاة في مبحث تسمية الارضين : اعلم ان تسمية الارضين بمنزلة تسمية الاناسي - فما كان منها مؤنثا فسمي باسم فهو بمنزلة امرأة سميت بذلك الاسم - وما كان منها مذكرا فسمي باسم فهو بمنزلة رجل سمي بذلك الاسم ، وانما يجعل مؤنثا ومذكرا على تأويل ما تُؤُوِّل فيه -. فان تُؤُوِّل فيه انه بلد أو مكان فهو مذكر - وان تُؤُوِّل فيه انه بلدة أو بقعة فهو مؤنث -.

وأسماء الارضين على أوجه - منها مالايستعمل الامؤنثا نحو عُمان وحمص وجُوزَ وماه - ومنها ما لا يستعمل الا مذكرا نحو فَلْج -. ومنها مايستعمل على

التذكير والتأنيث نحو حراء وقباء . فمن العرب من يصرفهما ويجعلهما اسما للمكان . ومنهم من لا يصرفهما ويجعلهما اسما للبقعة ومن ذلك هجر الا ان الاكثر فيه التذكير والصرف . وبعض العرب يؤنثه ولا يصرفه فيقول هذه هجرُ . ومن ذلك حجيّ الا ان الاكثر فيه التأنيث وعدم الصرف

وأما ما يحكى منها فهو مايكون فيه مايمنع من الاعراب مع عدم وجود مايوجب البناء . وذلك مثل الاعلام التي يكون في آخرها واو ساكنة قبلها ضمة نحو سمَنْدُو وهو اسم بلد في الروم تقول هذه سمندُو ورأيت سمندُو . ومررت بسمندو . بضم الدال وسكون الواو في الاحوال الثلاثة مثل الاعلام التي يكون في آخرها حركة لازمة نحو سيدَه بكسر السين وسكون الياء وفتح الدال وبعدها هاء ساكنة بفتح الاواخر وهو ماقبل الهاء وهذه الهاء زائدة - وهي ساكنة في حال الوقف . وأما في حال الوصل فانها تسقط من اللفظ فلا ينطق بها أصلا وانما كتبت للاشعار بأن ماقبلها متحرك بحركة لازمة . وهي تشبه هاء السكت في العربية من وجه . وينسب الى سيده المذكور اللغوي المشهور على ابن اسماعيل المعروف بابن سيده ونحو فِيرُّه بكسر الفاء وسكون الياء وتشديد الراء وضمها ومعناه في لغة أعاجم الاندلس الحديد وهو اسم والد صاحب المنظومة المشهورة في القراءات الامام قاسم الرعينيّ الشاطبي وأما مايكون في آخره الف مثل موسى وعيسى فقد جعلوه من قبيل المقصور كالفتى وهو وان يكن غير ظاهر الاعراب في الاحوال الثلاثة لايعد من قبيل المحكي ولعل قائلا يقول أن هذه الاسماء يمكن أن يتوصل الى اعرابها . واذا امكن ذلك لم يجز العدول عنه وذلك لان العرب يعنون بأمر الاعراب حتى انهم لايتركونه ماوجدوا اليه سبيلا أما التوصل الى اعرابها فيكون باجراء التصرف في آخرها . وذلك في مثل سمندو

يكون بحذف الواو منه حتى يصير سمند أو بتشديده حتى يصير سمندو وفي مثل سيدَه يكون بحذف الفتحة التي في آخره حتى يصير سيذ أو بقلب الهاء المزيدة فيه تاء كما يفعله العامة في مثل ذلك فيصير سيدة وفي غير ذلك يكون بنحو ماذكر مما يجعل الى الاعراب سبيلا . والتصرف في الاسماء الاعجمية أمر مألوف عند العرب . فقد تصرفوا في كثير منها بالنقص والزيادة وتغيير بعض الحركات وقلب بعض الحروف . ومن ثم قيل أعجمي فالعب به ماشئت

وأما عناية العرب بأمر الاعراب فهي من الامور التي لا تجهل . وقد بالغ بعضهم في ذلك فأتى بما يشعر بالاعراب في حال الوقف . وهؤلاء هم الذين يقفون بالروم أو بالاشمام . قال علماء العربية : الاصل في الكلم المتحركة الاواخر التي ليس فيها تاء تأنيث نحو زيد ان يوقف عليها بالسكون . وذلك لغة أكثر العرب . وهو اختيار جلّ النحاة وكثير من القراء . ومن العرب من يقف عليها بالروم . والروم هو الاتيان بالحركة خفية حرصا على بيان الحركة التي يحرك بها آخر الكلمة في الوصل سواء كانت حركة اعراب وهم بشأنها أعنى لدلالتها على معنى . أو حركة بناء كحركة اين وأمس وقبل . ومن العرب من يقف عليها بالاشمام . وهو خاص بالمضموم سواء كانت ضمته أعرابية كضمة نعبد أو بنائية كضمة بعد . والاشمام هو الاشارة الى الحركة من غير تصويت وقال بعضهم هو أن تجعل شفتيك على الصورة التي تكونان عليها اذا نطقت بالضمة . وكلا الحالين واحد . ولا تكون الاشارة الا بعد سكون الحرف

فان قال ذلك قائل يقال له ان ما ذكر من أن التصرف في الاسماء الاعجمية مألوف عند العرب وانهم قد تصرفوا في كثير منها . فهو مسلم لا

ينكر ـ لكن الاصل عـدم التصرف فيها فقد قال بعض العلماء ان الاعـلام تصان عن التغيير ـ وأما قول من قال : أعجمي فالعب به ما شئت فهو مما لا ينبغي أن يقال ـ على ان العرب قد حافظوا على أعلام غيرهم أكثر من محافظة غيرهم على أعلامهم ـ وهذا أمر قد عرف بالبحث والتتبع ـ وما ذكر من عناية العرب بأمر الاعراب ـ فهو أيضا مسلم لا ينكر لكن ذلك لا يقتضي أن تغير أواخر الكلم اذا كان فيها ما يمنع الاعراب ـ والا وجب أن تحذف الالف من مثل الفتى وسلمى والدنيا ـ أو تمد توصلا الى ظهور الاعراب فيها ـ ولا يبقى في العربية مقصور والمقصور فيها لا يحصى ـ وقد اكتفى علماء العربية في أمر الاعراب فيه بأن يجعلوه مقدرا كما اكتفوا بذلك في المحكي والموقوف عليه ونحو ذلك

وأما الروم والاشمام ففيهما شيء من التكلف ـ ولم يجئ في لغة قريش شيء منهما ـ وهذه المباحث تحتاج الى بسط وافر ـ ونحن في مقام يلجئ الى شدة الاختصار ـ وانما نذكر مانذكر ارشادا لمن يريد أن يعرف مبدأ السبيل ليسلك من بعد فيها بنفسه وقد سوّغ بعض العرب ترك حركة الاعراب في بعض المواضع أحيانا ـ قال أبوحيان في تفسير قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن في ذلك : قرأ مسلمة بن محارب وبعولتهن بسكون التاء فرارا من ثقل توالى الحركات ، وهو مثـل ماحكى أبو زيد ورسلُنا لديهم يكتبون بسكون اللام وذكر أبو عمرو أن لغة تميم تسكين المرفوع من يعلمهم ونحوه ه

وذكر الفراء ان من العـرب من يقول أنلزمْكموها بتسكين الميم طلبا للتخفيف لما توالت الحركات ؛ وقال بعض القراء نقل عن أبي عمرو انه كان يسكن الهمزة من بارئكم في الموضعين ـ والراء من يأمركم ويأمرهم وتأمرهم

و ينصركم و يشعركم حيث وقع . . وهي لغة بني أسد وتميم و بعض أهل نجد طلبا للتخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد كيأمركم . أو نوعين كبارئكم . ونقل عنه أنه كان يختلس الحركة في ذلك ويدخل فيما ذكر اجراء الوصل مجرى الوقف . وقد وقع ذلك في قراءة حمزة أحد السبعة فقد ثبت عنه انه قرأ ومكر السيْ بسكون الهمزة في حال الوصل أجراء له مجرى الوقف . وروي عن نافع انه قرأ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . باسكان ياء الاضافة من محياي في حال الوصل اجراء له مجري الوقف . وروي عنه أنه قرأها كسائر القراء بالفتح . . ومن وقف على هذا الامر وعرف المواضع اللائقة به أمكنه ان يأتي به في قراءته على وجه تستحسنه العامة ولا تنكره الخاصة

﴿ تنبيه ﴾

قد يطلق الوقف على ما يشمل السكت . والسكت هو ان يقف وقفة خفيفة من غير تنفس قال بعض القراء : والصحيح انه مقيد بالسماع والنقل . ولا يجوز الا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته ، وقيل انه يجوز في رؤوس الآي مطلقا حالة الوصل لقصد البيان . وقد حمل بعضهم الحديث الآتي على ذلك . روى أبو داود وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ قطع قراءته آية آية . يقول بسم الله الرحمن الرحيم . ثم يقف . الحمد لله رب العالمين . ثم يقف . الرحمن الرحيم . ثم يقف . وقد استدل بعضهم بذلك على ان الوقف على رؤوس الآيات وان تعلقت بما بعدها سنة . الا ان أكثر القراء يتبعون في الوقف المعنى وان لم يكن رأس آية وقد اعترض عليهم بعض المتأخرين . فزعم ان هذا خلاف السنة وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف عند كل آية . وقد ذهل هذا المعترض عن مثل . فويل للمصلين .

الذين هم عن صلاتهم ساهون . فانه لايجوز الوقف فيه على المصلين وان كان آخر آية لايهامه خلاف المراد

الفائدة الرابعة

وهي في اعراب مثل أحمد شاه ومحمد شاه ومظفر شاه عند الباحثين في مثل ذلك ثلاثة أقوال .

القول الاول اجراء الاعراب على آخر الجزء الثاني و بناء آخر الجزء الاول على الفتح

القول الثاني اجراء الاعراب على آخر الجزء الثاني و بناء آخر الجزء الاول على السكون

القول الثالث اعراب آخر الجزء الاول وجعل الجزء الثاني من التوابع

أما القول الاول فهو مبني على ان هذه الاسماء مركبة تركيبا مزجيا مثل بعلبك فوجب ان يكون حكمها حكمه

وأما القول الثاني فهو مبني على ان العجم يسكنون آخر الجزء الاول من هذه الاسماء فوجب ان نجاريهم على ذلك بناء على ان الاعلام تصان عن التغيير حتى ان بعض العلماء سوغوا ان ينطق بالاعلام الاعجمية كما ينطق بها أهلها وان كان فيها شيء من الحروف أو الحركات التي لا توجد في اللغة العربية . وذلك لان الاعلام غير داخلة في اللغة بالذات . وأما الجزء الثاني فيجري الاعراب على آخره مع المنع من الصرف وقد فعلت العرب مثل ذلك في معدي كرب فانهم بنوا آخر الجزء الاول على السكون وأجروا الاعراب على آخر الجزء الثاني مع منع الصرف وهو من هذا القبيل و بذلك يرتفع

استغراب هذا القول- وفي معدي كرب وجه آخر وهو اضافة معدي الى كرب الا ان كرب يجوز فيه وجهان - الصرف فتقول معدي كرب بالخفض والتنوين - وعدم الصرف فتقول معدي كرب بالفتح من غير تنوين - والاعراب في معدي مقدر - والمانع من ظهوره اسكان الياء لاجل التخفيف - وكما تجوز الاضافة في معدي كرب تجوز الاضافة في بعلبك فتجري وجوه الاعراب على بعل وتضيفه الى بك والظاهر انه تجوز الاضافة في الاسماء المذكورة سواء جعلناها مثل بعلبك أو مثل معدي كرب - فتقول بناء على انها مثل بعلبك جاء أحمدُ شاهٍ بضم الدال ورأيت أحمدَ شاه بفتح الدال ومررت بأحمدِ شاه بكسر الدال ولحقه الجر بسبب اضافته الى شاه وأما شاه فهو مجرور منون لاضافة أحمد اليه ولم يمنع من الصرف مع عجمته لكونه على ثلاثة أحرف -.
وتقول بناء على انها مثل معدي كرب جاء أحمدْ شاهٍ ورأيت احمد شاهٍ ومررت بأحمد شاهٍ باسكان الدال في الاحوال الثلاث وخفض شاه مع التنوين الا ان الاسكان فيه لا يخلو عن شيء لان العرب انما فعلته فيما في آخره ياء نحو ذهبوا أيدي سبا أي متفرقين مثل أهل سبا. ولا أفعله حيري دَهرٍ أي أبدا والاضافة المذكورة في مثل معدي كرب وبعلبك ليست حقيقية بل هي صورية كما لا يخفى - وقد جوز بعض العلماء فيهما وجها آخر وهو أن يبنى الجزء الثاني منهما أيضا على الفتح تشبيها بما تضمن الحرف نحو خمسة عشر وهو ضعيف والافصح بناء الجزء الاول منهما واعراب الجزء الثاني اعراب ما لا ينصرف

واعترض على القول الثاني من وجهين (الوجه الاول) ان العجم كما يسكنون آخر الجزء الاول يسكنون آخر الجزء الثاني - فان لزم مجاراتهم في تسكين

آخر الجزء الاول يلزم مجاراتهم في تسكين آخر الجزء الثاني وحينئذ تصير هـذه الاسماء من قبيل ما يحكي لا من قبيل ما يعرب ولا قائل بذلك .

(الوجـه الثاني) ان العرب قد فتحت آخر الجزء الأول في نظـائرها نحو رامَهُرْمُز ولم تتركه على حاله الاّ في بغداد وآذَرْبيجان في لغة قليـلة وهي لغة من مدّ الهمزة وفتح الذال وسكن الراء وهو شاذ لايقاس عليـه . و يمكن ان يجاب عن ذلك بأن يقال ان مجاراتهم في تسكين آخر الجزء الاول لاتقتضي مجاراتهم في تسكين آخر الجزء الثاني لان المجاراة في الامر الاول لا تفضي الى محذور بخلاف المجاراة في الامر الثاني لانها تفضي الى ترك الاعراب الذي هو من أهم مايعنى به العرب وهو أمر يكاد يكون بينا على أن تحريك أواخر الكلم الساكنة بسبب الاعراب لا تستوحش منه العجم لانهم قد يفعلون مثل ذلك سواء كان في الاعلام أو في غـيرها لأمر تقضي به لغتهم وهو أمر معروف عند الباحثين . وأما ما ذكر من أن العرب لم تجار العجم في اسكان آخر الجزء الاول الا فى بغداد وآذرْبيجان فى لغة ففيه شيء . ومن نظر فى كتب أسماء البلدان ونحوها تبـين له ان آخر الجزء الاول قد يكون مفتوحا مثل شهرَزور وقد يكون مضموما مثل صُغُندُبيل وقد يكون مكسورا مثل طبرِستان وقد يكون ساكنا مثل سمرْقند والخطب فى ذلك سهل .

وأما القول الثالث فهو مبني على ان مثل أحمد شاه ليس بين جزئيه مزج حتى يجعل مجموعهما هو العلم و يعرب باعراب واحـد . وانما العلم فيه هو الجزء الاول وهو أحمد . وأما شاه فهو لقب ذكر بعده على عادة العجم فى ذكر لفظ شاه بعد كل علم من أعلام سلاطينهم تعظيما لهم فيكون من قبيل ما اجتمع فيه الاسم مع اللقب مثل سعيد كرز و يكون حكمه في الاعراب حكمه والحكم في

مثل ذلك أن يجري الاعراب على الجزء الاول على حسب ماتقتضيه العوامل وعلى الجزء الثاني اما أن يكون تابعا له فى اعرابه أما على انه بدل منه أو عطف بيان عليه . وأما على أن يكون مضافا اليه

وهنا أمور ينبغي الوقوف عليها (الامر الاول) المراد بالاسم الاعجمي ماليس من لغة العرب سواء كان من لغة الفرس أم الروم أم الهند أم من لغة غيرهم . (الامر الثاني) يشترط لمنع العجمة من الصرف أن يكون الاسم الاعجمي قد استعمل في كلام العرب أولاً مع العلمية سواء كان قبل استعماله فيه علما أيضا كابراهيم واسماعيل أو لا كقالون فانه الجيد بلسان الروم سمى به نافع راويه عيسى لجودة قراءته فان استعمل فى كلام العرب أولاً غير علم كديباج واستبرق ثم جعل بعد ذلك علما لم تؤثر العجمة التي فيه في منع الصرف لتصرف العرب فيه كتصرفهم في كلماتهم بادخال الالف واللام عليه والاشتقاق منه . (الامر الثالث) ماكان من الاسماء الاعجمية موافقا لما فى اللسان العربي نحو اسحق فانه فيه مصدر أسحق بمعنى أبعد ونحو يعقوب فانه فيه بمعنى ذكر الحجل . ان جعل شيء منه اسم رجل أتبع فيه قصد المسمى . فان قصد اسم النبي منع من الصرف للعلمية والعجمة . وان عنى مدلوله فى اللسان العربي صرف . وإن جهل قصد المسمى حمل على ماجرت به عادة الناس . واختلفوا فيما اذا سمت العرب باسم مجهول أو باسم ليس من عادتهم التسمية به فقيل يجري مجرى الاعجمي لشبهه به من جهة أنه ليس معهودا في أسمائهم كما أن العجمي كذلك وعلى هذا الفراء وقيل لا . وهو الاصح . وعليه البصريون

الفائدة الخامسة

اذا سميت السور بأسماء حروف المعجم التي في أوائلها فان لم يتأت فيها

لاعراب مثل ألم وألمص وكهيعص تعينت فيها الحكاية. وان تأتى فيها الاعراب نحو ن ويس وطس وطسم قيل يتعين فيها الاعراب ولا تسوغ فيها الحكاية. وقيل يسوغ فيها الامران الاعراب والحكاية وهذا هو مذهب العلامة الزمخشري وقد ذكر ذلك في الكشاف وقد اعترض عليه في ذلك كثير من الناظرين فيه بناءً على ان الحكاية انما تسوغ للضرورة ولا ضرورة هنا لتأتي الاعراب الذي هو الاصل فيها وقد ظن بعضهم ان هذا مما انفرد به وليس الامر كذلك - وقال الزجاج في كتاب ماينصرف وما لا ينصرف في باب أسماء السور: فأما قولك هذه قاف وهذه نونٌ فلك في نون ثلاثة أوجه، ان شئت قلت هذه نونٌ تريد هذه سورة نونَ وتحذف السورة كما قلت في هود، وان شئت قلت هذه نونُ ياهذا - فجعلتها اسما للسورة ولم تصرفها، وان شئت قلت هذه نونْ ياهذا موقوفة - فحكيت الحرف على ماكان يلفظ به في السورة، وفيها وجه رابع - ان تصرفها وانت تريد اسم السورة لان نون مؤنثة - فتصرفها فيمن صرف هندا - والاجود ترك الصرف - فكذلك قاف وصاد على ما فسرنا في نون. فانظر كيف سوّغ الحكاية في مثل نون مع كونه مفردا - مع ان المعترضين يرون ان الاشكال في حكاية مثل ذلك أشد من الاشكال في حكاية مثل طس مما كان مركبا

ثم قال: وأما طس ويس فالاجود أن تقول هذه طاسينُ وياسينُ ولا تصرف - وتجريهما مجرى الاسماء الاعجمية نحو هابيل وقابيل - . قال سيبويه وان شئت أسكنت اذا أردت حكاية الحرف

فاذا قلت هذه طسم فالاجود انْ تفتح آخر سين وتضم آخر ميم فتقول هذه طاسينَ ميمُ - فتجعل طاسين اسما وميم اسما وتضم أحدهما الى الآخر،

فتجريهما مجرى حضرموت و بعلبك ، وان شئت أسكنت كما أسكنت في السورة

فأما كهيعص فليس فيها الا الحكاية لانه لا يجوز ان يجعل خمسة أشياء اسما واحدا ،

فاذا قلت طه فهذه على ضربين - ان شئت حكيت - وان شئت جعلته اسما للسورة فلم تصرف - . والحكاية في هذا والاعراب سواء - لان آخره ألف - فالتقدير فيها اذا كانت معربة أنها في موضع رفع ه‍ -

وقد ذكر بعضهم علة لتجويز الحكاية فيما ذكروهي ان أسماء الحروف كثر استعمالها معدودة ساكنة الاعجاز موقوفة حتى صارت هذه الحالة كأنها أصل فيها وما عداها عارض لها - فلما جعلت أسماء للسور جوزت حكايتها على تلك الهيئة الراسخة فيها تنبيها على ان فيها شمة من ملاحظة الاصل لان مسمياتها مركبة من مدلولاتها الاصلية أعني الحروف المبسوطة التي يتركب منها الكلم والمقصود من التسمية بها الايقاظ لمن تُحدّي بالقرآن والتحريك لهم النظر في هذا المتلو عليهم المنظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فان النظر في ذلك يؤديهم الى أن يستيقنوا بأنهم لم يعجزوا عن الاتيان بمثله بعد أن تُحدوا به مرة بعد مرة وهم أمراء الكلام الا لانه ليس بكلام البشر وانما هو كلام خالق القُوى والقُدر ؛ فتجويز الحكاية في هـذه الاسماء مخصوص بحال كونها أعلاما للسور - فلو سمي رجل بنون مثلا لم تجز الحكاية فانتبه لما ذكر تخلص من الحيرة في هذا المقام

﴿ تنبيه ﴾

لا يثنى المحكي مثل تأبط شرّا ولا يجمع - فاذا احتيج الى ذلك تُوصّل

الى تثنيته بنحو ذوا . والى جمعه بنحو ذوو فيقال جاءني ذوا تأبط شرًّا أي صاحبا هذا الاسم وجاءني ذوو تأبط شرا أي أصحاب هذا الاسم وعلى ذلك لا يسوغ جمع حاميم . وقد جمعها العامة وقالوا في جمعها الحواميم . وقد أنكر ذلك كثير من علماء العربية ومن ثم قال الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص: ويقولون قرأت الحواميم والطواسين . ووجه الكلام فيهما ان يقال قرأت آل حم وآل طس كما قال ابن مسعود آل حم ديباج القرآن وكما روي عنه انه قال اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دَمِثات . اتأنق فيهنّ . وعلى هذا قول الكميت بن يزيد في الهاشميات

وجدنا لكم في آل حم آيةً تأولها منّا تقيٌّ ومعرب

يعني بالآية قوله تعالى في حم عسق . قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ه وأراد بآل حم السور التي في أولها حم ، وقال أبو عبيدة الحواميم سور في القرآن على غير قياس وأنشد

وبالطواسين التي قد ثلّثت وبالحواميم التي قد سبّعت

قال والاولى ان تجمع بذوات حم

الدمثات جمع دمثة وهي اللينة السهلة . وتأنق في الروضة وقع فيها معجبا بها

وقد رأينا ان نذكر هنا أمرا مهما لا ينبغي ان يغفل عنه . وهو انه قد يذكر في كتب القراءة أو غيرها أمر لا يكفي في معرفته مجرد البيان بل يحتاج فيه الى التلقي من الواقفين عليه من أهل ذلك الشان مثل مقدار المهلة التي ينبغي ان تكون حال الوقف في كل قسم من أقسامه ، فاذا رأى الباحث شيئا من ذلك ولم يجد من يتلقاه منه فليجر على نحو الطريقة التي جرى عليها الاستاذ عبد الواجد المالقيّ في أمر المدّ ان أمكنه ذلك وقد ذكرها في شرحه

على التيسير للحافظ الداني حيث قال: قال الحافظ وهذا كله على التقريب من غير افراط. يريد بهذا كله ما ذكر من كون بعضهم يزيد على بعض في تطويل المد. يقول ليس بين مد حمزة وورش ومد عاصم الا مقدار يسير. وكذلك زيادة مد عاصم على مد الكسائي وابن عامر بمقدار يسير. وهكذا سائرها.

والمعتبر في ذلك ان القرآن إنما نزل بلسان عربي مبين. فاذا كان كذلك فالمحصل يميّز بعقله المقدار الذي يمكن استعماله في المخاطبات عند قصد البيان والتثبت في الخطاب من الصبر والتبيين لآحاد الكلمات بحيث لا تخرج الكلم معه عن المعتاد الى ما تنفر منه الطباع وما يستعمل أيضا من الهذّ والاسراع الذي لا يخل بالحروف ولا يميتها. فتعلم أن التلاوة ينبغي أن تكون دائرة بين هذين الطرفين. وهذا معنى قوله وانما ذلك على مقدار مذاهبهم في التحقيق والحدر. يريد بالتحقيق تمكين الحروف والصبر على حركاتها والتثبت في بيانها. ويريد بالحدر الاسراع والهذّ. ومذاهب القراء في ذلك لا بد أن تكون موافقة لما عليه كلام العرب الذي نزل القرآن به؛ فمن مذهبه من القراء الصبر والتمكين فانه يزيد في المد من تلك النسبة، ومن مذهبه الحدر والاسراع فانه يمد بتلك النسبة، ومن توسط فعلى حسب ذلك. وحينئذ يتناسب المد والتحريك، ولو أن المسرع بالحركات أطال المد والممكن للحركات قصر المدّ لأدى ذلك الى تشتت اللفظ وتنافر الحروف، والله أعلم

الفصل التاسع

وهو في عدد سور القرآن وأجزائه

أن سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وهي في مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لانه لم يكتب فيه المعوذتين وهي في مصحف ابيّ مائة وست عشرة لانه كتب في آخره دعاء القنوت وجعله فيه في صورة سورتين وقال بعضهم هي فيه مائة وخمس عشرة سورة لانه جعل فيه سورة الفيل وسورة لئلاف قريش سورة واحدة ؛ ونقل عن مجاهد أنه جعل سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة ـ وذلك لجعله سورة الانفال وسورة براءة سورة واحدة ،

وأما أجزاء القرآن فهي مختلفة باختلاف التجزئة وقد جزأ العلماء القرآن تجزئات شتى ـ منها التجزئة الى ثلاثين جزءًا ـ . فقد جزؤوه اليها أولا وأطلقوا على كل واحد منها اسم الجزء ـ بحيث لا يخطر بالبال عند الاطلاق غيره ـ فاذا قال قائل قرأت جزءًا من القرآن تبادر للذهن انه قرأ منه جزءًا من الاجزاء الثلاثين وقد جرى على ذلك أصحاب الربعات ـ ويوجد كثير منها في المدارس وغيرها . ثم جزؤوا كل واحد من هذه الاجزاء الثلاثين الى جزئين فصارت الاجزاء بذلك ستين ـ وقد أطلقوا على كل واحد منها اسم الحزب ثم جزؤوا كل واحد من هذه الاحزاب الستين الى ثمانية أجزاء فصارت الاجزاء بذلك أربعمائة وثمانين جزءًا فاذا حفظ من يريد حفظ القرآن في كل يوم من ذلك جزءا أعني ثمن حزب أتم حفظه في نحو سنة وأربعة أشهر، وقد جرت عادة كثير من نساخ الكتاب العزيز ان يذكروا اسم الحزب وأثمانه

في حاشية المصحف غير أنهم يكتبون ذلك بخط مخالف لخطه ومداد مخالف لمداده

وقد رأيت أن أورد الاحزاب هنا في جدول أبين فيه اسم كل حزب وأوله وآخره . وعدد الآية التي في آخره . واسم السورة التي وقعت فيها . وقد دللنا على اسم الحزب بالرقم فرقم ١ يدل على الحزب الاول ورقم ٢ يدل على الحزب الثاني وهكذا الحال الى رقم ٦٠ فانه يدل على الحزب المتم للستين وهو آخر الاحزاب

وها هو ذلك الجدول : —

أسماء الاحزاب	أوائلها	أواخرها	عدد الآية	اسم السورة
١	الفاتحة	وما الله بغافل عما تعملون	٧٤	البقرة
٢	أفتطمعون أن يؤمنوا لكم	ولا تسألون عما كانوا يعملون	١٤١	البقرة
٣	سيقول السفهاء	والله سريع الحساب	٢٠٢	البقرة
٤	واذكروا الله	وانك لمن المرسلين	٢٥٢	البقرة
٥	تلك الرسل	والله بصير بالعباد	١٥	آل عمران
٦	الذين يقولون ربنا اننا آمنا	وما لهم من ناصرين	٩١	آل عمران
٧	لن تنالوا البر	ان الله على كل شيء قدير	١٦٥	آل عمران
٨	وما أصابكم يوم التقى الجمعان	ان الله كان غفورا رحيما	٢٣	النساء
٩	والمحصنات من النساء	وكان الله على كل شيء مقيتا	٨٥	النساء
١٠	واذا حييتم بتحية	وكان الله شاكرا عليما	١٤٧	النساء
١١	لا يحب الله الجهر بالسوء	وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين	٢٣	المائدة
١٢	قالوا ياموسى انا لن ندخلها	وأنهم لا يستكبرون	٨٢	المائدة

أسماء الاحزاب	أوائلها	أواخرها	عدد الآية	اسم السورة
١٣	واذا سمعوا ما أنزل	بآيات الله يجحدون	٣٣	الانعام
١٤	ولقد كذبت رسل من قبلك	ونذرهم في طغيانهم يعمهون	١١٠	الانعام
١٥	ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة	أو هم قائلون	٤	الاعراف
١٦	فما كان دعواهم	وهو خير الحاكمين	٨٧	الاعراف
١٧	قال الملأ الذين استكبروا	وانه لغفور رحيم	١٨٧	الاعراف
١٨	وقطعناهم في الارض أمما	نعم المولى ونعم النصير	٤٠	الانفال
١٩	واعلموا أنما غنمتم من شيء	ولو كره المشركون	٣٢	التوبة
٢٠	يا أيها الذين آمنوا أن كثيرا	ألا يجدوا ما ينفقون	٩١	التوبة
٢١	انما السبيل على الذين يستأذنونك	الى صراط مستقيم	٢٥	يونس
٢٢	للذين أحسنوا الحسنى	انه عليم بذات الصدور	٥	هود
٢٣	وما من دابة في الارض الا	واليه أنيب	٨٨	هود
٢٤	ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي	لا يهدي كيد الخائنين	٥٢	يوسف
٢٥	وما أبرئ نفسي	وبئس المهاد	١٨	الرعد
٢٦	أفمن يعلم	وليذكر أولوا الالباب	٥٢	خاتمة ابراهيم
٢٧	ألر . تلك آيات الكتاب	وعلى ربهم يتوكلون	٤٢	النحل
٢٨	وما أرسلنا من قبلك الا رجالا	والذين هم محسنون	١٢٨	خاتمة النحل
٢٩	سبحان الذي أسرى بعبده	انه كان بعباده خبيرا بصيرا	٩٦	الاسراء
٣٠	ومن يهد الله فهو المهتد	لقد جئت شيئا نكرا	٧٤	الكهف
٣١	قال ألم أقل لك	ويأتينا فردا	٨٠	مريم
٣٢	واتخذوا من دون الله آلهة	ومن اهتدى	١٣٥	خاتمة طه
٣٣	اقترب للناس حسابهم	المستعان على ما تصفون	١١٢	خاتمة الانبياء

أسماء الاحزاب	أوائلها	أواخرها	عدد الآية	اسم السورة
٣٤	يا أيها الناس اتقوا ربكم	فنعم المولى ونعم النصير	٧٨	خاتمة الحج
٣٥	قد أفلح المؤمنون	وان الله رؤف رحيم	٢٠	النور
٣٦	يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا	وكان ربك بصيرا	٢٠	الفرقان
٣٧	وقال الذين لا يرجون لقاءنا	ولا تطيعوا أمر المسرفين	١٥١	الشعراء
٣٨	الذين يفسدون في الارض	بل أنتم قوم تجهلون	٥٥	النمل
٣٩	فما كان جواب قومه	ونكون من المؤمنين	٤٧	القصص
٤٠	فلما جاءهم الحق	والله يعلم ما تصنعون	٤٥	العنكبوت
٤١	ولا تجادلوا أهل الكتاب	بل الظالمون في ضلال مبين	١١	لقمان
٤٢	ولقد آتينا لقمان الحكمة	وكان ذلك على الله يسيرا	٣٠	الاحزاب
٤٣	ومن يقنت منكن	ولا تستقدمون	٣٠	سبأ
٤٤	وقال الذين كفروا	وجعلني من المكرمين	٢٧	يس
٤٥	وما أنزلنا على قومه من بعده	الى يوم يبعثون	١٤٤	الصافات
٤٦	فنبذناه بالعراء	عند ربكم تختصمون	٣١	الزمر
٤٧	فمن أظلم ممن كذب	يرزقون فيها بغير حساب	٤٠	حم المؤمن
٤٨	وياقوم مالي أدعوكم	وما ربك بظلام للعبيد	٤٢	حم السجدة
٤٩	اليه يرد علم الساعة	ورحمة ربك خير مما يجمعون	٣٢	الزخرف
٥٠	ولولا أن يكون الناس	وهو العزيز الحكيم	٣٧	خاتمة الجاثية
٥١	حم. تنزيل الكتاب من الله	وكان الله عزيزا حكيما	٧	الفتح
٥٢	انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا	انه هو الحكيم العليم	٣٠	الذاريات
٥٣	قال فما خطبكم أيها المرسلون	فبأي آلاء ربكما تكذبان	١٣	الرحمن
٥٤	خلق الانسان من صلصال	والله ذو الفضل العظيم	٢٩	خاتمة الحديد

أسماء الاحزاب	أوائلها	أواخرها	عدد الآية	اسم السورة
٥٥	قد سمع	والله لا يهدي القوم الفاسقين	٥	الصف
٥٦	وإذ قال عيسى بن مريم	وكانت من القانتين	١٢	خاتمة التحريم
٥٧	تبارك الذي بيده الملك	أم أراد بهم ربهم رشدا	١٠	الجن
٥٨	وأنا منا الصالحون	فبأي حديث بعده يؤمنون	٥٠	والمرسلات
٥٩	عم يتساءلون	ثم ان علينا حسابهم	٢٦	الغاشية
٦٠	والفجر وليال عشر	من الجنة والناس	٦	خاتمة الناس

وهي آخر القرآن

واذا أردت أن تقرأ هذا الجدول تقول: الحزب الاول أوله الفاتحة. وآخره وما الله بغافل عما تعملون. وهي الآية الرابعة والسبعون من سورة البقرة. وهكذا الحال الى آخره

وقد اختلف المجزئون في بعض المواضع وهي قليلة جدا. وذلك مثل الحزب السادس فان بعضهم يجعل آخره. وأولئك هم الضالون. وهي الآية المتممة للتسعين من آل عمران. فيكون أول الحزب السابع. ان الذين كفروا. وبعضهم يجعل آخره. وما لهم من ناصرين. وهي الآية الحادية والتسعون منها. وهو الاولى. وذلك ليكون أول الحزب السابع لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. وهذه الآية أنسب مما قبلها لان تكون أول الحزب لان ما قبلها له نوع تعلق بما قبله. والجدول المذكور يستخرج منه انصاف القرآن واثلاثه وأرباعه وأخماسه وأسداسه واعشاره. وبقيت التجزئة الى الاسباع والاثمان والاتساع وغير ذلك. وقد رأينا ان نقتصر منها على الاسباع فنقول :

أول السبع الاول. الفاتحة. وآخره. يصدون عنك صدودا. في النساء.

وأول السبع الثاني - فكيف اذا أصابتهم مصيبة - وآخره - انا لا نضيع أجر المصلحين - في الاعراف

وأول السبع الثالث - واذ نتقنا الجبل فوقهم - وآخره - لعلهم يتذكرون. في ابراهيم

وأول السبع الرابع - ومَثلُ كلمةٍ خبيثة كشجرة خبيثة - وآخره من مال وبنين - في المؤمنون

وأول السبع الخامس - نسارع لهم في الخيرات - وآخره فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين - في سبأ

وأول السبع السادس - وما كان لهم من سلطان - وا خره - خاتمة الفتح

وأول السبع السابع سورة الحجرات وآخره - سورة الناس

ومن أراد الزيادة على ذلك فليرجع الى كتاب فنون الافنان في عجائب علوم القرآن للعلامة عبد الرحمن بن الجوزي فقد أوسع القول في ذلك

الفصل العاشر في عدد الآيات

ويشتمل على مباحث

﴿ المبحث الاول ﴾

الآيات جمع آية - والآية في أصل اللغة قد تكون بمعنى العلامة - قال تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت - أي علامة ملكه - وقد تكون بمعنى العبرة والامر العجيب - قال تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية - أي عبرة وقال تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين - أي عبر. وقد تكون بمعنى الجماعة يقال خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا قال برج

بن مسهر الطائي

خرجنا من النقبين لاحيّ مثلُنا   بآيتنا نُزجي اللقاح المطافلا

والآية في الاصطلاح هي الواحدة من المعدودات في السور . وقيل هي جمل من القرآن ذات مبدأ ومقطع مندرجة في سورة، وقيل هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وعما بعدها وسميت بذلك لانها علامة على صدق من أتى بها، وقيل لانها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها عما بعده منه . قال الواحديّ وبعض أصحابنا يجوّز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية لولا ان التوقيف ورد بما هي عليه الآن ، وقيل سميت بذلك لانها أمر عجيب من جهة نظمها والمعاني المودعة فيها وقيل لأنها جماعة حروف

﴿ المبحث الثاني ﴾

من الآيات آيات طوال . ومنها آيات قصار ، وأكثر الآيات الطوال في السور الطوال ، وأكثر الايات القصار في السور القصار

وأطول آية في القرآن آية الدّين . فانها مائة وثمانية وعشرون كلمة ، وهي في سورة البقرة وهي أطول سورة فيه وأقصر آية فيه . والضحى . وهي خمسة أحرف في اللفظ وهي أقصر من . ثمّ نظر . لأنها ستة أحرف في اللفظ . ومن . مدهامتان . لانها تسعة أحرف في اللفظ . غير أنها كلمة واحدة . وهي كلمتان . وليس في القرآن كلمة واحدة هي وحدها آية الا مدهامتان . وهي في سورة . الرحمن . والرحمن ، في أول هذه السورة . والحاقة . في أول سورة الحاقة . والقارعة . في أول سورة القارعة ، وقد اقتصر بعض العلماء على مدهامتان فقال ليس في القرآن كلمة واحدة هي آية الا مدهامتان . وذلك لوقوع الاتفاق عليها بخلاف ما سواها فانه قد اختلف فيه

﴿ المبحث الثالث ﴾

قال بعض العلماء معرفة الآيات تتوقف على التوقيف. ولا مجال للقياس فيها ، واستدل على ذلك بما يأتي - وهو ان العلماء عدوا المص آية - ولم يعدوا نظيرها وهو المر آية ، وعدوا يس آية - ولم يعدوا نظيرها وهو طس آية ، وعدوا حم عسق آيتين - ولم يعدوا نظيرها وهو كهيعص آيتين بل آية واحدة ، فلو كان الامر في ذلك مبنيا على القياس لكان حكم المثلين فيما ذكر واحدا ولم يكن مختلفا - وما ذكر هو مذهب الكوفيين فانهم عدوا كل فاتحة من فواتح السور التي فيها شيء من حروف الهجاء آية سوى حم عسق فانهم عدوها آيتين - وسوى طس وما فيه را وهو ألر وألمر - وما كان مفردا وهو قاف وصاد ونون فانهم لم يعدوا شيئا منه آية

وأما غير الكوفيين فانهم لم يعدوا شيئا من الفواتح آية وقد أشار الى ذلك صاحب الكشاف في تفسير ألم ذلك الكتاب حيث قال : فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض - قلت هـذا علم توقيفيّ لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ، أما ألم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها - وهي ست ، وكذلك ألمص آية ، والمر لم تُعدّ آية ، والمر ليست بآية في سورها الخمس ؛ وطسم آية في سورتيها ، وطه ويس آيتان ، وطس ليست بآية ، وحم آية في سورها كلها ، وحم عسق آيتان ، وكهيعص آية واحدة ؛ وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية ، هذا مذهب الكوفيين ، ومن عداهم لم يعدوا شيأ منها آية .

فأن قلت فكيف عـد ما هو في حكم كلمة واحـدة آية - قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف. ه وقال بعضهم

لم يعدوا ص ون وق ـ لانها على حرف واحد . . ولا طس لأنها خالفت أختيها بحذف الميم ـ ولأنها تشبه المفرد كقابيل ـ ويس وان كانت بهذا الوزن لكن أولها يا فأشبهت الجملة اذ ليس لنا مفرد أولها يا . . ولم يعدوا ألر وعدوا ألم لان ألم أشبه بالفواصل من ألر ـ ولذلك أجمعوا على عد ياأيها المدثر آية لمشاكلته الفواصل التي بعده ـ واختلفوا في يا أيها المزمل . ه

بقي أن يقال ان حم مثل طس في الوزن وفي عدم وجود يا في أولها فلم عدت آية دونها ـ وأما حم عسق فقد ذكر بعضهم أن السبب في عد الكوفيين لها آيتين مع عدم مايماثلها مثل كهيعص آية أنهم وجدوها قد كتبت في جميع المصاحف مفصولة فعدواحم وحدها آية كما عدوا نظائرها ـ وعدوا أيضا عسق آية غيرأنه لايسوغ الوقف على حم ـ ومن وقف عليه اضطرارا أعاده والوقف على عسق تام وقيل كاف وأما ما يماثلها فلم يكتب في شيء من المصاحف مفصولا ولذلك لم يعدوه آيتين .

﴿ المبحث الرابع ﴾

قال بعض العلماء : سبب اختلاف السلف في عدد الآي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف ـ فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة .

والفاصلة هي الكلمة التي تكون آخر الآية ـ وهي كقرينة السجع في النثر وقافية البيت في الشعر ـ وتجمع على فواصل ـ ومعرفة الفواصل هو العمدة فيما نحن فيه ولمعرفتها طريقان توقيفي وقياسي

أما التوقيفي ـ فما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة . . وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة . . وما وقف عليه مرة

ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أولتعريف الوقف التام أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها ،

وأما القياسي فهو ما ألحق من غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه لامر يقتضي ذلك . ولا محذور في ذلك لانه لازيادة فيه ولا نقصان . وانما غايته انه محل فصل أو وصل . والوقف على كل كلمة جائز . ووصل كل كلمة جائز

والاصل في الفاصلة ان تكون مشاكلة للطرفين أو لأحدهما . ومن ثم أجمع العادون على ترك عدّ ولا الملائكة المقربون . في النساء لان ماقبله وكيلا وما بعده جميعا . وهو غير مشاكل لهماوعلى ترك عدّ وعنت الوجوه للحيّ القيوم. في طه لأن ماقبله علماوما بعده ظلما . وهو غير مشاكل لهما . وعدّوا إن يقولون الاّ كذبا . في الكهف . لان ما قبله ولدا . وما بعده أسفا . وهو مشاكل لهما وعدّوا السلوى. في طه . لان ماقبله هدى وما بعده هوى . وهو مشاكل لهما

وقد يتوجه في بعض المواضع في الكلمة أمران . أحدهما يقتضي عدها من الفواصل . والآخر يقتضي خلاف ذلك . فيعدها بعضهم دون بعض

فمن ذلك عليهم . الاولى في الفاتحة .. وسبب الاختلاف في ذلك مع اتفاقهم على ان آيات الفاتحة سبع اختلافهم في البسملة المكتوبة في أولها .هل هي آية منها أم لا فمن رأى انها آية منها جعل الآية السابعة صراط الذين انعمت عليهم . الى آخر السورة . فلا تكون عليهم عنده فاصلة لوقوعها في أثناء الآية لا في آخرها . ومن رأى انها ليست بآية منهاجعل الآية السابعة مابعد عليهم . فتكون عليهم عنده فاصلة لوقوعها في آخر الآية اعني الآية السادسة

ومن المرجحات لعدها فاصلة انه بذلك تتناسب الآيات في المقدار بخلاف ماإذا لم تعدفاصلة فأنه بذلك تزيد الآية الاخيرة على ماسواها كثيرا .

ومن المرجحات لعدم عدها فاصلة أنها لا تشاكل فواصل الفاتحة - فانه جاء في كل واحدة منها قبل الحرف الاخير ياء مد وهذه ليست كذلك - ومع هذا فأنها لم تجئ فاصلة في سورة من السور

ومن ذلك نحن مصلحون - في البقرة - عده غير الشامي لمشاكلته لماقبله ولما بعده وهما يكذبون ويشعرون - ولم يعده الشامي لتعلقه بما بعده من جهة المعنى

ومن ذلك الحي القيوم - في آية الكرسي - عده المدني الاخير والمكي والبصري لمشاكلته لما بعده وهو العظيم ولانعقاد الاجماع على عد نظيره في أول آل عمران ولم يعده الباقون مراعاة لظاهر الاثر فأنه ورد فيه تسميتها بآية الكرسي وذلك يشعر بكونها آية واحدة

ومن ذلك وأنزل الفرقان - في آل عمران - عده غير الكوفي لكونه كلاما مستقلا - ولم يعده الكوفي لعدم موازنته لما قبله - ومن ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل - عده الكوفي لكونه كلاما مستقلا - ولم يعده الباقون لعطف مابعده عليه

ومن ذلك ان تضلوا السبيل - في النساء - عده الشاميّ والكوفيّ للاتفاق على عدّ نظيره في الفرقان في قوله تعالى أم هم ضلوا السبيل - ولم يعده الباقون لعدم المشاكلة

ومن ذلك أوفوا بالعقود - في المائدة عده غير الكوفيّ للمشاكلة وانقطاع الكلام - ولم يعده الكوفي لعدم المساواة

ومن ذلك فانكم غالبون - في المائدة - عده البصري للمشاكلة في الطرفين ولم يعده الباقون لاتصال الكلام ولكون ما بعده أقصر

ومن ذلك ما يعلمهم الا قليل - في الكهف - عده المدنيّ الاخير لانقطاع

الكلام - ولم يعده الباقون لعدم المشاكلة

ومن ذلك - ذلك غدا - عده غير المدني الاخير لوجود المشاكلة ولم يعده المدني الاخير لاتصال الكلام

ومن ذلك ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم - في سورة الانبياء - عده الكوفي ولم يعده الباقون لعدم مشاكلته لبقية الآيات - وليس فيها اختلاف في غير هـا

ومن ذلك وما تنزلت به الشياطين - في الشعراء - عده غير المدني الاخير والمكي للمشاكلة وللاتفاق على عد على من تنزل الشياطين - ولم يعده المدنيّ الاخير والمكي لا تصال الكلام

ومن ذلك في بضع سنين - في الروم - عده غير المدني الاول والكوفيّ للمشاكلة - ولم يعده المدني والكوفي لعدم المساواة

ومن ذلك خَلْقٍ جديد - في السجدة - عده غير البصري والكوفي للاتفاق على عد نظائره ولم يعده البصري والكوفي لعدم الموازنة والمساواة

ومن ذلك فلن تجد لسُنت الله تبديلا - في الملائكة - عده الشامي والبصري والمدني الاخير للمشاكلة - ولم يعده الباقون لعدم المساواة

ومن ذلك والقرآن ذي الذكر - في ص - عده الكوفي لانقطاع الكلام - ولم يعده الباقون لعدم المشاكلة والموازنة والمساواة

ومن ذلك ان هؤلاء ليقولون - في الدخان - عده الكوفي لوجود المشاكلة - ولم يعده الباقون لعدم انقطاع الكلام

ومن ذلك الذي ينهى - في اقرأ - عده غير الشاميّ للمشاكلة - ولم يعده الشاميّ لعدم انقطاع الكلام

ومن ذلك والعصر في العصر - عده غير المدني الاخير للمشاكلة - ولم

يعده المدني الاخير لعدم انقطاع الكلام

ومن ذلك بالحق . عده المدني الاخير للاتفاق على ان هذه السورة ثلاث آيات ولم يعده الباقون واتفقوا على ترك عدّ وعملوا الصالحات

﴿ المبحث الخامس ﴾

قد ورد في كثير من الاحاديث والآثار ذكر الآيات على الوجه الذي نحن بصدده . أخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد بن المعلى . قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه . ثم اتيته فقلت يارسول الله اني كنت أصلي . فقال ألم يقل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم . ثم قال لي لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي . . فلما أراد أن يخرج قلت له ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال : الحمد لله رب العالمين . هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . وهذا الحديث يدل على ان المراد بالسبع المثاني في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني . هي الفاتحة لانها سبع آيات تثنى وتكرر في الصلاة وغير الصلاة .. فان قيل أن مافي الحديث السبع المثاني . وما في القرآن سبعا من المثاني . قيل لا اختلاف بين الصيغتين اذ من فيه للبيان ، وفيما ذكر دليل على ان ما نحن بصدده قد ورد ذكره في القرآن . قال في فتح الباري : وفيه دليل على ان الفاتحة سبع آيات . ونقلوا فيه الاجماع لكن جاء عن حسين بن علي الجعفي انها ست آيات لانه لم يعد البسملة . وعن عمرو بن عبيد انها ثمان آيات لانه عدها وعد أنعمت عليهم . وقيل لم يعدها وعد اياك نعبد . وهذا أغرب الاقوال

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي هريرة انه قال قال النبي صلى الله عليه

وسلم : ان لكل شيء سناما ـ وان سنام القرآن سورة البقرة ـ وفيها آية هي سيدة آي القرآن ـ آية الكرسي

وأخرج مسلم والترمذي عن أبيّ بن كعب انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا المنذر ـ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ـ . قلت : الله لا إله الا هو الحي القيوم ـ. فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر

وأخرج الخمسة الا النسائي عن أبي مسعود البدري انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ـ. والآيتان هما آمن الرسول الى آخرها ـ أراد ان من قرأهما في ليلة كفتاه من قيام الليـل أو عن قراءة غيرهما من القرآن أو من شر الشيطان أو من شر الانس والجان

وأخرج البخاري عن ابن عباس انه قال : اذا سرّك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام ـ قد خسر الذين قتلوا أولادهم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين .

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن المسور بن مخرمة انه قال قلت لعبد الرحمن بن عوف : ياخال ـ أخبرنا عن قصتكم يوم أحد ـ قال اقرأ بعـد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا ـ واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال

وأخرج البخاري عن ابن عباس انه قال : بت عنـد خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد ـ فلما كان ثلث الليل الآخر ـ قعد ـ فنظر الى السماء فقال : ان في خلق السموات والارض

واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب - الحديث - وجاء في رواية أخرى فقرأ الآيات العشر الاواخر من آل عمران حتى ختم - والشاهد فيها - وفيما ذكرنا من الآثار كفاية في اثبات ما نحن فيه

والظاهر أن أكثر الفواصل قد أثبتت بطريق النظر والاجتهاد - فان قيل ان هذا يقتضي ان يكون الخلاف فيها كثيرا جدا والامر ليس كذلك - قيل انما يكون الخلاف كثيرا جدا في الامور الغامضة البعيدة المدرك - والفواصل في أكثر المواضع ليست كذلك ، قال الامام الشاطبي في قصيدته المسماة بناظمة الزهر

وليست رؤوسُ الآي خافيةً على ذكيٍّ بها يهتمُّ في غالب الامر

فأن قيل قد ثبت ان العادين اتفقوا في مواضع على عد كلمات من الفواصل وهي لا تشبه الفواصل كما اتفقوا في مواضع على ترك عد كلمات من الفواصل وهي تشبه الفواصل - قيل ان ذلك لا يستبعد أن يكون مما وقفوا فيه على أثر يقتضي ذلك .

ولنذكر لك شيأ من ذلك اتماما للفائدة

فما اتفقوا على عده من الفواصل وهو لا يشبه الفواصل ذلك أدنى أن لا تعولوا - في سورة النساء - وذلك لان فواصلها مبنية على الالف نحو رقيبا وكبيرا ومريأ - وتعولوا ليست كذلك

ومن ذلك - واحلل عقدة من لساني - في طه فأنه لا يشاكل ما قبله ولا مابعده - ومثل ذلك يقال له ابراهيم - في الانبياء وكذلك أم على قلوب أقفالها - في سورة محمد عليه السلام - وليروا اعمالهم - في الزلزلة - وهذا النوع قليل جدا

ومما اتفقوا على ترك عده من الفواصل وهو يشبه الفواصل - الا انهم هم

المفسدون في سورة البقرة - فانه يشاكل ما قبله وهو مصلحون وما بعده وهو يشعرون - والظاهر ان هذه الجملة انما لم تعدّ وحدها آية لاتصالها بما بعدها وهو ولكن لا يشعرون - وعدم مشاكلتها لآيات هذه السورة في المقدار فانه يغلب فيها الطول - وهي في غاية القصر - وهنا أمر ينبغي ان ينتبه له وهو انهم ذكروا انه اذا جاء في موضع كلمتان تصلح كل واحدة منهما لأن تكون فاصلة جعلت المتأخرة منهما هي الفاصلة سواء لم يكن بينهما فصل نحو - فأما من أعطى واتقى - في والليل - أو كان بينهما فصل يسير نحو - لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - في البقرة - وما نحن فيه من هذا القبيل فيتعين ان تكون الفاصلة فيه يشعرون لا المفسدون

ويرد على ما ذكروا قوله تعالى - ثم ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم - فان العادين اتفقوا على انه آيتان الا انهم اختلفوا في فاصلة الآية الاولى منهما فجعلها مَن عدا المدني الاخير والشامي الاولى من الكلمتين الصالحتين لان تكونا فاصلة وهي والآخرين - على خلاف ماذكروا - وجعلها المدني الاخير والشامي الثانية منهما وهي لمجموعون - على وفق ماذكروا

ومن ذلك - أفغير دين الله يبغون - في آل عمران - فانه يشاكل ما قبله وهو الفاسقون وما بعده وهو يُرجَعون - ولم يعدّه أحد

ومن ذلك - وأرسلناك للناس رسولا - في النساء - فانه يشاكل ماقبله وهو حديثا - وما بعده وهو شهيدا - ولم يعده أحد

ومن ذلك - أفحكم الجاهلية يبغون - في المائدة - فانه يشاكل ماقبله وهو لفاسقون - ومابعده وهو يوقنون - ولم يعده أحد

ومن ذلك انما يستجيب الذين يسمعون - في الانعام - فانه يشاكل ما قبله وهو الجاهلين وما بعده - وهو يرجعون ولم يعده أحد

ومن ذلك - أفبالباطل يؤمنون - في النحل - فانه يشاكل ما قبله وهو يجحدون - وما بعده وهو يكفرون - ولم يعده أحد

ومن ذلك - هل يستوون - في السورة المذكورة - فانه يشاكل ماقبله وهو لا تعلمون - وما بعده وهو لا يعلمون - ولم يعده أحد - ومن وفّى هذه المباحث حقها من النظر لم يخف عليه في الغالب السر في عدّ ما عدوه وفي عدم عد مالم يعدّوه

﴿ المبحث السادس ﴾

قد اختلف عدد آي القرآن على حسب اختلاف العادين ، والعدد منسوب الى خمسة بلدان - وهي مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام ،

فعدد المكي منسوب الى عبد الله بن كثير أحد السبعة - وهو يروي ذلك عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب

وعدد المدني على ضربين - عدد المدني الاول وعدد المدني الاخير

فعدد المدني الاول غير منسوب الى أحد بعينه - وانما نقله أهل الكوفة عن أهل المدينة مرسلا ولم يسموا في ذلك أحدا وكانوا يأخذون به وان كان لهم عدد مخصوص بهم

وعدد المدني الاخير منسوب الى أبي جعفر بن يزيد بن القعقاع أحد العشرة وشيبة بن نصاح وقد رواه عنهما اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الانصاري بواسطة سليمان بن جماز - وقد وهم من نسب عدد المدني الاول الى أبي جعفر وشيبة وعدد المدني الاخير الى اسماعيل بن جعفر - وكان الذي أوقعه في ذلك ما ذكر في بعض الكتب من ان نافعا روى عنهما عدد المدني

الاول وان أبا عمرو عرض العدد المذكور على أبي جعفر فان رواية ذلك عنهما لا تقتضي نسبته اليها . وأما نسبة عدد المدني الاخير اليهما فهو مما لا ريب فيه. وذكر بعضهم ان سبب نسبته اليهما أنهما اختارا فيه من عدد الماضين كما اختارا من الحروف ، وقد وقع بينهما خلاف في ست آيات . وهي مما تحبون . وان كانوا ليقولون . وقد جاءنا نذير . والى طعامه . وفأين تذهبون. فهذه خمس آيات عدها شيبة ولم يعدها أبو جعفر . والآية السادسة مقام ابراهيم . عدها أبو جعفر . ولم يعدها شيبة

وعدد الكوفي منسوب الى أبي عبد الرحمن السلمي . قال حمزة بن حبيب الزيات أحد السبعة: أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب

وعدد البصري منسوب الى عاصم بن العجاج الجحدري وعطاء بن يسار ومداره على عاصم . وينسبه أهل البصرة بعد عاصم الى أيوب بن المتوكل وعليه مصاحفهم

وعدد الشامي منسوب الى عبد الله بن عامر اليحصبي . قال يحيى بن الحارث الذماري : هذا العدد الذي نعده عدد أهل الشام مما رواه لنا المشيخة عن الصحابة ورواه عبد الله بن عامر اليحصبي وغيره لنا عن أبي الدرداء

هذه هي الاعداد المشهورة في ذلك . وهي ستة . وأشهرها العدد الكوفي والظاهر ان كل واحد من أئمة القراءة كان يعتبر العدد المنسوب الى بلده

وأما عدد آي القرآن فقد اتفق العادّون على انه ستة آلاف ومائتا آية وكسر . الا ان هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم فهو في عدد المدني

الاول سبع عشرة - و به قال نافع

وفي عدد المدني الاخير أربع عشرة عند شيبة وعشر عند أبي جعفر وفي عدد المكي عشرون

وفي عدد الكوفي ست وثلاثون - وهو مروي عن حمزة الزيات

وفي عدد البصري خمس - وهو مروي عن عاصم الجحدري - وفي رواية عنه أربع - وبهذه الرواية قال أيوب بن المتوكل البصري - وفي رواية عن البصريين أنهم قالوا تسع عشرة - وروي نحو ذلك عن قتاده

وفي عـدد الشامي ست وعشرون - وهو مروي عن يحيى بن الحارث الذماري

﴿ المبحث السابع ﴾

قد يطلقون اسم الفواصـل على الحروف الاواخر منها - وذلك في مثل قولهم فواصل الفاتحة الميم والنون يريدون ان آخر فواصلها قد يكون حرف الميم نحو الرحيم وقد يكون حرف النون نحو نستعين - ومثل قولهم فواصل عم النون والميم والالف يريدون أن آخر فواصلهـا قد يكون حرف النون نحو يتساءلون - وقد يكون حرف الميم نحو العظيم - ولم يجيء غيره - . وقد يكون على حرف الالف نحو مهادا - وقد تصدى كثير من العلماء لبيان فواصـل جميع السور على هـذا الوجه - الا ان بعضهم رأى أن يجمع ما كان منهـا على أكثر من حرف في كلمة أو كلمتين فيقول فيما سبق فواصل الفاتحة من - وفواصل عم منا - لان هذا مع مافيه من الايجاز أقرب الى الحفظ والاستقرار في الذهن

والسور التي جاءت فواصلها كلها على حرف واحد ليست قليلة

فمن ذلك سورة الكهف والفتح والانسان والاعلى والشمس والليل. فأن فواصلها كلها جاءت على حرف الالف ومن ذلك سورة القمر والقدر والكوثر فأن فواصلها كلها جاءت على حرف الراء. واما سورة الاسراء والفرقان والاحزاب فان فواصلها كلها وان جاءت على الالف فأن كل واحدة منها قد جاءت فيها فاصلة على غير الالف وهي الراء في الاسراء وذلك في قوله انه هو السميع البصير. واللام في الفرقان وذلك في قوله ضلوا السبيل. واللام أيضا في الاحزاب وذلك في قوله وهو يهدي السبيل

ومن ذلك سورة المنافقين فأن فواصلها كلها جاءت على حرف النون

ومن ذلك سورة الفيل فأن فواصلها كلها جاءت على حرف اللام

ومن ذلك سورة الناس فان فواصلها كلها جاءت على حرف السين وقد كثر مجيء الفواصل على بعض الاحرف كالنون وقل مجيئها على بعض الاحرف كالشين

ومعرفة الفواصل بهذا المعنى تعين على معرفة الفواصل بالمعنى المشهور. فان من عرف الاحرف التي جاءت في فواصل سورة ثم رأى فيها كلمة تحتمل أن تكون فاصلة غير انه لم يعرف أمرها فانه ينظر في آخرها فان لم يجد فيه حرفا من تلك الاحرف حكم بأنها ليست بفاصلة وان وجد فيه حرفا منها قوي عنده الظن بكونها من الفواصل لاسيما ان كان هناك مايرجح ذلك من الامارات. ومثال ذلك سورة الملك فأن فواصلها مرن وقد وجد فيها مما يحتمل أن يكون فاصلة طباقا. ونذير. في قوله الم يأتكم نذير. فيحكم على طباقا بأنها ليست من الفواصل لكون آخرها ليس حرفا من الاحرف المذكورة ويقوى الظن في نذير بأنه من الفواصل لوجود أحدها وهو الراء في آخره وهو في الواقع كذلك

وقـد رأيت أن أختم هذه الفائدة بمسائل مستطرفة ترويحاً للنفس وان لم يتعلق كثير منها بما نحن فيه. وقد أورد كثيراً منها الزركشي في البرهان

سئل ابن مجاهد كم في القرآن من قوله الا غرورا . فأجاب في أربعة مواضع في النساء وسبحان والاحزاب وفاطر

وسئل الكسائي كم في القرآن آية أولها شين فأجاب . أربع آيات . شهر رمضان . شهد الله . شاكرا لانعمه . شرع لكم من الدين

وسئل كم آية آخرها شين. فأجاب آيتان كالعهن المنفوش. لئلاف قريش

وسئل آخر . كم حكيم عليم . قال خمسة . ثلاثة في الانعام . وفي الحج واحد . وفي النمل واحد

أكثرما اجتمع في كتاب الله تعالى من الحروف المتحركة ثمانية . وذلك في موضعين من سورة يوسف .. أحدهما قوله اني رأيت احد عشر كوكبا . فبين واو كوكب وتاء رأيت ثمانية أحرف كلهن متحرك .. والثاني قوله حتى يأذن ليَ أبيَ أو يحكم الله ليَ . على قراءة من حرك الياء في قوله لي وأبي .. ومثل هذين الموضعين قوله سَنشدُّ عَضُدَكَ بأخيك

وسورة كل آية منها فيها اسمه تعالى . وهي سورة المجادلة

وفي الحج ست آيات متواليات . في آخر كل واحدة منهن اسمان من أسماء الله تعالى . وهي من قوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه

وفي القرآن آيات أولها قل ياأيها ثلاث . قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني . قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم . قل يا أيها الكافرون

وفيه . ياأيها الانسان . اثنان .. يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم . يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا ..

سورة تزيد على مائة آية ليس فيها ذكر جنة ولا نار ـ وهي سورة يوسف آية فيها ذكر الجنة مرتين ـ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ـ أصحاب الجنة هم الفائزون

ثلاث آيات متواليات ـ الواحدة رد على المشبهة ـ والاخرى رد على المجبرة. والاخرى رد على المرجئة ـ قوله إذ تسويكم برب العالمين ـ ردّ على المشبهة. وما أضلنا الا المجرمون ـ رد على المجبرة ـ فما لنا من شافعين ـ رد على المرجئة

ليس في القرآن حاء بعد حاء بلا حاجز بينهما الاّ في موضعين ـ عقدة النكاح حتى ـ لا أبرح حتى ـ ولا كافان كذلك الا مناسككم ـ وما سلككم ـ ولا غينان كذلك الا ومن يبتغ غير الاسلام

ووجد بخط الحافظ ابن حجر في القرآن أربع شدّات متوالية ـ قوله نسيّا ربّ السّموات ـ في بحر لجّي يّغشاه موج ـ قولاً مّن رّبّ رّحيم ـ ولقد زيّنّا السّماء الدّنيا ـ وفي القرآن آيتان جمعت كل واحدة منهما حروف المعجم ـ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة الآية ـ محمد رسول الله ـ الآية. ان قيل أي سورة تزيد على خمسين آية وليس فيها اسم الله الذي هو الله قيل هي سورة القمر والرحمن والواقعة. ان قيل أي آية اجتمع فيها ست عشر ميما قيل يا نوح اهبط بسلام الآية ـ وقد اجتمع في أمم ممن معك ـ ثمان ميات متواليات

﴿ المبحث الثامن ﴾

قد يظن أن معرفة الآي وعددها وفواصلها مما لا يحتاج اليه ـ وليس الامر كذلك ـ فأنه يحتاج الى معرفتها في أمر الصلاة ـ ففي النسائي أن رسول الله صلى عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الغداة ما بين الستين الى المائة ـ وصلاة الغداة هي صلاة الصبح ، وقد ذكر في كتب الفقه في باب ما يقرأ في الصلاة

مايقتضي ذلك ويحتاج الى معرفة الفواصـل في أمر تلاوة القرآن - الا أن الاحتياج الى ذلك يختص بمن يرى ان الوقف على الفواصـل سنة بناء على الحديث الذي يستدل به قوم على ذلك - فيحتاج الى معرفة الفواصـل كلها ليقف عليها حين التلاوة رعاية لامر السنة - أو بمن يقرأ برواية ورش عن نافع أو بقراءة ابي عمرو في رواية الامالة فيحتاج الى معرفة الفواصـل في احدى عشرة سورة ليميل منها مافيه الف على الوجه المقرر في الفن وهـذه السور الاحدى عشرة هي سورة طه والنجم وسأل والقيامة والنازعات وعبس وسبح والشمس والضحى والليل والعلق- والمعتبر عندورش في أمر الفواصل هو عدد المدنيّ الاخير- وعند ابي عمرو هو عدد البصري - قال ذلك الاستاذ المالقي في شرح التيسير والمحقق ابن الجزري في النشر ولم يحك غيره - وقال الحافظ الداني أن المعتبر في ذلك عندهما هو عدد المدني الاول لان عامة المصريين رووه عن ورش عن نافع وعرضه البصري على ابي جعفر- وقـد تبعه على ذلك الحصبري وغيره - والخطب في ذلك سهل

والحديث الذي استدل به قوم على أن الوقف على الفواصـل سنة هو ما أخرجه الترمذي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمـد لله رب العالمين - ثم يقف - الرحمن الرحيم - ثم يقف - قال بعض العلماء وفي الاستدلال به على ما ذكر نظر - وذلك لانه حديث غريب غير متصل الاسناد رواه يحيى بن سعيد الاموي وغيره عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن أم سلمه - والاصح مارواه الليث عن ابن ابي مليكة عن يعلى بن مالك انه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءة مفسرة حرفا

حرفا ـ ذكر ذلك الترمذي وقال الهذليّ في الكامل : اعلم ان قوما جهلوا العدد وما فيه من الفوائد حتى قال الزعفراني العدد ليس بعلم ـ وانما اشتغل به بعضهم ليروج به سوقه ـ . وليس كذلك ـ ففيه من الفوائد معرفة الوقف ـ ولأن الاجماع انعقد ان الصلاة لا تصح بنصف آية ـ وقال جمع من العلماء تجزىء بآية ـ وآخرون بثلاث آيات ـ وآخرون لا بدّ من سبع ـ والاعجاز لا يقع بدون آية ـ فللعدد فائدة عظيمة في ذلك .

﴿ تنبيه ﴾

قد وقع اطلاق اسم الآية على بعضها وذلك مثل قول ابن عباس أرجى آية في القرآن ـ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ـ فان هذا بعض آية باتفاق ـ ومثل ذلك كثير في كلام السلف والخلف ووقع اطلاق اسم الآية على أكثر من آية ـ وذلك مثل قول ابن مسعود أحكم آية ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ـ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ وهذا آيتان باتفاق ـ فينبغي الانتباه لذلك ـ والله أعلم

﴿ المبحث التاسع ﴾

جرت عادة كثير من كتاب المصاحف أن يضعوا ثلاث نقط عند آخر كل فاصلة من فواصل الآيات وان يكتبوا لفظ خمس عند انقضاء خمس آيات من السورة ولفظ عشر عند انقضاء عشر آيات منها ـ فاذا انقضت خمس أخرى أعادوا كتابة لفظ خمس فاذا صارت عشرًا أعادوا كتابة لفظ عشر ولا يزال الحال هكذا الى آخر السورة ـ ولا يخفى ما يحصل بذلك من اليسر في معرفة عدد الآيات وفواصلها ـ وقد التزموا ان يكتبوا ذلك بخط يخالف خط المصحف و بمداد يخالف مداده لكون ذلك أبعد عن اللبس ـ وهذا أمر قديم

العهد ـ قال قتادة بدؤوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا ـ وقال غيره أول ما احدثوا النقط عنـد آخر الآي ـ ثم الفواتح والخواتم ـ وقال يحيى بن ابي كثير ما كانوا يعرفون شيأ مما أحدث في المصاحف الا النقط الثلاث على رؤوس الآي ـ أخرجه ابن أبي داود ـ وأخرج أبو عبيـد وغيره عن ابن مسعود انه قال جرّدوا القرآن ولا تخلطوه بشيء ـ وأخرج عن النخعي أنه كره نقط المصاحف ـ وعن ابن سيرين انه كره النقط والفواتح والخواتم ـ وعن ابن مسعود ومجاهد أنهما كرها التعشير ـ وأخرج ابن أبي داود عن النخعي انه كان يكره العواشر والفواتح وتصغير المصحف وان يكتب فيه سورة كذا وكذا ، وأخرج عنه انه أتي بمصحف مكتوب فيه سورة كذا كذا آية فقال امح هذا فأن ابن مسعود كان يكرهه ، وأخرج عن ابي العالية انه كان يكره الجمـل في المصحف وفاتحة سورة كذا وخاتمة سورة كذا ؛ وقال مالك لا بأس بالنقط في المصاحف التي تتعلم فيها الغلمان أما الامهات فلا ، وقال الحليميّ تكره كتابة الاعشار والاخماس وأسماء السور وعدد الآيات فيه لقوله جرّدوا القرآن ، وأما النقط فيجوز لانه ليس له صورة فيتوهم لأجلهـا ما ليس بقرآن قرآنا ـ وانما هي دلالات على هيئة المقروء ـ فلا يضر اثباتها لمن يحتاج اليها ، وأخرج ابن أبي داود عن الحسن وابن سيرين انهما قالا لا بأس بنقط المصاحف ـ وأخرج عن ربيعة بن عبد الرحمن أنه قال لا بأس بشكله. وقد أطبق الناس بعد ذلك على كتابة فواتح السور ووضع علائم الاخماس والاعشار وفواصل الآي في المصاحف كما أطبقو على نقطها وشكلها

وأما كتابته على ما أحدث الناس من الهجاء فقـد جرى عليها أهل المشرق بناءً على كونها أبعد من اللبس ـ وتحاماها أهل المغرب بناءً على قول

الأمام مالك وقد سئل هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء : لا الا على الكتبة الاولى . قال في البرهان قلت وهذا كان في الصدر الاول والعلم حي غض . وأما الآن فقد يخشى الالتباس . ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا يجوز كتابة المصحف الآن على المرسوم الاول باصطلاح الائمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال . ولكن لاينبغي اجراء هذا على اطلاقه لئلا يؤدي الى دروس العلم وشيء أحكمته القدماء لايترك مراعاة لجهل الجاهلين . ولن تخلو الارض من قائم لله بالحجة ه

وقد حافظ أهل المغرب في أمر كتابة المصاحف على الكتبة الاولى الا انهم لما رأوا ان ذلك قد يفضي في بعض المواضع الى حصول اللبس وضعوا علائم لازالته فتم لهم ذلك على أحسن وجه .. وقد نشأ عن ذلك قلة في كتاب المصاحف عندهم لتوقف امر كتابتها على البراعة في أمور يستغنى عنها في كتابة غيرها . وأما أهل المشرق فقد كثر عندهم كتاب المصاحف جدا لعدم توقف امر كتابتها على غير المعتاد في أمر الكتابة . و برع كثير منهم في ذلك وتفننوا فيه حتى ان كثيرا مما كتبوا مما يود الناظر أن لا يرفع عنه طرفه مع مافي بعضها من الصنائع الغريبة . .

هذا . وقد رأى بعض الكتاب ان يكتب في موضع الاخماس رأس الخاء بدلا من لفظ خمس . وفي موضع الاعشار رأس العين بدلا من لفظ عشر . وهذا هو الاولى لانه أبعد من اللبس .. ورأى بعضهم ان يضع في موضع الفواصل دارة بدلا من النقط الثلاث . وكان الداعي لذلك كثرة احتمالها للنقش . ولذلك ترى الدارات في الغالب محلاة بنقوش بديعة لاسيما في مواضع الاعشار .. ثم ان علائم الفواصل في المصاحف المشرقية جارية في الغالب على

طريقة الكوفيين لان غالبها مكتوب على رواية حفص عن عاصم وهما من الكوفيين . الا ان بعض الكتاب أراد أن يشير مع ذلك الى الفواصل على طريقة البصريين فاضطر الى ان يضع رموزا للفريقين رفعا للاشتباه . وقد بينا ذلك في تدريب اللسان على تجويد البيان . ورأينا اعادته هنا . وها هو ذلك

رموز الكوفيين

لب . هذه علامة على ان ذلك الموضع رأس آية عند الكوفيين

ه . هذه علامة على انه قد مضت خمس آيات عندهم

ع . هذه علامة على انه قد مضت عشر آيات عندهم

ى . وهذه كذلك . لان الياء بعشرة في حساب الجمل

رموز البصريين

تب . هذه علامة على ان ذلك الموضع رأس آية عند البصريين

خب . هذه علامة على انه قد مضت خمس آيات عندهم

عب . هذه علامة على انه قد مضت عشر آيات عندهم

وقد يستشكل جعل لب من رموز الكوفيين ويحل ذلك بما قاله بعض الباحثين وهو ان اللام فيه مأخوذة من لفظ ليس والباء من لفظ البصريين فيكون المعنى على ذلك ليس هذا الموضع رأس آية عند البصريين ويكون المقصود منه الاشارة الى انه رأس آية عند الكوفيين

وأما تب فالتاء فيه مأخوذة من لفظ آية والباء من لفظ البصريين، وهنا طريقة أخرى وهي ان يجعل للكوفيين رأس الفاء والخاء والعين وللبصريين الباء والهاء والياء . فرأس الفاء للدلالة على ان ذلك الموضع رأس آية عند الكوفيين ورأس الخاء للدلالة على انه موضع خمس عندهم . ورأس العين للدلالة

على انه موضع عشر عندهم . والباء للدلالة على انه موضع آية عند البصريين والهاء للدلالة على انه موضع خمس عندهم . والياء للدلالة على انه موضع عشر عندهم . هذه صورتها ف خ ع ـ ه ى وهذه الطريقة أقرب مسلكا ومدركا وفيها التخلص من الرمز بمثل خب وتب . ولامانع من ان تجعل الهاء علامة على الخمس والياء علامة على العشر عند الفريقين وذلك لان لكل واحدة منهما صورتين فتجعل هاء الكوفيين وياؤهم هكذا ه ى وهاء البصريين وياؤهم هكذا ه ـ فاذا اتفق الفريقان على خمس من الاخماس أو عشر من الاعشار وضعت العلامتين معا . ولك ان تتم الخاء للدلالة على الخمس المتفق عليه والعين للدلالة على العشر المتفق عليه

فان قيل هل يمكن الجمع بين الطرق الستة قيل يمكن .. وذلك بأن يجعل لكل واحدة منها رمز . كأن يجعل للمكيّ الميمَ . وللمدنيّ الاول رأس النون اذا كان منقوطا . وللمدنيّ الاخير رأس النون اذا كان غير منقوط . وللكوفي رأس الفاء وللبصري رأس الباء وللشامي رأس الشين وهذه صورتها م ن ن ف ب س فاذا اتفقوا في موضع وضعت رموزهم جميعها فوق الدارة التي وضعت هناك للدلالة على انه موضع فاصلة

ويسوغ ان يوضع بدلها رقم الستة أو رأس القاف اشارة الى انه من المواضع المتفق عليها

واذا اختلفوا في موضع وضعت رموز من وافق دون من خالف . ويحسن هنا ان يجعل رقم الاثنين للدلالة على اتفاق المدنيين . ورقم الثلاثة للدلالة على اتفاقهما مع المكي . ورقم الاربعة للدلالة على اتفاقهما مع المكي والكوفي . ورقم الخمسة للدلالة على اتفاق هؤلاء الاربعة مع البصري ، وهنا طريقة أخرى .

وهي ان يوضع حول الدارة ست دوائر صغيرة أربع منها في الاعلى وثنتان منها في الاسفل

فتجعل الدائرة الاولى من الدوائر التي في الاعلى للمكي والثانية للمدني الاول والثالثة للمدني الاخير والرابعة للكوفي. وتجعل الدائرة الاولى من الدوائر التي في الاسفل للبصري والثانية للشامي فاذا اتفقوا في موضع وضع فوق كل دائرة منها نقطة واذا اختلفوا في موضع وضعت نقطة فوق دائرة من وافق في ذلك الموضع دون من خالف. وهي طريقة قريبة المأخذ. وفيها غناء من دون عناء. وأما الجمع بين القراءات فهومشكل لتعسر الجمع بينها في الكتابة في كثير من المواضع مثل ُيسيركم في قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر. فان ابن عامر قرأه َينشُركم ولا سبيل الى الجمع بينهما بدون حدوث أشكال الاّ بوضع أحدهما في حاشية المصحف مع الاشارة اليه. بخلاف نحو يعملون وتعملون فانه يمكن ان يكتبا في موضع واحد بصورة واحدة وينقط بالوجهين ولما ذكر رأي الداني المنع منه. وقد أشار الى ذلك حيث قال: لا استجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم. ولا استجيز جمع قراءات شتى في مصحف واحد بألوان مختلفة لانه من أعظم التخليط والتغيير للمرسوم. وأرى ان تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمرة والهمزات بالصفرة؛ وقد أحجم الكتاب عنه الا قليلا منهم فانه أقدم عليه اما لانه آنس في نفسه قوة على القيام بأمره على وجه حسن أو لأنه ممن شغفه حب التفويف فأذهله عما ينشأ عنه من الاشكال

قال بعض أهل البيان التفويف التوشية. والبرد المفوف هو الذي تكون فيه ألوان مختلفة. والكلام المفوف والشعر المفوف هو الذي تكون فيه التزامات لاتلزم. تكتب باصباغ مختلفة حتى يفطن لها. وقد وقع التفويف في القرآن في مواضع فواصله واخماسه

واعشاره . ونحو ذلك فأنها كتبت بالوان مختلفـة فأشبهت البرد المفوف وان كانت هي أحسن وابهى

وكان عند الكاتب البارع في النثر والنظم وحسن الخط محمود المعروف بكشاجم مصحف بديع جامع لقراءات شتى وقد تصدى لوصفه في قصيدة بديعة وقد رأينا ان نوردها هنا وهي هذه

مَن يَتب خشيةَ العقابِ فإِنّي ... تُبتُ أُنسا بهـذه الاجزاء

بعثتني على القراءة والنسـ ... ـك وما خِلتُني من القرّاء

حين جاءت تروقني باعتدالٍ ... من قدود وصنعة واستواء

سبعةٌ شُبِّهت بها الانجمُ السبـ ... ـعةُ ذاتُ الانوار والاضواء

كسيت من أديمها الحالك الجوْ ... نِ غِشاءً أكرم به من غشاء[1]

مشبها صِبغةَ الشباب ولِمـ ... ـاتِ العذارَى ولِبسةَ الخطباء[2]

ورأت أنها تُحسن بالضـ ... ـد . فتاهت بحلةٍ بيضاء

فهي مسودّةُ الظهور وفيها ... نورُ حقٍّ يجلو دُجا الظلماء

مُطبقات على صفائح كالرَّيـ ... ـط تُخبرن من متون الظباء[3]

وكأنَّ الخطوطَ فيها رياضٌ . ... شاكراتٌ لصنعة الانواء

وكأنّ البياضَ والنقطَ السو ... دَ عبيرٌ رششته في ماء[4]

وكأنّ السطورَ والذهبَ السا ... طعَ فيها كواكبٌ في سماء

وهي مشكولةٌ بعدّة أشكا ... لٍ ومقروءةٌ على أنحاء

---

(١) الاديم الجلد المدبوغ . والحالك الشديد السواد . والجون كذلك . والغشاء الغطاء

(٢) اللمات جمع لمة بالكسر وهو الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن . واللبسة بالكسر هيئة اللباس . وكان الخطباء في ذلك العصر يلبسون السواد حين الخطبة لكونه كان شعاراً لبني العباس (٣) الريط جمع ريطة وهي كل ملاءة ليست لفقين أي قطعتين

(٤) العبير اخلاط تجمع من الطيب

وإذا شئتَ كان حمزةُ فيها ... وإذا شئت كان فيها الكسائيّ
خضرةٌ في خلال صفرٍ وحمرٍ ... بين تلك الاضعاف والاثناء
مثل ما أثر الدبيبُ من الذرِّ ... على جلد غضة غيداء (١)
ضُمنت محكم الكتاب كتاب الـله ذي المكرمات والآلاء
فحقيقٌ عليّ أن أتلوَ القرآن فيهن مُصبحي ومسائي

وأما مجرد بيان القراءات في المصحف فالخطب فيه أيسر لاسيما ان كان ذلك في الحواشي لا بين السطور وقد جرى على ذلك كثير من الكتاب وان كان أكثر أهل العلم لا يرون ذلك لاستحبابهم تجريد المصحف عما سوى القرآن

﴿ المبحث العاشر ﴾

قد ذكر عدد آي سور القرآن في كثير من الكتب. وقد أفرد ذلك بعضهم بالتصنيف منهم أبو عبد الله الموصلي. وقد أفردنا هذا المبحث لذلك. قال في الاتقان قال الموصلي: ثم سور القرآن على ثلاثة اقسام..

قسم لم يختلف فيه لا في اجمال ولا في تفصيل
وقسم اختلف فيه تفصيلا لا أجمالا
وقسم اختلف فيه أجمالا وتفصيلا
فالاول أربعون سورة

سورة يوسف مائة واحدى عشرة. الحجر تسع وتسعون
النحل مائة وثمانية وعشرون. الفرقان سبع وسبعون
الاحزاب ثلاث وسبعون. الفتح تسع وعشرون

(١) الذر صغار النمل. والغضة من النساء الرقيقة الجلد الظاهرة الدم. والغيداء الفتاة الناعمة اللينة

الحجرات والتغابن ثمان عشرة . ق خمس وأربعون . الذاريات ستون .
القمر خمس وخمسون . الحشر أربع وعشرون . الممتحنة ثلاث عشرة . الصف
أربع عشرة . الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات احدى عشرة . التحريم
اثنتا عشرة . ن اثنتان وخمسون . الانسان احدى وثلاثون . المرسلات
خمسون . التكوير تسع وعشرون . الانفطار وسبح تسع عشرة . التطفيف ست
وثلاثون . البروج اثنتان وعشرون . الغاشية ست وعشرون . البلد عشرون .
الليل احدى وعشرون . الم نشرح والتين وألهاكم ثمان . الهمزة تسع . الفيل
والفلق وتبت خمس . الكافرون ست . الكوثر والنصر ثلاث

والقسم الثاني أربع سور

القصص ثمان وثمانون . عد أهل الكوفة طسم . والباقون بدلها . أمة من
الناس يسقون

العنكبوت تسع وستون . عد أهل الكوفة ألم . والبصرة بدلها . مخلصين له
الدين . والشام . وتقطعون السبيل

الجن ثمان وعشرون . عد المكي لن يجيرني من الله أحد . والباقون
بدلها . ولن أجد من دونه ملتحدا

والعصر ثلاث . عد المدني الاخير . وتواصوا بالحق دون . والعصر
وعكس الباقون

والقسم الثالث سبعون سورة

وقد أوردها هنا الا انه سلك في الابانة عنها مسلك الاجمال

وقد رأينا أن نورد ذلك هنا مبسوطا بعض البسط . وها هو ذلك

ذكر عدد آيات السور على الترتيب

سورة الفاتحة ـ سبع آيات بلا خلاف في جملتها .. واختلف فيها في موضعين

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ عدّه المكيّ والكوفي آية منها ـ والآية السابعة عندهم ـ صراط الذين انعمت عليهم الى آخر السورة ولم يعده غيرهما

٢ ـ صراط الذين أنعمت عليهم ـ عده المدنيان والبصريّ والشامي آية ـ والآية السابعة عندهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ولم يعده المكي والكوفي آية

سورة البقرة ـ مائتان وخمس وثمانون آية في عدد المكي والمدني والشامي ـ وست في عدد الكوفي ـ وسبع في عدد البصري ـ وقد اختلفوا في احد عشر موضعا

١ ألم ـ عده الكوفي
٢ ولهم عذاب أليم ـ عده الشامي
٣ انما نحن مصلحون ـ عده غير الشامي
٤ ان يدخلوها الا خائفين ـ عده البصري
٥ واتقون ياأولي الالباب ـ عده غير المكي والمدني الاول
٦ وما له في الآخرة من خلاق ـ عده غير المدني الاخير
٧ ويسألونك ماذا ينفقون ـ عده المكي والمدني الاول
٨ لعلكم تتفكرون ـ الاول ـ عده المدني الاخير والكوفي والشامي
٩ الا ان تقولوا قولا معروفا ـ عده البصري
١٠ الحي القيوم ـ عده المكي والمدني الاخير والبصري

١١ يخرجهم من الظلمات الى النور - عده المدني الاول

سورة آل عمران - مائتا آية بلا خلاف في جملتها - واختلفوا في سبع مواضع منها

١ ألم عده الكوفي

٢ وأنزل التوراة والانجيل - عده غير الشامي

٣ وأنزل الفرقان - عده غير الكوفي

٤ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل - عده غير الكوفي

٥ ورسولا الى بني اسرائيل - عده البصري

٦ حتى تنفقوا مما تحبون - عده المكي والمدني الاول وشيبة من المدني الاخير والشامي

٧ مقامُ ابراهيم - عده أبو جعفر من المدني الاخير والشامي

سورة النساء - مائتان وخمس وسبعون آية في عدد المكي والمدني والبصري - وست في عدد الكوفي - وسبع في عدد الشامي .. واختلفو فيها في موضعين

١ ان تضلوا السبيل - عده الشامي والكوفي

٢ فيعذبهم عذابا أليما - الاخير وهو الرابع عده الشامي -

وأما الثلاثة التي قبله فانها رؤوس آيات باتفاق - وفيها أربع آيات طوال

الاولى ـ يوصيكم الله في أولادكم - الى - حكيما

الثانية ـ ولكم نصفُ - الى - حليم - وهما آيتا المواريث

الثالثة ـ يا أيها الذين آمنوا - الى - غفورا - وهي آية التيمم

الرابعة ـ وما كان لمؤمن - الى - عليما حكيما - وهي آية الدية

سورة المائدة - مائة وعشرون آية في عدد الكوفي - واثنتان وعشرون في

عدد المكي والمدني - وعشرون في عدد البصري

واختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ بالعقود } عدهما غير الكوفي
٢ ويعفو عن كثير - }

٣ فانكم غالبون - عده البصري

وفيها ست آيات طوال

الاولى ـ حرمت عليكم الميتة ـ الى ـ غفور رحيم

الثانية ـ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم ـ الى ـ لعلكم تشكرون

الثالثة ـ يا أيها الرسول لا يَحزُنكَ الذين ـ الى ـ عذابٌ عظيم

الرابعة ـ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد ـ الى ـ عزيزٌ ذو انتقام

الخامسة ـ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ـ الى ـ لمن الآثمين

السادسة ـ اذ قال الله ياعيسى - الى . سحر مبين

سورة الانعام - مائة وخمس وستون آية في عدد الكوفي - وست في عدد البصري والشامي - وسبع في عدد المكي والمدني

وقد اختلفوا فيها في أربعة مواضع

١ وجعل الظلمات والنور - عده المكي والمدني

٢ قل لست عليكم بوكيل - عده الكوفي

٣ كن فيكون } عدهما غير الكوفي
٤ هداني ربي الى صراط مستقيم }

سورة الاعراف - مائتان وخمس آيات في عدد البصري والشامي وست في عدد المكي والمدني والكوفي

وقد اختلفوا فيها في خمسة مواضع

١ المص ـ عده الكوفي

٢ مخلصين له الدين ـ عده البصري والشامي

٣ كما بدأكم تعودون ـ عده الكوفي

٤ ضعفا من النار } عدهما المكي والمدني

٥ الحسنى على بني اسرائيل }

سورة الانفال ـ خمس وسبعون في عدد الكوفي . وست في عدد المكي والمدني والبصري ـ وسبع في عدد الشامي

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ ثم يغلبون ـ عده البصري والشامي

٢ ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ـ عده غير الكوفي

٣ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ـ عده غير البصري

سورة التوبة ـ مائة وتسع وعشرون آية في عدد الكوفي . وثلاثون في عدد غير الكوفي

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ ان الله بريء من المشركين ـ عده البصري

٢ الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ـ عده الشامي

٣ قوم نوح وعاد وثمود ـ عده المكي والمدني

سورة يونس ـ مائة وتسع آيات في عدد غير الشامي وعشرة في عدد الشامي

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ مخلصين له الدين
٢ وشفاء لما في الصدور
} عدهما الشامي

٣ لنكونن من الشاكرين - عده غير الشامي

سورة هود - مائة واحدى وعشرون آية في عدد المكي والمدني الاخير والبصري واثنتان وعشرون في عدد المدني الاول والشامي وثلاث وعشرون في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في سبعة مواضع

١ واشهدوا أني بريء مما تشركون. عده الكوفي
٢ في قوم لوط - عده غير البصري
٣ من سجيل - عده المكي والمدني الاخير
٤ منضود
٥ انا عاملون - في آخر السورة
} عدهما غير المكي والمدني الاخير
٦ أن كنتم مؤمنين - عده المكي والمدنيان
٧ ولا يزالون مختلفين - عده الكوفي والبصري والشامي

سورة يوسف - مائة واحدى عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الرعد - ثلاث وأربعون آية في عدد الكوفي وأربع في عدد المكي والمدني وخمس في عدد البصري وسبع في عدد الشامي

وقد اختلفوا فيها في خمسة مواضع

١ لفي خلق جديد
٢ أم هل تستوي الظلمات والنور.
} عدهما غير الكوفي

٣ قل هل يستوي الاعمى والبصير } عدهما الشامي
٤ أولئك لهم سوء الحساب

٥ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . عده الكوفي والبصرى والشامي

سورة ابراهيم احدى وخمسون آية في عدد البصري واثنتان وخمسون في عدد الكوفي وأربع وخمسون في عدد المكي والمدني وخمس وخمسون في عدد الشامي

وقد اختلفوا فيها في سبعة مواضع

١ لتخرج الناس من الظلمات الى النور } عدهما المكي والمدني والشامي
٢ أن أخرج قومك من الظلمات الى النور

٣ قوم نوح وعاد وثمود . عده المكي والمدني والبصري

٤ ويأت بخلق جديد . عده المدني الاول والكوفي والشامي

٥ وفرعها في السماء . عده غير المدني الاول والبصري

٦ وسخر لكم الليل والنهار . عده غير البصري

٧ عما يعمل الظالمون . عده الشامي

سورة الحجر . تسع وتسعون آية في عدد الجميع بلاخلاف بينهم في شيء منها

سورة النحل . مائة وثمان وعشرون في عـدد الجميع بلاخلاف بينهم في شيء منها

سورة بني اسرائيل . مائة واحدى عشرة آية في عـدد الكوفيّ ومائة وعشرة في عدد الباقين . .

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد .

وهو . يخرّون للاذقان سجدا . عده الكوفيّ

سورة الكهف ـ مائة وخمس آيات في عدد المكي والمدني وست في عدد الشامي وعشر في عدد الكوفي واحدى عشرة في عدد البصري

واختلفوا فيها في احدى عشر موضعا

١ وزدناهم هدى ـ عده الشامي

٢ مايعلمهم الا قليل ـ عده المدني الأخير

٣ اني فاعل ذلك غدا ـ عده غير المدني الأخير

٤ وجعلنا بينهما زرعا ـ عده غير المكي والمدني الاول

٥ ما أظن أن تبيد هذه أبداً ـ عده غير المكي والمدني الاخير

٦ وآتيناه من كل شيء سببا ـ عده غير المكي والمدني الاول

٧ فأتبع سبباً ـ

٨ ثم أتبع سببا ـ

٩ ثم أتبع سببا ـ هذه الثلاثة عدها الكوفي والبصري

١٠ ووجد عندها قوما ـ عده غير المدني الاخير والكوفي

١١ هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ـ عده غير المدني الاول والاخير

سورة مريم ثمان وتسعون آية في عدد المدني الاول والكوفي والبصري والشامي وتسع وتسعون في عدد المكي والمدني الاخير

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ كهيعص ـ عده الكوفي

٢ واذكر في الكتاب ابراهيم ـ عده المكي والمدني الاخير

٣ فليمدد له الرحمن مدا ـ عده غير الكوفي

سورة طه ـ مائة واثنتان وثلاثون آية في عدد البصري واربع في عدد

المكي والمدني وخمس في عدد الكوفي وار بعون فى عدد الشامي

وقد اختلفوا فيها فى احد وعشرين موضعا

١ طه - عده الكوفيّ

٢ كي نسبحك كثيرا } عدهما غير البصري
٣ ونذكرك كثيرا }

٤ وألقيت عليك محبة مني - عده المكي والمدني والشامي

٥ كي تقر عينها ولا تحزن - عده الشامي

٦ وفتناك فتونا - عده البصري والشامي

٧ فلبثت سنين في أهل مدين - عده الشامي

٨ واصطنعتك لنفسي - عده الكوفي والشامي

٩ فأرسل معنا بني اسرائيل - عده الشامي

١٠ ولقد أوحينا الى موسى - عده الشامي

١١ فغشيهم من اليم ما غشيهم - عده الكوفي

١٢ غضبانَ أسفا - عده المكي والمدني الاول

١٣ وَعدا حسنا - عده المدني الاخير

١٤ فكذلك ألقى السامري - عده غير المدني الاخير

١٥ هذا إلهكم وإله موسى - عده المكي والمدني الاول

١٦ فنسي - عده غير المكي والمدني الاول وهذه الكلمة وحدها عندهما آية

١٧ ألاّ يرجعُ اليهم قولا - عده المدنيّ الاخير

١٨ اذ رأيتهم ضلوا - عده الكوفي

١٩ قاعا صَفصفا - عده الكوفي والبصريّ والشامي

٢٠ فأما يأتينكم مني هدى - عده غير الكوفي

٢١ زهرة الحياة الدنيا - عده غير الكوفي أيضا

سورة الانبياء - مائة واحدى عشرة آية في عدد غير الكوفي واثنتا عشرة آية فى عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد - وهو -

ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم - عده الكوفي

سورة الحج - أربع وسبعون آية فيعدد الشامي وخمس فى عدد البصري وست فى عدد المدني وسبع فى عدد المكي وثمان فى عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في خمسة مواضع

١ يُصبُّ من فوق رؤسهم الحميم - } عدهما الكوفي
٢ يُصهرُ به مافى بطونهم والجلود - }

٣ قومُ نوح وعادٌ وثمودُ - عده غير الشامى

٤ وقومُ لوط - عده غير البصري والشامى

٥ هو سماكم المسلمين - عده المكي فى احدى الروايتين عنه

سورة المؤمنون - مائة وثمان عشرة آية فىعدد الكوفي وتسع عشرة فى عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد - وهو -

ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون - عده غير الكوفي

سورة النور - اثنتان وستون آية فى عدد المكي والمدني وأربع فى عدد الباقين

واختلفوا فيها فى موضعين

١ يسبح له فيها بالغدو والآصال .
٢ يكاد سنا برقه يذهب بالابصار . } عدهما غير المكي والمدني

وفي هذه السورة خمس آيات طوال

الاولى ـ الخبيثات للخبيثين ـ الى ـ لهم مغفرة ورزق كريم

الثانية ـ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ـ الى ـ لعلكم تعلمون

الثالثة ـ الله نور السموات والارض ـ الى ـ والله بكل شيء عليم

الرابعة ـ أو كظلمات في بحر لجي ـ الى ـ فما له من نور

الخامسة ـ ليس على الاعمى حرج ـ الى ـ لعلكم تعقلون

سورة الفرقان ـ سبع وستون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الشعراء ـ مائتان وست وعشرون آية في عدد المكي والمدني الاخير والبصري وسبع في عدد المدني الاول والكوفي والشامي

وقد اختلفوا فيها في أربعة مواضع

١ طسم ـ عده الكوفي

٢ فلسوف تعلمون ـ عده غير الكوفي

٣ أينما كنتم تعبدون ـ عده غير البصري

٤ وما تنزلت به الشياطين ـ عده غير المكي والمدني الاخير

سورة النمل ـ ثلاث وتسعون آية في عدد الكوفي ـ وأربع في عدد البصري والشامي وخمس في عدد المكي والمدني

وقد اختلفوا فيها في موضعين

١ وأولو بأس شديد ـ عده المكي والمدني

٢ صرحٌ ممرّد من قوارير - عده غير الكوفي

سورة القصص - اثنتان وثمانون آية اتفاقا

وقد اختلفوا فيها في موضعين

١ طسم - عده الكوفي

٢ وجد عليه أمة من الناس يسقون - عده غير الكوفي

سورة العنكبوت - تسع وستون آية اتفاقا

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ ألم - عده الكوفي

٢ وتقطعون السبيل - عده المكي والمدني

٣ مخلصين له الدين - عده البصري والشامي

سورة الروم - تسع وخمسون آية في عدد المكي والمدني الاخير وستون في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها في أربعة مواضع

١ ألم - عده الكوفي

٢ غلبت الروم - عده غير المكي والمدني الاخير

٣ في بضع سنين - عده غير المدني الاول والكوفي

٤ يقسم المجرمون - عده المدني الاول

سورة لقمان - ثلاث وثلاثون آية في عدد المكي والمدني وأربع في عدد الباقين

واختلفوا فيها في موضعين

١ ألم - عده الكوفي

٢ مخلصين له الدين. عده البصري والشامي

سورة السجدة . تسع وعشرون آية في عدد البصري وثلاثون في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها في موضعين

١ ألم . عده الكوفي

٢ ءأ نا لفى خلق جديد . عده غير البصري والكوفي

سورة الاحزاب .ثلاث وسبعون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم فى شيء منها

سورة سبأ . أربع وخمسون في عدد غير الشامي وخمس وخمسون في عدد الشامي

وقد اختلف فيها في موضع واحد . وهو .

جنتان عن يمين وشمال . عده الشامي

سورة فاطر . خمس وأربعون آية فى عدد غير المدني الاخير والشامي وست في عدد المدني الاخير والشامي

وقد اختلفوا فيها في سبعة مواضع

١ لهم عذاب شديد . عده البصري والشامي

٢ ويأت بخلق جديد .
٣ وما يستوي الاعمى والبصير .
٤ ولا الظلمات ولا النور .
عد هذه الثلاثة غير البصري

٥ وما أنت بمسمع من في القبور . عده غير الشامي

٦ ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا . عده البصري

٧ فلن تجد لسنة الله تبديلا . عده المدني الاخير والبصري والشامي

سورة يس . اثنتان وثمانون آية في عدد غير الكوفي وثلاث في عدد الكوفي.

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد . وهو .

يس . عده الكوفي

سورة والصافات . مائة واحدى وثمانون آية في عدد ابي جعفر المدني والبصري واثنتان وثمانون في عدد غيرهما

وقد اختلف فيها في موضعين

١ وما كانوا يعبدون . عده غير البصري

٢ وانْ كانوا ليقولون . عده غير ابي جعفر المدني

سورة ص . ست وثمانون في عدد المكي والمدني والبصري والشامي وثمان في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع .

١ ذي الذكر . عده الكوفي

٢ كلَّ بنّاءٍ وغوّاص . عده غير البصري

٣ والحقَّ أقول . عده الكوفي والبصري

سورة الزمر . اثنتان وسبعون آية في عدد المكي والمدني والبصري وثلاث في عدد الشاميّ وخمس في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في سبعة مواضع .

١ في ماهم فيه يختلفون . عده غير الكوفي

٢ مخلصا له الدين . عده الكوفيّ والشاميّ

٣ مخلصا له ديني . عده الكوفي

٤ فبشر عبادِ - عده غير المكي والمدني الاول

٥ تجري من تحتها الانهار - عده المكي والمدني الاول

٦ فما له من هاد - في الموضع الثاني - عده الكوفي وأما الموضع الاول فقد اتفقوا على عده

٧ أني عامل فسوف تعلمون - عده الكوفي

سورة المؤمن - اثنتان وثمانون في عدد البصري وأربع في عدد المكي والمدني وخمس في عدد الكوفي وست في عدد الشامي

وقد اختلف فيها في تسعة مواضع

١ حم - عده الكوفي

٢ يوم التلاق - عده غير الشامي

٣ يوم هم بارزون - عده الشامي

٤ اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين - عده غير الكوفي

٥ وأورثنا بني اسرائيل الكتاب - عده غير المدني الاخير والبصري

٦ وما يستوي الاعمى والبصير - عده المدني الأخير والشامي

٧ اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون - عده المدني الآخير والكوفي والشامي

٨ في الحميم - عده المكي والمدني الاول

٩ أين ما كنتم تشركون - عده الكوفي والشامي

سورة السجدة - اثنتان وخمسون آية في عدد البصري والشامي وثلاث في عدد المكي والمدني وأربع في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في موضعين

١ حم - عده الكوفي

٢ مثل صاعقة عاد وثمود - عده غير البصرى والشامي

سورة الشورى - خمسون آية في عدد غير الكوفي وثلاث وخمسون في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ حم - ٢ عسق - ٣ كالأعلام -	عد هذه الثلاثة الكوفي

سورة الزخرف - ثمان وثمانون آية في عدد الشامي وتسع في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها في موضعين

١ حم - عده الكوفي

٢ هو مهين - عده غير الكوفي والشامي

سورة الدخان - ست وخمسون آية في عدد المكي والمدني والشامي وسبع في عدد البصري وتسع في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في أربعة مواضع

١ حم - عده الكوفي

٢ ان هؤلاء ليقولون - عده الكوفي أيضا

٣ ان شجرة الزقوم - عده غير المكي والمدني الاخير

٤ كالمهل يغلي في البطون - عده غير المدني الاول والشامي

سورة الجاثية - ست وثلاثون آية في عدد غير الكوفي وسبع في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد - وهو -

حم ـ عده الكوفي

سورة الاحقاف ـ أربع وثلاثون آية في عدد غير الكوفي وخمس في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد ـ وهو ـ

حم ـ عده الكوفي .

سورة محمد ـ ثمان وثلاثون آية في عدد الكوفي وتسع في عدد المكي والمدني والشامي وأربعون في عدد البصري

سورة الفتح ـ تسع وعشرون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الحجرات ـ ثمان عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة ق ـ خمس وأربعون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الذاريات ـ ستون آية في عدد الجميع بلاخلاف بينهم فى شيء منها

سورة والطور ـ سبع وأربعون آية في عدد المكي والمدني وثمان وأربعون في عد البصري وتسع في عدد الكوفي والشامي

وقد اختلفوا فيها في موضعين

١ والطور ـ عده الكوفي والبصري والشامي

٢ دعاً ـ عده الكوفي والشامي

سورة والنجم ـ احدى وستون آية في عدد غير الكوفي واثنتان فى عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها فى ثلاثة مواضع

١ وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ـ عده الكوفي

٢ فأعرض عن من تولى ـ عده الشامي

٣ ولم يرد الا الحياة الدنيا ـ عده غير الشامي

سورة القمر ـ خمس وخمسون آية فى عدد الجميع بلا خلاف بينهم فى شيء منها

سورة الرحمن ـ ست وسبعون آية فى عدد البصري وسبع فى عدد المكي والمدني وثمان فى عدد الكوفي والشامي

وقد اختلف فيها فى خمسة مواضع

١ الرحمن ـ عده الكوفى والشامى

٢ خلق الانسان ـ الاول ـ عده غير المدني

٣ وضعها للأنام ـ عده غير المكي

٤ شواظٌ من نار ـ عده المكي والمدني

٥ يكذّب بها المجرمون ـ عده غير البصري

سورة الواقعة ـ ست وتسعون آية في عدد الكوفي وسبع في عدد البصري وتسع فى عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها فى أربعة عشر موضعا

١ فأصحاب الميمنة ـ } عدهما غير الكوفي
٢ وأصحاب المشأمة ـ }

٣ على سرُرٍ موضونة ـ عده غير البصري والشامي

٤ بأكواب وأباريق ـ عده المكي والمدني الاخير

٥ وحورٌ عين ـ عده المدنيّ الاول والكوفي

٦ ولا تأثيما ـ عده غير المكي والمدني الاول

٧ وأصحاب اليمين ـ عده غير المدني الاخير والكوفي

٨ انا أنشأناهنّ انشاءً ـ عده غير البصري

٩ وأصحاب الشمال ـ عده غير الكوفي

١٠ فى سموم وحميم ـ عده غير المكي

١١ وكانوا يقولون ـ عده المكي

١٢ قل ان الاولين والآخرين ـ عده غير المدني الاخير والشامي

١٣ لمجموعون ـ عده المدني الاخير والشامي

١٤ فروحٌ وريحان ـ عده الشامي

سورة الحديد ـ ثمان وعشرون آية فى عدد المكي والمدني والشامي وتسع في عدد الكوفي والبصري

وقد اختلفوا فيها فى موضعين

١ من قِبله العذاب ـ عده الكوفيّ

٢ وآتيناه الانجيل ـ عده البصري

سورة المجادلة ـ احدى وعشرون آية فى عدد المكي والمدني الاخير واثنتان فى عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها فى موضع واحد ـ وهو ـ

أولئك فى الاذلين ـ عده غير المكي والمدني الاخير

سورة الحشر ـ أربع وعشرون آية فى عدد الجميع بلا خلاف بينهم فى شيء منها

سورة الممتحنة ـ ثلاث عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الصف ـ أربع عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الجمعة ـ احدى عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة المنافقين ـ احدى عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة التغابن ـ ثمان عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الطلاق ـ احدى عشرة آية في عدد البصري واثنتا عشرة آية في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع ـ

١ واليومِ الآخر ـ عده الشامي

٢ يجعل له مخرجا ـ عده المكي والمدني الاخير والكوفي

٣ فاتقوا الله ياأولي الالباب ـ عده المدني الاول

سورة التحريم ـ اثنتا عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الملك ـ ثلاثون آية في عدد المدني الاول والكوفي والبصري والشامي وابي جعفر من المدني الاخير واحدى وثلاثون آية في عدد المكي شيبة من المدني الاخير

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد . وهو .

قد جاءنا نذير . عده المكي وشيبة

سورة ن . اثنتان وخمسون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الحاقة . احدى وخمسون آية في عدد البصري والشامي . واثنتان وخمسون في عدد الباقين

وقد اختلفوا في موضعين

١ الحاقة . عده الكوفي

٢ وأما من أوتي كتابه بشماله . عده المكي والمدني

سورة المعارج . ثلاث وأربعون آية في عدد الشامي وأربع وأربعون عند غيره

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد . وهو .

كان مقداره خمسين ألف سنة . عده غير الشامي

سورة نوح . ثمان وعشرون آية في عدد الكوفي وتسع في عدد البصري وثلاثون في عدد الباقين

وقد اختلفو فيها في أربعة مواضع

١ ولا سُواعاً . عده غير الكوفي

٢ ونسرا . عده المدني الاخير والكوفي

٣ أضلوا كثيرا . عده المكي والمدني الاول

٤ فأدخلوا نارا . عده غير الكوفي

سورة الجن . ثمان وعشرون آية اتفاقا

وقد اختلفوا فيها في موضعين

١ لن يجيرني من الله أحد - عده المكي

٢ ولن أجد من دونه ملتحدا - عده غير المكي

سورة المزمل - ثمان عشرة آية في عدد المدني الاخير وتسع عشرة في عدد البصري وعشرون في عدد المكي والمدني الاول ولكوفي والشامي

وقد اختلفوا فيها في أربعة مواضع

١ يا أيها المزمل - عده المدني الاول والكوفي والشامي

٢ انا أرسلنا اليكم رسولا - عده المكي

٣ كما ارسلنا الى فرعون رسولا - عده غير المكي

٤ يجعلُ الولدان شيبا - عده غير المدني الاخير

سورة المدثر - خمس وخمسون آية في عدد المكي والمدني الاخير والشامي وست في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها فى موضعين

١ يتساءلون - عده غير المدني الاخير

٢ عن المجرمين - عده المدني والكوفي والبصري

سورة القيامة - تسع وثلاثون آية فى عدد غير الكوفي وأربعون في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد - وهو -

لتعجلَ به - عده الكوفي

سورة الانسان - احدى وثلاثون آية في عدد الجميع بلاخلاف بينهم في شيء منها

سورة والمرسلات - خمسون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم فى شيء منها

سورة النبأ - اربعون آية فى عدد غير المكي والبصري واحدى واربعون في عدد المكي والبصري

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد - وهو -

انا انذرناكم عذابا قريباً - عده المكي والبصري

سورة النازعات - خمس واربعون آية في عدد غير الكوفي وست فى عدد الكوفي

وقداختلفوا فيها في موضعين

١ متاعا لكم ولا نعامكم - عده المكي والمدني والكوفي

٢ فأما من طغى - عده الكوفى والبصري والشامي

سورة عبس - اربعون آية في عدد الشامي واحدى وأربعون فيعددأبي جعفر من المدني الاخير والبصري واثنتان وأربعون فى عدد المكي والمدني الاول وشيبة من المدني الاخير

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ فلينظر الا نسان الىطعامه - عده غير ابي جعفر

٢ متاعا لكم ولا نعامكم - عده غير البصري والشامي

٣ فاذا جاءت الصاخـة - عده غير الشامي

سورة التكوير - ثمان وعشرونآية فىعدد أبيجعفر وتسع فىعددالباقين

وقد اختلف فيها في موضع واحد - وهو -

فأين تذهبون - عده غير أبي جعفر

سورة الانفطار . تسع عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة المطففين . ست وثلاثون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الانشقاق . ثلاث وعشرون آية في عدد البصري والشامي وخمس في عدد الباقين

وقد اختلف فيها في موضعين

١ فأما من أوتي كتابه بيمينه . } عدهما غير البصري والشامي
٢ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره . }

سورة البروج . اثنتان وعشرون آية في قول الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الطارق . ست عشرة آية في عدد المدني الاول وسبع عشرة في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد . وهو .

إنهم يكيدون كيدا . عده غير المدني الاول

سورة الاعلى . تسع عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم فى شيء منها

سورة الغاشية . ست وعشرون آية فى عدد الجميع بلا خلاف بينهم فى شيء منها

سورة الفجر . تسع وعشرون آية في عدد البصري وثلاثون في عدد الكوفي والشامي واثنتان وثلاثون فى عدد المكي والمدني

وقد اختلفوا فيها في أربعة مواضع

١ فأكرمه ونعمه .
٢ فقدر عليه رزقه .
} عدهما المكي والمدني

٣ وجيء يومئذ بجهنم . عده المكي والمدني والشامي

٤ فادخلي في عبادي . عده الكوفي

سورة البلد . عشرون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة والشمس . خمس عشرة آية في عدد غير المكي والمدني الاول وست عشرة في عدد المكي والمدني الاول

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد . وهو .

فكذبوه فعقروها . عده المكي والمدني الاول

سورة والليل . احدى وعشرون آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة والضحى . احدى عشرة آية في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة ألم نشرح . ثمان آيات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة التين . ثمان آيات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة العلق . ثمان عشرة آية في عدد الشامي وتسع عشرة في عدد الكوفي والبصري وعشرون في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها في موضعين

١ أرأيت الذي ينهى . عده غير الشامي

٢ كلا لئن لم ينته . عده المكي والمدني

سورة القدر - خمس آيات في عدد المدني والكوفي والبصري وست في عدد المكي والشامي

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد - وهو -

ليلة القدر - الثالثة - عده المكي والشامي

سورة لم يكن - ثمان آيات في عدد غير البصري والشامي وتسع آيات في عدد البصري والشامي

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد - وهو -

مخلصين له الدين - عده البصري والشامي

سورة الزلزلة - ثمان آيات في عدد المدني الاول والكوفي وتسع آيات في في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها فى موضع واحد - وهو -

يومئذ يصدر الناس أشتاتا - عده غير المدني والكوفي

سورة العاديات - احدى عشرة آية فى عدد الجميع بلا خلاف بينهم فى شيء منها

سورة القارعة - ثمان آيات فى عدد البصري والشامي وعشر في عدد المكي والمدني واحدى عشرة في عدد الكوفي

وقد اختلفوا فيها في ثلاثة مواضع

١ القارعة - الاول - عده الكوفي

٢ ثقلت موازينه . } عدهما غير البصري والشامي
٣ خفت موازينه . }

سورة التكاثر - ثمان آيات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة والعصر ـ ثلاث آيات اتفاقا

وقد اختلفوا فى موضعين منها

١ والعصر ـ عده غير المدني الاخير

٢ وتواصو بالحق ـ عده المدني الاخير

سورة الهمزة ـ تسع آيات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الفيل ـ خمس آيات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة قريش ـ أربع آيات فى عدد الكوفي والبصري والشامي وخمس في عدد الباقين

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد ـ وهو ـ

الذي أطعمهم من جوع ـ عده المكي والمدني

سورة أرأيت ـ ست آيات في عدد غير الكوفي والبصري وسبع آيت في عدد الكوفي والبصري

وقد اختلفوا فيها فى موضع واحد ـ وهو ـ

الذين هم يراؤن ـ عده الكوفي والبصري

سورة الكوثر ـ ثلاث آيات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة الكافرون ـ ست آيات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة النصر ـ ثلاث آيات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها

سورة تبت ـ خمس آيات فى عدد الجميع بلا خلاف بينهم شيء منها

سورة الاخلاص ـ أربع آيات في عدد غير المكي والشامي وخمس آيات في عدد المكي والشامي

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد ـ وهو ـ

لم يلد ـ عده المكي والشامي

سورة الفلق ـ خمس ايات في عدد الجميع بلا خلاف بينهم فى شيء منها

سورة الناس ـ ست آيات في عدد غير المكي والشامي وسبع آيات في عدد المكي والشامي

وقد اختلفوا فيها في موضع واحد ـ وهو ـ

الوسواس ـ عده المكي والشامي

الفصل الحادي عشر

وهو في فواصل الآي وما يتعلق بذلك

الفاصلة هي الكلمة التي تكون آخر الآية ـ وهي كقافية الشعر وقرينة السجع ـ. وقال بعض القراء الفاصلة هي الكلمة التي تكون آخر الجملة ـ ففرق بين الفواصل ورؤوس الآي وجعل الفواصل أعم منها فيكون كل رأس آية فاصلة ولا يكون كل فاصلة رأس آية ـ . واستدل على ذلك بان سيبويه ذكر فى تمثيل الفواصل يوم يأت ـ وما كنا نبغ ـ وليسا رأس آية بأجماع ـ مع ـ إذا يسرِ ـ وهو رأس آية باتفاق . .

وأورد عليه أن ذلك مخالف لمصطلح القراء ـ ولا دليل له في تمثيل سيبويه بيوم يأتِ ـ وماكنا نبغِ ـ وليسا رأس آية ـ لان مراده الفواصل في مصطلح النحويين ـ وهي عندهم تعم النوعين

وقد ذكرنا فيما مضى مباحث تتعلق بالفواصل وهنا نذكر مباحث تتعلق بها اتماما لامرها

﴿ المبحث الاول ﴾

الكلام عند العرب نوعان - منظوم ومنثور

فالمنظوم ويقال له النظم والشعر هو الكلام الموزون المقفى نحو قول الشاعر

صَبِّرِ النفسَ عندَ كلِّ مُلِمٍّ ان في الصبرِ حيلةَ المحتالِ

لا تَضيقنَّ في الامور فقد تُكـشَفُ غمّاؤها بغير احتيالِ

ربما تكرَه النفوس من الامـر له فُرَجةٌ كحلّ العقالِ

فهذا منظوم لأنه كلام موزون مجزء الى أجزاء متساوية ذات قوافي. والقوافي هي الكلمات المتوافقة في الحرف الاخير منها الواقعة في آخر الاجزاء. وهي هنا المحتال والاحتيال والعقال. فانها متوافقة في الجزء الاخير منها وهي اللام وواقعة في آخر الاجزاء ويقال لها الابيات. . فالقافية اذاً هي الكلمة التي تكون في آخر البيت وهي موافقة لاخواتها في الحرف الاخير منها - ويقال لهذا الحرف الاخير الرويّ وقد يطلق عليه اسم القافية أيضا - يقال هذه قصيدة على قافية اللام أي على رويّ اللام ثم ان القافية انواع - منها المردفة وهي التي يكون قبل رويها من غير فصل الف أو واو أو ياء اذا كانتا حرفي مد أولين - ويقال لهذه الاحرف الثلاثة الردف - فمثال القافية المردفة بالالف المحتال واحتيال والعقال المذكورة في الابيات السابقة - ومثال القافية المردفة بالواو سؤول ونقول المذكورين في قول الشاعر

ولست بمبدٍ للرجال سريرتي ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

ولا أنا يوماً للحديث سمعته الى ههنا من ههنا بنقول

ومثال القافية المردفة بالياء نصيحا وصحيحا المذكورين في قول الشاعر

فلا تُفش سرّك الا اليكَ فان لكلّ نصيحٍ نصيحا

وأني رأيتُ غُـواة الرجا ل لا يتركون أديمـا صحيحا

وكثيرا ما توجـد القافية المردفة بالواو مع القافية المردفة بالياء في موضع واحـد بخلاف القافية المردفة بالالف فانها لا توجد مع غيرها .. مثال ذلك تنوب و يصيب المذكورين في قول الشاعر

ولا خير فيمن لا يوطّن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

وفى الشك تفريط وفي الحزم قوة ويخطئ في الحدس الفتي و يصيب

وسائر انواع القافية وما يتعلق بها مذكور في كتب العروض . وسميت القافية قافية لأنها تقفو اخواتها . وقيل ان القافية بمعنى مقفوة مثل عيشة راضية بمعنى مرضية فكأن الشاعر يقفوها أي يتبعها . وعلى كلا القولين فلا تتحقق القافية في البيت الواحد الذي ليس له قرين وانما تتحقق في البيتين فصاعدا . ومن ثم ذهب اكثر أهل العربية الى أن البيت الواحـد لا يسمى شعرا وانما يسمى شعرا ماكان بيتين فصاعدا اذا اتفق فيه الروي والقافية. والخلاف فى البيت الواحد هل يسمى شعرا أولا يسمى شعرا انما هو فيما كان موزونا قصدا . وأما ما اتفق فيه الوزن فانه لا يسمى شعرا باتفاق والا لزم أن يكون كل متكلم شاعرا. وذلك لان كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير بقوله ما قد يتزن بوزن الشعر ومن تتبع ذلك في كلام الناس وجد منه شيأ كثيرا وقد وقع شيء من ذلك في الكتاب العزيز . مثل . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

والمنثور ويقال له النثر هو الكلام الذي ليس بموزون . وهو نوعان . مُرسَل ومُسَجَّع ،

فالمرسل هو الكلام الذي لا يجزأ أجزاءً بل يرسل أرسالا من غير تقييد

بقافية ولا غيرها . وهو جل كلام الناس . واذا أطلق الكلام لم يتبادر الى الذهن غيره . و يستعمل في الخطب والمحاورات وغير ذلك ومثاله قول الحسن البصري : لسانُ العاقل من وراء قلبه . فاذا أراد الكلام تفكر . فان كان له قال ، وان كان عليه سكت . وقلب الجاهل من وراء لسانه . فان هم بالكلام تكلم . كان له أو عليه

وأكثر الاحاديث من هذا النوع . فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : مَثلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثلُ الاترُجة . ريحها طيب . وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة . طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانه . ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة . طعمها مر . ولا ريح لها . أخرجه الخمسة عن أبي موسى

والمسجع ويقال له السجع هو الكلام الذي يجزأ أجزاء يجعل لكل جزئين منها قافية واحدة مثل حسن البيان . حلية الانسان ، ولولاه لكان كصورة ممثلة . أو بهيمة مهملة ، ويقال لكل جزء من الاجزاء المذكورة فقرة . ولكل قافية من قوافيه فاصلة ويقال لكل جزئين متوافقين في الفاصلة سجعة . وقد تطلق السجعة على كل واحد منهما مجازا . . ويقال لكل واحد من الجزئين المذكورين بالنظر الى الآخر قرينة . . ثم أن السجع كما يطلق على نفس الكلام المذكور يطلق على الاتيان به وعلى تواطؤ الفاصلتين على حرف واحد . وهو مأخوذ من سجع الحمامة ، قال علماء اللغة يقال سجعت الحمامة اذا والت صوتها على طريق واحد . وسجع الرجل وسجّع اذا تكلم بكلام مقفى غير موزون . و يقال سجع الكلام وسجع به اذا أتى به على هذه الهيئة وقد

قسم بعض أهل البـديع السجع الى خمسة أقسام ـ متوازٍ ومطرّف ومتوازن ومرصع ومتماثل ـ فالسجع المتوازي هو ما اتفق فيه الفاصلتان في الوزن والقافية وذلك مثل قوله تعالى فيها سرر مرفوعة ـ وأكواب موضوعة ـ فان مرفوعة وموضوعة متفقتان في الوزن والقافية ـ والمراد بالقافية هنا الحرف الاخير والسجع المطرّف هو ما اتفق فيه الفاصلتان في القافية دون الوزن ـ وذلك مثل قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا ـ وقد خلقكم أطوارا ـ فان وقارا وأطوارا متفقان في القافية دون الوزن ـ . والسجع المتوازن هو ما اتفق فيه الفاصلتان في الوزن دون القافية وذلك مثل قوله تعالى ونمارق مصفوفة ـ وزرابيّ مبثوثة ـ . فأن مصفوفة ومبثوثة متفقتان في الوزن دون القافية ـ . والسجع المرصع هو ما كان مافي احدى القرينتين مثل مايقابله من القرينة الاخرى في الوزن والقافية ـ وذلك مثل قول القائل قَوِّمْ أَوَدَ أولادِك ـ تُعـظِمْ كد أندادك ـ فان تعظم يقـابل قوم ـ وكمد يقابل أود وأندادك يقابل أولادك ـ وكل منها موافق لما يقابله في الوزن والقافية وقد وقع للحريري من ذلك قوله في المقامات : فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ـ و يقرع الاسماع بزواجر وعظه ـ وقد أكثر منه خطيب الخطباء عبد الرحيم ابن نباتة فمن ذلك قوله فى خطبـة : أيها الناس أسيموا القلوب في رياض الحكم ـ وأديموا النحيب على ابيضاض اللمم ـ .وأطيلوا الاعتبار بانتقاض النعم ـ وأجيـلوا الافكار في انقراض الامم ـ . ومن ذلك قوله في خطبة : الحمد لله مبدع أصناف البدائع ـ وموسع الطاف الصنائع ـ الذي أوزع شكر نعمه كل منيب طائع ـ وأودع نور حكمه قلب اللبيب الخاشع ـ . وهذا النوع لا يتأتى في الغالب الا مع فرط التـكلف ولم يجيء منـه في الكتاب العزيز شيء وقال بعضهم قد جاء منه قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم ـ وان الفجار لفي جحيم ـ

وتعقب ذلك بأن لفظة ان ولفي قد وردت فى كل من القرينتين وشرط الترصيع أن تختلف الكلمات فيهما جميعا. وأجيب بأن مثل ذلك غير ضائر والا لزم أن تكون أكثر الامثلة التي مثلوا بها ليست من الترصيع. ألا ترى ان ـ يا أيها الناس ـ الواقعة في القرينة المذكورة ليس لها مقابل أصلا في القرينة التي تقابلها وكذلك ـ الحمد لله . ومن قبيل ما ذكر قوله تعالى ان الينا ايابهم ـ ثم ان علينا حسابهم

وقد وقع الترصيع في شعر المحدثين مثل قول بعضهم

فمكارم أوليتها متبرعا　　وجرائم ألغيتها متورعا

وهو قليل جدا ـ وموقعه في الشعر دون موقعه في النثر ـ وقد وقع في شعر ذي الرمة بيت شطره الاول مرصع ـ وهو

كحلاءُ في برَجٍ صفراءُ في دعجٍ　　كأنها فضةٌ قد مسَّها ذهب

والسجع المتماثل هو ما كان ما في احدى القرينتين مثل ما يقابله من القرينة الاخرى في الوزن دون القافية وذلك مثل قوله تعالى ـ وآتيناهما الكتاب المستبين ـ وهديناهما الصراط المستقيم ـ. فأن هديناهما يقابل آتيناهما ـ والصراط يقابل الكتاب ـ والمستقيم يقابل المستبين ـ وكل منها موافق لما يقابله في الوزن دون القافية الا الاول منها فأنه مخالف لما يقابله غير انه موافق له في القافيـة ـ وهو كالترصيع يكتفى فيه بالموافقة في الأكثر. وقد اقتصر كثير من علماء البيان من الاقسام المذكور على ثلاثة فقط وهي المتوازي والمطرف والمرصع. ولم يعدوا ماعدا ذلك من قبيل السجع لعدم اتفاق الفاصلتين فيه في القافية ولا من قبيل الكلام المرسل لعدم ارسال الكلام فيه ارسالا من غير تقييد بشيء وهو عندهم نوع مستقل بنفسه ـ فيكون المنثور عندهم ثلاثة انواع مرسل ومسجع ومتوسط بينهما

﴿ المبحث الثاني ﴾

اختلف أرباب البيان في السجع فذهب بعضهم الى ترجيح الكلام المرسل عليه الا أن يأتي عفوا وذهب بعضهم الى ترجيح السجع على الكلام المرسل الا انهم قالوا أنما نرجح السجع عليه اذا اجتمعت فيه ثلاثة أوصاف. وهي ان يكون خاليا من التكلف. وان يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى.. وان يكون فيه اعتدال . ولنذكر شيئا مما ذكره أهل صناعة البيان في ذلك قال بعضهم :

السجع هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد.. وليس مذموما على الاطلاق كما زعمه بعض أرباب هذه الصناعة فانه قد جاء في القرآن كثيرا حتى انه لم تخل منه سورة من السور. وقد جاءت بعض السور مسجوعة كلها كسورة الرحمن والقمر. وأنما المذموم من السجع ما لم يستوف الاوصاف المطلوبة فيه. فان المراد بالسجع ليس مجرد تواطؤ الفواصل على حرف واحد. اذ لو كان الامر كذلك لكان كل أديب ولو شدا شيئا يسيرا من الادب يمكنه ان يأتي بالسجع في كلامه . . والاوصاف المطلوبة في الكلام المسجوع أربعة

الاول ان تكون الالفاظ فيه متخيرة

الثاني ان يكون تركيبها جاريا على وجه حسن

الثالث ان يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى

الرابع ان يكون معتدلا . والاعتدال فيه بأن لا تزيد كل فقرة منه على نحو عشرين كلمة. وان تكون كلمات القرينة الثانية مساوية لكلمات القرينة الاولى في المقدار أو زائدة عليها زيادة قليلة. فان كانت السجعة مؤلفة من ثلاث فقر ساغ ان تجعل الثالثة أزيد منهما معا لحسبان الاولى والثانية بمنزلة فقرة واحدة الا ان التساوي فيها أولى . وذلك مثل قوله تعالى والعاديات

ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فاذا استوفى السجع الصفات المطلوبة فيه جاء في غاية الحسن . وكان أعلى درجات الكلام . فاذا تهيأ للكاتب ان يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فليفعل . فان قيل اذا كان السجع على الوجه المذكور أعلى درجات الكلام كان ينبغي ان يأتي القرآن كله مسجوعا . وليس الامر كذلك فان فيه المسجوع وغير المسجوع . فالجواب أن أكثر القرآن مسجوع حتى ان بعض سوره جاءت كلها مسجوعة وانما ترك السجع فيه في بعض المواضع لانه سلك مسلك الايجاز والاختصار . والسجع لا يؤاتي في كل موضع من الكلام على حد الايجاز والاختصار فترك السجع في تلك المواضع رعاية لامرهما وهنا وجه آخر هو أقوى من الاول وهو ان يقال انما جاء في القرآن غير المسجوع أيضا مع ان المسجوع أفضل من غيره لان ورود غير المسجوع معجزا أبلغ في باب الاعجاز من ورود المسجوع . فلذلك تضمن القسمين جميعا

واعلم ان للكلام المسجوع سرا ان خلا منه لم يعتد به أصلا . وهذا شيء لم ينبه عليه أحد غيري وهو ان تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها . فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه . وجل كلام الناس المسجوع جار على ذلك . فمن ذلك قول بعض الكتبة المفلقين : لا بدّ من اتفاق أشراف كل قطر . وأفاضله . وأعيان كل صقع وأماثله . فان المعنى الذي في احدى السجعتين هو عين المعنى الذي في السجعة الاخرى ومثل ذلك قوله : يسافر رأيه وهو دان لم ينزح . ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح . . وبقي مما يتعلق بالسجع ما أنا ذاكره ههنا وهو — :

ثم ان السجع قسمان ـ قصير وطويل .. فالقصير منه ما كانت الفقرة فيه لا تزيد على عشر كلمات .. فمن ذلك قوله تعالى وأصحاب اليمين ـ ما أصحاب اليمين ـ في سدر مخضود. وطلع منضود ـ وظل ممدود. فان هذه الفقرات مؤلفة من كلمتين كلمتين ـ ومثل ذلك قوله تعالى والمرسلات عرفا ـ فالعاصفات عصفا ـ وقوله تعالى يا أيها المدثر ـ قم فأنذر ـ وربك فكبر ـ وثيابك فطهر ـ والرجز فاهجر ـ ومن ذلك قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ـ لقد جئتم شيئا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدًّا * فان الفقرة الاولى منه مؤلفة من ثمان كلمات والثانية من تسع

والطويل منه ما كانت الفقرة فيه تزيد على عشر كلمات ومما بلغت الفقرة فيه نحو عشرين كلمة قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ـ ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ـ ولكنّ الله سلم ـ انه عليم بذات الصدور * واذ يريكموهم اذا التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ـ ليقضي الله أمرا كان مفعولا ـ . والى الله ترجع الامور

وأما التصريع في الشعر فهو بمنزلة السجع في النثر، وفائدته في الشعر ان تعلم قافية القصيدة قبل كمال البيت الاول منها ، وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وذلك كقول امرئ القيس في مطلع لاميته المشهورة

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل بِسقط اللوى بين الدَّخول فحومل

وكقوله في أثنائها

ألا أيها الليلُ الطويلُ الا انجلِ بصبحٍ وما الاصباح منك بأمثل

وهذه الاصناف من التصريع والترصيع والتجنيس ونحوها انما يحسن منها في الكلام ما قل وجرى مجرى الغرة من الوجه .. فأما اذا كثرت فانها

لا تكون مرضية لما فيها من أمارات الكلفة

وأما لزوم ما لا يلزم فهو ان يلتزم المتكلم في فاصلتي السجع أو في قوافي الشعر ما لا يلزمه في ذلك . . ولنوضح ذلك فنقول: ان اللازم في السجع ان تتواطأ الفاصلتان في الحرف الاخير منهما فان زاد المتكلم على ذلك وجعلهما متواطئتين في الحرف الذي قبله أيضا كان هذا من قبيل لزوم ما لا يلزم في السجع واللازم في الشعر ان تتواطأ القوافي في الحرف الاخير منها فان زاد على ذلك وجعلها متواطئة في الحرف الذي قبله أيضا كان هذا من قبيل لزوم ما لا يلزم في الشعر. وقد ورد في القرآن الكريم شيء من اللزوم الا انه قليل جدا . فمن ذلك قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق ، فالفاصلتان هنا خلق وعلق والحرف الاخير منهما هو القاف . وقد التزم قبله اللام فيهما . ومن ذلك قوله تعالى والطور وكتاب مسطور . فالفاصلتان هنا الطور ومسطور والحرف الاخير منهما هو الراء وقد التزم قبله الطاء فيهما . وقد أدخل بعضهم في ذلك قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم . ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . . وليس الامر كذلك . لان الياء هنا من حروف المد واللين فهي ردف والردف لازم . بل هذا من قبيل السجع المطلق وقد ورد في أشعار المتقدمين شيء من هذا النوع الا انه قليل . فمن ذلك قول طرفة بن العبد البكري

ألم تر أن المال يكسب أهله   فُضوحا اذا لم يعط منه مُناسبه

أرى كل مال لامحالة ذاهبا   وأفضـُله ماورّث الحمد كاسبه

وينبغي لمؤلف الكلام أن لا يستعمل من هذا النوع أو غيره الا ما كان غير متكلف . . والمتكلف من ذلك هو ما يأتي بالفكر والروية وذلك بأن

ينضي الخاطر في طلبه واقتصاص أثره وغير المتكلف من ذلك هو ما يأتيه عفوا بأن يسنح له وهو ينظم قصيدة أو ينشيء خطبة أو رسالة شيء من هذه الانواع بطريق الاتفاق

وأما الموازنة فهي في الكلام المنثور تساوي الفاصلتين في الوزن دون القافية، وفي الكلام المنظوم تساوي صدر البيت وعجزه في ذلك . وللكلام بذلك طلاوة ورونق لان مقاطع الكلام اذا تعادلت وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا النوع هو اخو السجع . فمن ذلك قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكون لهم عزا* كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا . فضد وعز متساويان في الوزن فقط وامثال هذا في القرآن كثير بل معظم آياته جارية على هذا النهج ولقد تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع أو الموازنة هذا ملخص ماذكره ابن الاثير في المثل السائر في أمر السجع وقد وقع في كلامه أمور ثلاثة يمكن تعقبها

الامر الاول ذكر في شرائط قبول السجع أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها وذكر أن هذا الشرط لم ينبه عليه أحد غيره وان الكتاب المفلقين قد أخلوا به في أكثر المواضع وهذا الشرط الذي انفرد بزيادته ليس مسلما على الاطلاق . فان من المقامات ما يقتضي اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه. ولكل مقام مقال لا يصلح فيه غيره

الامر الثاني ذكر أن السجع أعلى درجات الكلام ثم حث الكاتب على ان يأتي به في كتابته كلها اذا تهيأ له ذلك من غير اخلال بشيء من شروطه مع أن السجع لا يطلب في جميع المواضع وانما يطلب في بعض المواضع لا سيما

المواضع التي يكون الكلام فيها مما يراد حفظه فان للسجع مدخلا في سرعة الحفظ وقلة التفلت . قال الجاحظ في البيان والتبيين : قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي لم تؤثر السجع قال ان كلامي لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافي عليه . ولكني أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر . فالحفظ اليه أسرع . والآذان لسماعه أنشط . وهو أحق بالتقييد و بقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . ومن استعمل السجع في غير موضعه كان جديرا بأن ينكر عليه الا يأتي ذلك بغير تكلف وذلك كقول الاعرابي حين شكا الى عامل الماء : حلئت ركابي وخرقت ثيابي . وضربت صحابي ومنعت ابلي من الماء والكلأ . فقال له العامل أوسجع ايضا . فقال الاعرابي فكيف أقول . فانظر الى هذا السجع فأنه قد أتي بغير تكلف ولو أراد تركه لاحتاج في ذلك التكلف ولذلك أنكر على العامل انكار السجع حتى قال فكيف أقول . قال الجاحظ لانه لو قال جلئت ابلي أو جمالي أو نوقي أو بعراني أو صرمتي لكان لم يعبر عن حق معناه وانما حلئت ركابه فكيف يدع الركاب الى غير الركاب . وكذلك قوله وخرقت ثيابي وضربت صحابي

التحلئة منع الماشية أن ترد الماء . والكلأ العشب

وقد اختلفت مناهج الكتاب في السجع فمنهم من كان يكثر منه ومنهم من كان يقل منه ومنهم من كان يستعمله تارة و يرفضه أخرى وأما عبد الحميد بن يحيى وعبد الله بن المقفع وأبو عثمان الجاحظ وأحمد بن يوسف وأبو مسلم محمد بن بحر وأشباههم فأن السجع في كلامهم قليل لكنهم لا يخلون بالمناسبة بين الالفاظ في الفصول والمقاطع الا في اليسير من المواضع

الامر الثالث ذكر انه تصفح الكتاب العزيز فوجده لايكاد يخرج منه شيء عن السجع أو الموازنة وما ذكر لايخلو من شيء عند امعان النظر. وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ المبحث الثالث ﴾

اختلف العلماء في أنه هل يقال ان في القرآن سجعا أم لا. فذهب بعضهم الى أنه يقال ان فيه سجعا وذهب بعضهم الى انه لايقال ان فيه ذلك وهي مسألة غامضة لا ينجلي الامر فيها الا بعد الوقوف على أمور

الامر الاول السجع أشبه بالشعر منه بالكلام المرسل وهو أخو الشعر الا ان الشعر لايكون الا موزونا والسجع لايكون الا غير موزون وهذا هو المشهور. وذهب بعض العلماء الى ان السجع قد يكون موزونا .

وهؤلاء هم الذين قالوا ان مشطور الرجز ومنهوكه ليسا من قبيل الشعر بل هما من قبيل السجع ، والرجز بحر من بحور الشعر يتركب كل بيت منه في الاصل من مستفعلن ست مرات والمراد بمشطوره ماذهب منه شطر وبقي منه شطر. أعني ثلاثة أجزاء. وذلك مثل قول الراجز

ان تميما أعطيت تماما وأعطيت مآثرا عظاما
وعددا وحسبا قمقاما وباذخا من عزها قداما

القمقام الكثير. والباذخ الطويل. والقدام القديم والمتقدم

والمراد بمنهوكه ماذهب منه ثلثاه وبقي منه ثلث. أعني جزئين وذلك مثل قول دريد بن الصمة في يوم هوازن

ياليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

الجذع الشاب. والخبب نوع من السير وكذلك الوضع

وقد جاء في الرجز ما هو على جزء واحد. وذلك مثل قول بعضهم في قصيدة يمدح بها

وكم قدر - ثم غفر - عدل السير - باقي الأثر

الا ان مثل هذا انما وقع في كلام المحدثين من الشعراء - والرجز من الاوزان السهلة التي لها موقع في النفس والمشطور منه أكثر من المنهوك جدا لان العرب كانوا يترنمون به في عملهم ويحدون به، وقد عُني به جل العلماء الذين تصدوا لنظم العلوم فجعلوا أكثر ما نظموه منها منه - الا انهم جعلوه مزدوجا -. وجعلوا كل زوجين منه بمنزلة بيت واحد - ولذلك عدت الالفية في النحو أو غيره ألف بيت لا ألفين :

وقد ذكر بعض من ألف في الشعر ان الرواة زعموا ان الشعر كله انما كان رجزا وقطعا - وانه انما قُصِّد قبل مجيء الاسلام بنحو مائة ونيف وخمسين سنة -. والقطع جمع قطعة وهي مالم يبلغ سبع أبيات - . والقصيدة مابلغ سبع أبيات فأ كثر

واشتراط الوزن والقافية في الشعر هو مذهب العرب ومن نحا نحوهم من الامم كالسريانيين والفرس. وأما الامم الاخرى فانهم لا يشترطون الوزن في الشعر. وأما القافية فقد اختلفوا في أمرها - فمنهم من يشترطها ومنهم من لا يشترطها ومن اشترطها منهم لم يشترط أن تكون القصيدة كلها قافية واحدة بل يكتفي بأن يكون لكل شطرين منها ذلك فيكون الشعر عندهم مشابها لمشطور الرجز المزدوج عندنا من جهة القافية، وسبب ماذكر عدم مساعدة لغاتهم على غير ذلك

الامر الثاني - ان الكلام اذا التزم فيه ان يجزأ الى أجزاء ذات فواصل ولم يلتزم فيه غير ذلك لا يعد من قبيل الكلام المرسل -لان الكلام المرسل لا يلتزم فيه شيء - وهذا قد التزم فيه ماذكر ولا من قبيل الكلام المسجع - لأن الكلام المسجع يلتزم فيه ان يجزأ الى جزئين جزئين يجعل لكل جزء منهما

فاصلة توافق فاصلة الجزء الآخر في القافية .. وهذا لم يلتزم فيه ذلك - ولا من قبيل الكلام المتوازن . لان الكلام المتوازن يلتزم فيه ان يجزأ الى جزئين جزئين يجعل لكل جزء منهما فاصلة توافق فاصلة الوزن الجزء الآخر في الوزن . وهذا لم يلتزم فيه ذلك، وهو نوع مستقل بنفسه الا انه قد يتفق فيه ما يكون على صورة الكلام المسجع أو الكلام المتوازن . وقد جاء القرآن على هذا الاسلوب . وهو أسلوب لم يعهد قبل ذلك . وينبغي ان يسمى هذا النوع بالكلام المفصَّل . قال في لسان العرب : وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر جل كتاب الله عز وجل . . وقوله كتاب فصلناه . له معنيان أحدهما تفصيل آياته بالفواصل . والمعنى الثاني في فصلناه بيناه

الامر الثالث . ان الذين منعوا من اطلاق لفظ السجع على ماجاء في القرآن على صورة السجع فريقان . فريق منهم منع من ذلك بناء على عدم انطباق حد السجع عندهم عليه . وفريق منهم منع من ذلك اما بناء على توهمهم ان في لفظ السجع ما يوهم نقصا لكونه مأخوذا من سجع الحمام . أو بناء على عدم ورود الاذن من قبل الشرع بذلك

الامر الرابع . ان الذين قالوا ان في القرآن سجعا قد تجاوز أكثرهم الحد في ذلك . فادعوا وجود السجع في مواضع لا يظهر أمر السجع فيها

فمن ذلك ادعاؤهم وجود السجع فيما طال فيه الجزآن كثيرا . مثل ما اشتمل كل منهما على نحو عشرين كلمة ومثل ما اشتمل كل منهما على ما يقرب من ذلك . مثل قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم . عزيز عليه ماعنتم . حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم * فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو . عليه توكلت . وهو رب العرش العظيم * فان الجزء الاول منه يشتمل على أربع عشرة

كلة والجزء الثاني منه يشتمل على خمس عشرة كلة . . فان مثل هذا غير معهود في السجع عند العرب انما المعهود عندهم ان يكون كل منهما أقل من ذلك رعاية لامر الاعتدال . . والاعتدال في السجع عندهم يكون بأمرين . أحدهما ان يكون الجزآن المزدوجان فيه متعادلين وذلك بأن لا يزيد أحدهما على الآخر زيادة كثيرة . وثانيهما ان يكون كل منهما غير مفرط في الطول . وهذا هو الذي نبحث عنه الآن

وطريق معرفة المفرط في الطول من غيره ان ينظر في السجع . فان أمكن ان يوقف فيه على آخر كل جزء من جزئيه بدون أن ينقطع النفس في أثناء ذلك فهو من غير المفرط في الطول . وهذا مما يظهر فيه الغرض المطلوب من السجع . وهو حصول المزاوجة فيه بين الجزئين . فانه اذا وقف فيه على آخر الجزء الاول ثم على آخر الجزء الثاني وهو موافق له في أمر القافية ظهر أمر المزاوجة بينهما بغير توقف . والوقوف هنا متعين لا يسوغ تركه . . قال بعض أرباب البيان : أن مبنى الفواصل على ان تكون موقوفا عليها . . ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور ونحو ذلك، ومنه قوله تعالى من طين لازب . مع تقدم قوله عذابٌ واصب . وشهاب ثاقبٌ . وكذا بماء منهمر . وأمر قد قُدِر . وكذا . وما لكم من دونه من وال . مع . وينشئ السحاب الثقال وقال بعضهم : ان كلات الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها . لان الغرض من السجع هو المزاوجة بين القرائن . والمزاوجة بينها لا تتم في كثير من المواضع الا بالوقف . ألا ترى الى قولهم ما أبعد ما فات . وما أقربَ ما هو آتٍ . فانه اذا لم يوقف فيه على فات وآت تكون التاء مفتوحة في الاول ومكسورة منونة في الثاني فلا تتم المزاوجة فيه . . فاذا وقف فيه عليهما

صارت التاء ساكنة في الموضعين فتمت المزاوجة بذلك

وان لم يمكن أن يوقف فيه على آخر كل جزء من جزئيه بدون أن ينقطع النفس في اثناء ذلك فهو من المفرط في الطول .. وهذا مما لا يظهر فيه الغرض المطلوب من السجع. وهو حصول المزاوجة فيه بين الجزئين . لانه يحتاج فيه الى أن يوقف في اثناء كل جزء منهما للاضطرار الى ذلك. وفي آخرهما التعين ذلك للوقف . فاذا وصل الى الفاصلة الثانية يكون السامع ربما ذهل عن أمر الفاصلة الاولى بسبب ماوقع من الفصل. فيخفى بذلك أمر المزاوجة والمطلوب فيه أن يكون واضحاً غير خفي . والاشكال هنا انما ورد بنـاء على عدّ ذلك من قبيل السجع لانه يكون من السجع الذي أخل فيه بالغرض. فان عدّ من غير قبيل السجع بل من قبيل الكلام المجزء الى أجزاء ذات فواصل لم يرد في ذلك اشكال . لانه لا تشترط فيه المزاوجة بل ينظر فيه الى كل جزء على حدة . بحيث يسوغ أن يفرد عما قبله وعما بعده الا لمانع يمنع من ذلك سواء كان من جهة اللفظ أومن جهة المعنى.. و ينبغي أن يعرف أن الجزئين المزدوجين في السجع هما بمنزلة البيت فى الشعر . وان الجزء الاول منه بمنزلة الشطر الاول والجزء الثاني بمنزلة الشطر الثاني منه . ولذلك استحب أن يجعل في آخر كل واحد منهما علامة تميزه عن الآخر في الكتابة لئلا يلتبس على القارئ الامر في ذلك

ومما ظنوا فيـه وجود السجع مع عدم ظهور أمر السجع فيه ما بُني على الالف المبـدلة من التنوين . وذلك مثل جل سورة النساء وسورة الكهف . فان جلّ فواصل الاولى جاء على نحو . رقيبا . كبيرا . مريأ . معروفا . حسيبا . مفروضا .. وجل فواصـل الثانية جاء على نحو . عوجا . حسنا . أبدا . ولدا .

كذبا ـ أسفا .. والالف المبدلة من التنوين لاتقع رويا بالاتفاق. وانما الالف التي تقع رويا هي الالف التي تكون في نحو الاعلى وفسوّى . ويغشى وتجلى ـ الا أن يقال انهم أرادوا بالسجع هنا ما يشمل الموازنة فانهم كثيرا مايطلقون لفظ السجع على ما يشمل ذلك

الامر الخامس ـ ان الذين ذهبوا الى انه لا يقال ان في القرآن سجعا قد فرق بعضهم بين السجع والفواصل بأن السجع يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه ـ والفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها . وعلى ذلك يكون السجع عيبا والفواصل بلاغة

ويرد عليه ان كلا منهما يحتمل الامرين جميعا ـ فما كان منهما غير مقصود في نفسه وانما كان تابعاً للمعنى كان بلاغة سواء كان من قبيل السجع أو من قبيل الفواصل وما كان منهما مقصودا في نفسه وكان المعنى تابعا له كان عيبا سواء كان من قبيل السجع أو من قبيـل الفواصل ـ فليس من لوازم السجع أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ كما انه ليس من لوازم الفواصل أن يكون اللفظ فيها تابعاً للمعنى كما ظنه صاحب الفرق المذكور ـ نعم يغلب في السجع ما ذكر ـ ولذلك حث أهل البيان على تركه الا أن يأتي عفوا ـ وقد وقع في كلام العرب كثير من السجع الذي يتبع فيه اللفظُ المعنى مع استيفاء سائر الاوصاف المطلوبة فيـه ـ ويكفيك النظر في حديث أم زرع فان فيـه أعظم شاهد على ذلك وسيأتي ذكره في الصفحة الـ ٢٤١

الامر السادس ـ قد تكون السجعة مؤلفة من فقرتين فقط ـ وهـذا هو الغالب ـ وقد تكون مؤلفة من ثلاث فقر وذلك مثل قوله تعالى ـ والعاديات ضبحا ـ فالموريات قدحا ـ فالمغيرات صبحا ـ . وقد تكون مؤلفة من أربع فقر ـ وذلك مثـل قوله تعالى ـ فلا أقسم بالشفق ـ والليل وما وسق ـ والقمر اذا

اتسق . لتركبن طبقاً عن طبق .. وقد توهم بعضهم ان فيه لزوم ما لا يلزم وذلك لاقتصاره على الآية الثانية والثالثة وظنه أن السجعة تتم بهما وليس الامر كذلك .. فينبغي الانتباه لمثل هذا

وقد وقع لزوم ما لا يلزم في مواضع من القرآن . من ذلك قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق .. ومن ذلك قوله تعالى وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما .. وقد وقع شيء من ذلك في كلام المتقدمين من العرب . أما في النثر ففي مثل قول بعضهم زر غبا . تزدد حبا . وقول بعضهم التجلد . ولا التبلد .. والمنية . ولا الدنية .. وأما في النظم ففي مثل قصيدة النابغة التي مطلعها

عرفت منازلا بعريتنات ... فأعلى الجزع للحي المبن

فانه لزم في جميع أبياتها تشديد الروي وهو هنا النون وأكثر العرب لا يلتزم مثل ذلك . قال المقنع الكندي

وان الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا

اذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

فشدد الروي في البيت الاول وتركه في الذي بعده

وهنا أمر . وهو ان من نظر في قصائدهم يجد في كثير منها أبياتاً متوالية وهي متوافقة في الحرف الذي قبل الروي أيضا . فاذا أفردت وحدها ووقف على ذلك من لم يعرف حقيقة الحال يخال انها من قبيل لزوم ما لا يلزم وأنهم قصدوا الى ذلك والحال ان ذلك انما وقع ثم بطريق الاتفاق

الامر السابع . زعم بعض من منع أن يقال ان في القرآن سجعا أنه قد ورد في الحديث ما يدل على ذم السجع وانكاره .. فقد روي أن امرأة ضربت بها

أخرى فسقط جنينها ميتا فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنينها بغرة عبد أو امة على عاقلة الضاربة . فقال رجل منهم : كيف ندي من لا شرب ولا أكل . ولا نطق ولا استهل . فمثل ذلك يُطلّ .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما هذا من اخوان الكهان . من أجل سجعه الذي سجع . وفي رواية أسجع كسجع الكهان . وهي المشهورة عند أهل البيان . وقد أخرج النسائي نحوه في سننه الصغرى . وقال مخالفوهم ان هذا الحديث لا يدل على ذم السجع مطلقا وانما يدل على ذم السجع الذي يكون مثل سجع الكهان . فانهم كانوا يروّجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين ليميلوا اليها . وكيف يذم السجع مطلقا وقد ورد في كلامه كثير منه

فمن ذلك قوله عليه السلام : ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه . ولا ينزع من شيء الا شانه .. أخرجه مسلم وأبو داود

ومن ذلك قوله عليه السلام : المؤمن غِرٌّ كريم . والفاجر خِبٌّ لئيم .. أخرجه أبو داود والترمذي

الغر ضد الخب والغرارة قلة الفطنة للشر وترك البحث عنه كرما

ومن ذلك قوله عليه السلام : يقول ابن آدم مالي مالي . وهل لك من مالك الا ما أكلتَ فأفنيت . أو لبستَ فأبليت . أو تصدقت فأمضيت . . أخرجه مسلم والترمذي والنسائي

ومن ذلك قوله عليه السلام : مامن يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان من السماء . يقول أحدهما : اللهم أعطِ منفقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم أعطِ ممسكا تلفا .. أخرجه الشيخان

ومن ذلك قوله عليه السلام : تعوذوا بالله من جهد البلاء . ودرك الشقاء .

وسوء القضاء . وشماتة الاعداء . . أخرجه الشيخان والنسائي

ومن ذلك قوله عليه السلام : اللهم اني أعوذ بك من الشقاق والنفاق. وسوء الاخلاق . . أخرجه أبو داود والنسائي

ومن ذلك قوله عليه السلام : كلمتان خفيفتان على اللسان . ثقيلتان في الميزان . حبيبتان الى الرحمن . سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . أخرجه الشيخان والترمذي

الامر الثامن . ان من أعظم المانعين ان يقال ان في القرآن سجعا امام المتكلمين من الاشاعرة أبو بكر الباقلاني . وقد رأيت ان أورد هنا نُبذا مما ذكره في ذلك في كتاب اعجاز القرآن . قال فيه : فصل في نفي السجع من القرآن . . ذهب أصحابنا كلهم الى نفي السجع من القرآن . وذكره أبو الحسن الاشعري في غير موضع من كتبه . . وذهب كثير ممن يخالفهم الى إثبات السجع في القرآن . وزعموا ان ذلك مما يبين به فصل الكلام . وانه من الاجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة . . .

وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهما السلام ولمكان السجع قيل في موضع هرون وموسى . ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهرون . . قالوا وما جاء في القرآن كثيرا لا يصح ان يتفق كله غير مقصود اليه . . وبنوا الامر في ذلك على تحديد معنى السجع . قال أهل اللغة هو موالاة الكلام على وزن واحد. وقال ابن دريد سجعت الحمامة معناه رددت صوتها وهذا الذي يزعمونه غير صحيح . . وكيف والسجع مما يألفه الكهان من العرب . ونفيه من القرآن أجدر .

بأن يكون حجة من نفى الشعر . لان الكهانة تنافي النبوات . والشعر ليس كذلك .. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين كلموه في شأن الجنين وقالوا : كيف ندي من لا شرب ولا أكل . ولا صاح فاستهـل . أليس دمه يطل . قال لهم : أسجاعةً كسجاعة الجاهلية . وفي بعض الروايات . أسجعا كسجع الكهان . فرأى ذلك مذموما . والذي يقدرونه انه سجع فهو وهم . لانه قد يكون الـكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا لان ما يكون به الـكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض . لان السجع من الـكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع . وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن . لان اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى

فان قيل :فقد يتفق في القرآن ما يكون من القبيلتين جميعا فيجب ان تسموا أحدهما سجعا . قيل الكلام في تفصيل هذا خارج عن غرض كتابنا . والا كنا نأتي على فصل فصل من أول القرآن الى آخره ونبين في الموضع الذي يدعون الاستغناء فيه عن السجع من الفوائد ما لا يخفى ولكنه خارج عن غرض كتابنا .. وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضعين .. وللسجع منهج محفوظ .. وطريق مضبوط .. متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ونسب الى الخروج عن الفصاحة . كما ان الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا وكان شعره رديئا . وربما أخرجه ذلك عن كونه شعرا .. وقد علمنا أن فيما يدعون أنه سجع ما يكون بعضه متقارب الفواصل متداني المقاطع . و بعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه . وترد الفاصلة على ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير . وهذا في السجع غير مرضي . فان قيل متى خرج السجع المعتدل الى نحو ماذ كرتموه خرج عن ان يكون سجعا . وليس على المتكلم ان يلتزم ان يكون .

كلامه كله سجعا بل يأتي به طورا ثم يعدل عنه الى غيره . ثم قد يرجع اليه . قيل: متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفا للآخر كان تخليطا وخبطا . وكذلك متى اضطرب أحد مصراعي الكلام المسجع وتفاوت كان خبطا وقد يتفق في الشعر كلام على مناهج السجع وليس بسجع عندهم. وذلك نحو قول البحتري

قريب المدى حتى يكون الى الندى   عدو البنا حتى تكون معالي

ورأيت بعضهم يرتكب هذا فيزعم أنه سجع مداخل . . ونظيره من القرآن قوله تعالى أمرنا مترفيها . ففسقوا فيها — وقوله تعالى التوراة والانجيل . ورسولا الى بني اسرائيل . وقوله تعالى اني وهن العظم مني .. ولو كان ذلك عندهم سجعا لم يتحيروا فيه ذلك التحير . حتى سماه بعضهم سحرا وتصرّفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه اليه . وهم في الجملة عارفون بالعجز عن طريقه وليسوا بعاجزين عن تلك الاساليب المعتادة عندهم المألوفة لديهم . . ومن جنس السجع المعتاد عندهم . أنبتك الله منبتــا طابت أرومته . وعزت جرثومته . . وثبت أصله و بسق فرعه . ونبت زرعه .. في أكرم موطن . وأطيب معــدن . . وما يجري هذا المجرى من الكلام . والقرآن مخالف لنحو هذه الطريقة مخالفته للشعر

الارومة بالفتح والجرثومة بالضم وهما بمعنى الاصل . و بسق بمعنى طال . . وهو من كلام عبد المطلب بن هاشم قاله لسيف بن ذي يزن

ولا معنى لقولهم ان ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتهــا على نسق واحد وروي غير مختلف . لانّ ماجرى هــذا المجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده . ولو بني عليه لكان الشعر سجعا لانّ رويّه يتفق ولا يختلف وتتردد القوافي على طريقة واحدة .. وأما الامور التي يستريح اليها الكلام فانها تختلف فربما كان ذلك يسمى قافية وذلك انما يكون في الشعر .. وربما كان ماينفصل عنده الكلامان يسمى مقاطع السجع وربما سمي ذلك فواصل . والفواصــل

هي من الامور التي اختصّ بها القرآن ولم يشركه فيها غيره من الكلام

وأما ماذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع ولتساوي مقـاطع الكلام فليس بصحيح . لان الفائدة عندنا غير ماذكروه وهي ان اعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفـة تؤدي معنى واحـداً من الامر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة . وأعيـد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبـات متفاوتة ونبهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتـدأ به ومكررا . ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة فعبروا عنهـا بألفاظ لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها وجعلوها بأزاء ماجاء به وتوصلوا بذلك الى تكذيبه والى مساواته فيما جاء به . كيف وقـد قال لهم · فليأتوا بحديث مثله ا ن كانوا صادقين · فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها اظهار الاعجاز على الطريقين جميعا دون التسجيع الذي توهموه

فأن قال قائـل : أن القرآن منتظم من أنواع مختلفة من انواع كلام العرب لايخرج عنها ولكنه أبدع فيه ضرب من الابداع . قيل لو كان الامر كذلك لوجب ان لا يتحيروا في أمرهم ولكانوا يسرعون الى المعارضة

فبان بما قلنا ان الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبة لاتدخلهـا في باب السجع . . وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتـدال الاجزاء فكان بعض مصار يعه كلمتين و بعضها يبلغ كلمات ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلو رأوا ان ماتلي عليهم من ذلك سجع لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل فنزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ولابدّ لمن جوز السجع فيه وسلك واسلكوه من أن يسلم ماذهب اليه النظام وعباد بن سليمان وهشام القوطي من

أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه أعجاز وأنه تمكن معارضته وانمـا صرفوا عنه ضربا من الصرف. انتهى ماذكره القاضي في كتاب أعجاز القرآن ملخصا.

ونقل عنه أنه ذكر في كتاب الانتصار الخلاف في جواز تسمية بعض فواصل القرآن سجعا وأنه رجح فيه جواز تسميتها بذلك

الامر التاسع - الظاهر أن ماذكر في منع ان يقال ان في القرآن سجعا يمكن تعقبه

وأما ماذكر من أن القول بذلك يؤدّي الى أن يكون أسـلوب القرآن غير خارج عن أساليب كلام العرب وهو يؤدي الى أن يـكون القرآن غير معجز في نفسه فهو مبنيّ على الوهم - لان كون القرآن معجزا في نفسه لا يتوقف على أن يكون أسلوبه مخالفا لأساليب كلامهم

وأما قول النظام فهو مما لا يقول به أحد ممن أعطى هذه المسألة حقها من النظر. وهو من أعظم زلاته الكبر. وهي مذكورة في كتب الكلام

وأما ما ذكر من الانتقاد على من أدخـل في السجع ما جاء في القرآن متوافق الفواصل في الحرف الاخير منهـا مع تفاوت الاجزاء فيه في الطول والقصر فهو مسلم. فيجب أخراج مثل ذلك من باب السجع والاقتصار فيه على مالا يرد عليــه شيء - والاّ لزم أن يقال أن في القرآن سجعا يخالف قانون السجع عند أرباب الفصاحة وهو أمر غير معقول

وأما ما ذكر من أن في لفظ السجع مايوهم نقصا لكونه مأخوذا من سجع الحمام فهو من قبيل الوهم - الا ترى أن العرب تسمي السيد المعظم من الرجال قرما - والقرم في الاصل هو البعير المكرم الذي لايحمل عليه ولا يذلل ولـكن يكون للفحلة ولو وقعت المضايقة في مثل ذلك يضيق أمر اللغة على أن سجع

الحمام ليس فيه ما ينكر والالفاظ العرفية في ذلك كالالفاظ اللغوية . ولذلك أنكر المحققون على من أنكر على النحاة اطلاق لفظ الزائد على مثل ما في قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون . وان كان لفظ الزائد في الاصل قد يوهم ما يقتضي نقصا في ذلك وقد سلك بعض العلماء في ذلك مسلكا حسنا . وهو اطلاق لفظ السجع على ماذكر حين تدعو الحاجة اليه وذلك في مثل علم البيان. وترك اطلاق هذا اللفظ والاقتصار على ذكر اللفظ الاعم وهو الفواصل حين لا تدعو الحاجة الى ذلك . وذلك في مثل علم التفسير . فيقول في مثل قالوا آمنا برب هرون وموسى . وقدم هرون رعاية للفاصلة . وهذا هو الاولى

وأما ما ذكر من كون ما ادعوه من السجع في القرآن يخالف المعتاد من السجع عند العرب فهو في الغالب كذلك . وهو مما قد يوجب التوقف في الامر الا انه لا يستبعد أن يقال ان كونه مخالفا للمعتاد من السجع عندهم لا يمنع أن يعد من قبيل السجع و يظهر لك ذلك مما نذكره . وهو ان أوزان الشعر المعروفة لم تظهر عند العرب دفعة واحدة بل كان يظهر في كل مدة منها شيء يكون بعض شعرائهم قد انتبه له ونظم فيه فاذا ألف ذلك وتتابع النظم فيه صار من قبيل المعتاد . ثم ان هذا الذي نظم في أول الامر يسمى عندهم شعرا لانطباق حد الشعر عليه وان لم يكن معتادا عندهم. ونهاية الامر فيه أن يقال انه شعر جرى على نسق لم يعهد من قبل وكذلك ماذكر من السجع فانه يسمى سجعا لانطباق حد السجع عليه وان لم يكن معتادا عندهم . ونهاية الامر فيه أن يقال انه سجع جرى على نسق لم يعهد من قبل على أن في القرآن ما هو جار على نسق السجع المعتاد عندهم . وهذا لابد من تسميته سجعا . فيكون السجع ثابتا في القرآن على كل حال . وقال المانعون من ذلك:

ان هذا قليل جدا - وهو مغمور في غيره وقد وقع السجع فيـه اتفاقا من غير قصد اليه - فلا يسمى سجعا وان كان على هيئة السجع - كما لا يسمى ما وقع في النثر مما اتفق فيه الوزن من غير قصد اليه شعرا وان كان على هيئة الشعر

الامر العاشر - المعتاد عند العرب في السجع أن يزاوجوا فيه بين جزئين جزئين - وهذا هو الغالب - وقد يزاوجون فيه بين ثلاثة أجزاء أو أربع - وقلما يتجاوزون ذلك - وقد اقتفى أثرهم في ذلك جل أهل البيان. فمما وقعت المزاوجة فيه بين جزئين قول الحريري في خطبة المقامات : اللهم انا نحمـدك على ما علمت من البيان، وألهمت من التبيان ؛ - كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء ، وأسبلت من الغطاء ؛ - ونعوذ بك من شرّة اللّسن وفضول الهذَر ، كما نعوذ بك من مَعرّة اللّكن وفضوح الحَصر ؛

الشرة الحدة والنشاط والشر - واللسن الفصاحة - والحصر العجز عن الكلام

ومن ذلك قوله تعالى : ان عذاب ربك لواقع - ماله من دافع .. يوم تمور السماء مورا - وتسـير الجبال سيرا .. وقوله تعالى: والسماء ذات الرجع - والارض ذات الصدع .. انه لقول فصل - وما هو بالهزل

ومما وقعت فيه المزاوجة بين ثلاثة أجزاء قول الحريري: لبثت فيها مدّه - أكابد شدّه - وأزجي أياما مسودّه -

- تزجية الشيء دفعه برفق - يقال كيف تزجي الايام أي كيف تدافعها

ومن ذلك قوله تعالى : ان الانسان لربه لكنود - وانه على ذلك لشهيد - وانه لحب الخير لشديد - وقوله تعـالى : ان الانسان خلق هلوعا - اذا مسه الشر جزوعا - واذا مسه الخير منوعا - ومن ذلك سورة الكوثر

ومما وقعت فيه المزاوجة بين أربعة أجزاء قول الحريري: نظمني وأخدانا

لي ناد ـ لم يخب فيه مناد ـ ولا كبا قدح زناد ـ ولا ذكت نار عناد

كبا الزند لم يور نارا ـ وذكت النار اتقدت

ومن ذلك قوله تعالى: فلا أقسم بالخنّس ـ الجوار الكنّس ـ والليل اذا عسعس ـ والصبح اذا تنفس ـ. ويظهر ان بعض أهل البيان يجعل هذا غير خارج عن المزاوجة بين جزئين جزئين فكأنه يجعل الجزء الاول والثاني قسما على حدة والجزء الثالث والرابع قسما على حدة ـ وحينئذ تكون المزاوجة في قول القائل: فلان عظيم القدر ـ واسع الصدر ـ طيب النشر ـ وافر البشر ـ. مثل المزاوجة في قول القائل: فلان كريم النجر ـ وافي الحجر ـ سديد المقال ـ وافر النوال ـ.

وأما المزاوجة بين اكثر من أربعة أجزاء فقلما وقعت في كلام العرب وقد زاوج الحريري بين خمسة أجزاء في قوله: وعليك بصبر أولي العزم ـ ورفق ذوي الحزم ـ. وجانب خرق المشتط ـ وتخلق بالخلق السبط ـ وقيد الدرهم بالربط ـ وشب البذل بالضبط ـ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ـ. والجزء الخامس منها مقبس من القرآن

الخرق بالضم ضد الرفق ـ والمشتط المجاوز للحد ـ والسبط السهل والشوب الخلط

وأما القرآن فانه كثرت فيه المزاوجة بين اكثر من أربعة أجزاء ـ فمن ذلك قوله تعالى: والفجر ـ وليال عشر ـ والشفع والوتر ـ والليل اذا يسر ـ هل في ذلك قسم لذي حجر ـ. فان فيه مزاوجة بين خمسة أجزاء ومن ذلك قوله تعالى فيما بعده: ألم تر كيف فعل ربك بعاد ـ الى قوله ـ ان ربك لبالمرصاد فان فيه مزاوجة بين أكثر من ذلك، ومن ذلك قوله تعالى ـ يا أيها المدثر ـ الى قوله ـ ولربك فاصبر ـ ومثل ذلك كثير وقد وقعت المزاوجة في بعض المواضع بين أجزاء السورة كلها قلت أو كثرت فمن ذلك سورة الفيل ـ فانه قد وقعت المزاوجة فيها بين أجزائها كلها وهي خمسة. وقد جاءت الفواصل فيها على نحو

الفيل ، ومن ذلك سورة الاعلى فانه قد وقعت المزاوجة فيها بين أجزائها كلها وهي تسعة عشر . وقد جاءت الفواصل فيها على نحو الاعلى ، ومن ذلك سورة القمر فانه قد وقعت المزاوجة فيها بين أجزائها كلها وهي خمسة وخمسون . وقد جاءت الفواصل فيها على نحو القمر . وهنا أمر . وهو أن المزاوجة بين جزئين تقتضي أن لا يوقف على فاصلة الجزء الاول وقوفا طويلا وان كان مستقلا بنفسه كما هو الحال في قولهم: ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت . وذلك لئلا يذهل عن أمر المزاوجة ومثل الجزئين الاجزاء . فاذا وقعت المزاوجة بين أجزاء لم يسغ أن يوقف قبل الجزء الاخير منها وقوفا طويلا . وعلى ذلك يقع الاشكال في أمر الوقف في مثل سورة القمر . فان فيها مواضع يعد الوقف عليها تاما و يوقف عليها كما يوقف على الوقف التام . وما ذكر يقتضي أن لا يوقف عليها كذلك فضلا عن أن يقطع عندها القراءة . وهذا يقوي رأي الذين أنكروا وجود السجع في مثل ذلك . وقالوا ان الامر هنا مبني على الفواصل وهي لا تقتضي ما ذكر

﴿ تنبيه ﴾

الازدواج الامر الناشئ عن المزاوجة تقول زاوجت بين الشيئين فتزاوجا وازدوجا . وللتلازم بين ذلك قال بعضهم المزاوجة والتزاوج والازدواج بمعنى واحد .. والازدواج غير خاص بأمر السجع بل قد يكون في غيره .. فمن ذلك قول علماء اللغة حدث الشيء بالفتح فاذا قُرن بقدُمَ ضمّ للازدواج . تقول أخذني من ذلك ما قَدُم وحَدُث . ولا يضم في غير هذا الموضع

ومن ذلك قول علماء الوقف : ينبغي في الوقف مراعاة أمر الازدواج فيوصل ما يوقف على نظيره مما يوجد التمام عليه نحو قوله تعالى يولج الليل في

النهار و يولج النهار في الليل ـ ونحو قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها. وقد رأيت أن أورد هنا حديث أم زرع فان فيه نموذجا لا بدع ماعند العرب من السجع

أخرج البخاري في باب حسن المعاشرة مع الاهل عن عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: جلس احدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ..

قالت الاولى : زوجي لحمُ جَمل ـ غثٌّ على رأس جبـل ـ لا سهـلٌ فيرتقى ولا سمين فينتقل ..

الغث المهزول ـ والجبل معروف وفي رواية على رأس جبل وعث ـ والوعث المكان اللين السهل تغيب فيه الاقدام ـ ـ وقد وازنت في هذه السجعة لحم في الفقرة الاولى برأس في الثانية وجمل بجبل وغث بوعث ـ. ومعنى ينتقل ينقل ـ وفي رواية فينتقى فيكون فيها بين يرتقى وينتقى لزوم ما لايلزم،

قالت الثانية ـ زوجي لا أبث خبره ـ أني أخاف أن لاأذره ـ ان اذكره اذكر عجره و بجره ـ ـ

العجر جمع عجرة ـ والبجر جمع بجرة ـ وأصل العجرة نفخة في الظهر والبجرة نفخة في السرة ثم نقلتا الى مايكتمه الانسان ويخفيه عن غيره ـ وأرادت بذلك عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة

قالت الثالثة : زوجي العشنّق ـ ان أنطق أطلّق ـ وان أسكت أعلّق

العشنق الطويل الذي ليس بضخم ـ وتعليق المرأة ان لا يحسن اليها زوجها ولا يخلي سبيلها ـ وفي رواية ابن السكيت زيادة على ذلك وهي على حد السنان المذلق ـ والسنان هو سنان الرمح والمذلق بتشديد اللام المحدد ـ فيكون التعليق بمعنى آخر وهو ظاهر

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة ـ لاحرٌّ ولا قُر ولا مخافة ولا سآمة ـ.

تهامة مكة وما حولها من الاغوار ـ والقر بالضم البرد

قالت الخامسة : زوجي ان دخل فهد ـ وان خرج أسد ـ ولا يسأل عما عهد.

فَهِد بكسر الهاء صار كالفهد والفهد موصوف بكثرة النوم حتى قيل في المثل: فلان

أنوم من الفهد . وهو كناية عن تغافله في الامور كرما وحلما . وأسد بكسر السين صار كالاسد يرهب أمره

قالت السادسة: زوجي ان أكل لفّ. وان شرب اشتفّ. وان اضطجع التف ولا يولج الكف . ليعلم البث.

لفّ أكثر من الطعام وخلط بين أصنافه . واشتفّ استوعب مافي الاناء من الشراب والبثّ الحزن

قالت السابعة : زوجي غياياء ــ أو ــ عياياء طباقاء كل داء له داء . شجك أو فلك . أو جمع كلاّ لك . .

العياياء من الابل الذي لا يضرب ولا يلقح وكذلك هو من الرجال . والغياياء بالغين المعجمة الذي لا يهتدي الى مسلك يسلكه لمصالحه. وأنكر أبو عبيد وغيره المعجمة وقالوا الصواب العياياء بالعين المهملة وأتى البخاري هنا بأو اشارة الى شك أحد الرواة في ذلك والطباقاء هو الاحمق الفدم . وهو الذي تنطبق عليه أموره وتنبهم. وقيل هوالذي يعجز عن الكلام فتنطبق شفتاه . والشج جرح الرأس . والفلّ الكسر والضرب

قالت الثامنة . زوجي المسُّ مسُّ أرنب . والريح ريح زرنب . .

وصفته بلين الخلق وطيب الريح أو طيب الثناء بين الناس . والزرنب ضرب من النبات طيب الرائحة وقيل هو الزعفران. وجاء بعد ذلك في بعض الروايات وانا أغلبه والناس يغلب

قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد . عظيم الرماد. طويل النجاد . قريب البيت من الناد . .

العماد العمد التي تقوم عليها البيوت . والنجاد حمائل السيف . والناد مجلس القوم وأصله النادي وحذفت ياؤه رعاية للازدواج وعلى ذلك جاء قوله تعالى سواءً العاكف فيه والباد . كنت عن ارتفاع بيته برفعة عماده وعن طول قامته بطول نجاده وعن اكثاره من القرى بعظم رماده . وأما جعل بيته قريبا من مجلس القوم فللدلالة على تسهيل أمر الوصول اليه على ماجرت به عادة أهل الكرم

قالت العاشرة . زوجي مالكٌ وما مالكٌ . مالك خير من ذلك . له ابل كثيرات المبارك . قليلات المسارح . واذا سمعن صوت المزهر ايقن أنهنَّ هوالك . .

الاستفهام في وما مالك للتعظيم والتفخيم كقوله تعالى . الحاقة ما الحاقة . والمبارك جمع

مبرك وهو الموضع الذي تناخ فيه الابل - والمزهر بالكسر آلة من آلات اللهو - أرادت ان زوجها خير مما تصفه له ابل كثيرة باركة بفناء داره لا يسرحها الا قليلا - فاذا نزل به الضيف نحرها لهم - فاذا سمعت ابله صوت المزهر علمن انه قد جاءه الضيفان وانهن منحورات - وقد تركت السجع في قولها قليلات المسارح لعدم مؤاتاته فيه الا بتكلف ثم عادت اليه - وهذه هي عادة البلغاء وهي ترك السجع في أثناء السجع اذا أدى الى تكلف ثم العود اليه اذا تأتى بغير ذلك

قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع فما أبو زرع - أناسَ من حُليٍّ أذنيَّ - وملأ من شحم عضديَّ - وبجّحني فبجحت اليَّ نفسي - . وجدني فى أهل غُنَيمةٍ بشقّ - فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومُنقّ - . فعنده اقول فلا أقبّح - وأرقد فاتصبّح - وأشرب فأتقمّح - .

النوس تحرك الشيء متدليا وأناسه حركه - وبجحني فرحني - وغنيمة تصغير غنم تقول ان أهلها أصحاب غنم لا أصحاب خيل وابل - والشق بالفتح الناحية من الجبل وبالكسر المشقة - والصهيل صوت الخيل - والاطيط صوت الابل - ودائس وهو الذي يدوس الزرع في بيدره - ومنق بفتح النون هو الذي ينقي الطعام أي يخرجه من تبنه واتصبح انام الصبحة وهو مابعد الصبح - وأتقمح أروى وأدعه - وفي رواية أتقنح بالنون أي اشرب فوق الري .

أم ابي زرع فما أم أبي زرع - عُكومها رداح - و بيتها فساح - .

العكوم جمع عكم بالكسر وهو العدل اذا كان فيه متاع - وقيل هو نمط تجعل فيه النساء ذخائرها - والرداح العظيمة الثقيلة - وتوصف به المرأة فيقال امرأة رداح اذا كانت عظيمة الكفل - والفساح كالفسيح بمعنى الواسع

ابن أبي زرع فما ابن ابي زرع - مضجعه كمسَلِّ شطبة - وتشبعه ذِراعُ الجفرَة .

الشطبة السيف وقيل السعفة وهي جريدة النخل الخضراء - والمسل بمعنى السل أقيم مقام المسلول تريد انه كسيف سل من غمده - والجفرة الانثى من أولاد المعز وقيل من الضأن وهي مابلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها تريد انه قليل الاكل والعرب تمدح بذلك

بنت أبي زرع - فما بنت أبي زرع - طوعُ أبيها وطوعُ أمها وملءُ كسائها وغيظ جارتها - .

تريد بكونها ملء كسائها انها ممتلئة الجسم وبكونها غيظ جارتها أنها ذات جمال وكمال - وقد تركت السجع هنا

جارية أبي زرع ـ فما جارية أبي زرع ـ لا تَبثُّ حديثنا تبثيثا. ولا تنقّث مِيرتنا تنقيثا ـ ولا تملأ بيتنا تعشيشا

البث والتبثيث النشر والاذاعة. والميرة الطعام المجلوب. والنقث والتنقيث النقل. والتعشيش في الاصل مصدر عشش الطائر اذا اتخذ عشا وارادت بما ذكرهنا انها لاتترك الكناسة والقمامة في البيت حتى يكون عش طائر

قالت: خرج أبو زرع والاوطاب تُمخَض. فلقي امرأة لها ولدان معها كالفهدين ـ يلعبان من تحت خصرها برمانتين .. فطلقني ونكحها.

الاوطاب زقاق اللبن واحدها وطب على وزن فلس ـ ومخض اللبن استخراج زبده بوضع الماء فيه وتحريكه ـ والخصر من الانسان وسطه وهو المستدق فوق الوركين واللعب من تحته بمثل الرمانة ممكن حين الاتكاء على أحد الشقين على وجه يتجافى فيه الخصر عن الارض لاسيما ان كان مايحاذيه منها فيه انخفاض ـ وقد اشكل ذلك على بعض الباحثين حتى أنكره

فنكحت بعده رجلا سَرِيًّا ـ ركب شَرِيا وأخذ خطّياً ـ وأراح عليّ نَعماً ثريًّا. وأعطاني من كل رائحةٍ زوجاً ـ وقال كلي أمّ زرع وميري أهلك ـ قالت : فلو جمعت كل شيء أعطانيه مابلغ أصغر آنية أبي زرع . قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبي زرع لأمّ زرع .

السري السخي ذو المروءة ـ والشري الفرس الذي يشري في عدوه اي يلجّ ويتمادى فيه والخطي الرمح ـ والثري الكثير وأرادت بكل رائحة كل مايأتيه من صنوف الاموال في وقت الرواح ـ والآنية الوعاء

قال سعيد ابن سلمة عن هشام ولا تعشش بيتنا تعشيشا قال أبو عبدالله وقال بعضهم فأتقمح بالميم وهذا أصح . ه

وهذا موافق لقول ابي عبيد اتقمح أي اروى حتى لاأحب الشرب قال وأما النون فلا أعرفه ولا أراه محفوظا الا بالميم ـ والمراد بأبي عبد الله هو البخاري نفسه وقد أفرد هذا الحديث بالشرح

﴿ المبحث الرابع في الامور التي تحدث لأجل مراعاة الفواصل ﴾

اعلم ان المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور تخالف الاصل . وقد تتبع الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي الامور التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرمنها على نيف وأربعين أمرا وقد ذكر ذلك في كتاب إحكام الراي في أحكام الآي . وقد رأينا أن نورد تلك الامور هنا فانها مما ينبغي الوقوف عليه

الاول منها ـ تقديم المعمول اما على العامل نحو أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون أو على معمول آخر أصله التقديم ومنه تقديم المفعول على الفاعل نحو جاء آلَ فرعون النُّذر

الثاني ـ تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو فلله الآخرة والاولى . ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الاولى كقوله له الحمد في الاولى والآخرة .

الثالث ـ تقديم الفاضل على الافضل نحو برب هرون وموسى

الرابع ـ تقديم الضمير على ما يفسره نحو فأوجس في نفسه خيفة موسى

الخامس ـ تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا

السادس ـ حذف ياء المنقوص المعرف نحو الكبير المتعال . يوم التناد .

السابع ـ حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو والليل اذا يَسرِ

الثامن ـ حذف ياء الاضافة نحو فكيف كان عذابي ونُذُر . فكيف كان عقاب .

التاسع ـ زيادة حرف المد نحو الظنونا والرسولا والسبيلا . . ومنه ابقاؤه مع الجازم نحو لا تخافُ دركا ولا تخشى . سنقرئك فلا تنسى . على القول بأنه نهي

العاشر ـ صرف ما لا ينصرف نحو قواريراً. قوارير

الحادي عشر ـ ايثار تذكير اسم الجنس كقوله اعجاز نخل منقعر

الثاني عشر ـ ايثار تأنيثه نحو اعجاز نخل خاوية . ونظير هذين قوله في القمر : وكل صغير وكبير مستطر . وفي الكهف لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها

الثالث عشر ـ الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذلك كقوله تعالى فأولئك تحرّوا رَشَدا . ولم يجئ رشدا في السبع . وكذا وهيئ لنا من أمرنا رشدا . لان الفواصل في السورتين بحركة الوسط . وقد جاء . وان يروا سبيل الرُشد . وبهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة التحريك بالاجماع عليه فيما تقدم . ونظير ذلك تبت يدا أبي لهب . بفتح الهاء وسكونها . ولم يقرأ سيصلى نارا ذات لهَب الا بالفتح لمراعاة الفاصلة

الرابع عشر ـ ايراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية كقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وما هم بمؤمنين. لم يطابق بين قوله آمنا و بين مارد به فيقول ولم يؤمنوا أو وما آمنوا لذلك

الخامس عشر ـ ايراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو فليعلمن الله الذين صدقوا . وليعلمن الكاذبين ولم يقل الذين كذبوا

السادس عشر ـ ايراد أحد جزئي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الاخرى نحو أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

السابع عشر ـ ايثار أغرب اللفظين نحو قسمة ضيزى . ولم يقل جائرة . ولينبذنّ في الحطمة . ولم يقل جهنم أو النار . وقال في المدثر سأصليه سقر .

وفي سأل . انها لظى . وفي القارعة فأمه هاويه . لمراعاة فواصل كل سورة

الثامن عشر — اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو وليذّكر أولو الالباب . وفي سورة طه . انّ في ذلك لآيات لأولي النهى .

التاسع عشر — حذف المفعول نحو فأما من اعطى واتقى . ماودعك ربك وما قلى . ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل نحو يعلم السر وأخفى . خير وأبقى .

العشرون — الاستغناء بالافراد عن التثنية نحو فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

الحادي والعشرون — الاستغناء به عن الجمع . نحو واجعلنا للمتقين اماما . ولم يقل أئمة كما قال وجعلناهم أئمة يهدون . ان المتقين في جنات ونهر . أي أنهار

الثاني والعشرون — الاستغناء بالتثنية عن الافراد نحو . ولمن خاف مقام ربه جنتان . قال بعض العلماء أراد جنة . وهـذا جار على مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة وجمعها وفي ذلك أشعار بأنك اذا دخلتها ونظرت اليها يمينا وشمالا رأيت في كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة وصدرك مسرة . لأجل الفاصلة رعاية للتي قبلها والتي بعدها ، وقد أنكر بعضهم هذا القول انكارا شديدا لان الذي يجوز لاجل رعاية الفواصل انما هو زيادة هاء أوالف . أو حـذف حرف أو صرف ما لا ينصرف ونحو ذلك . وأما جعل الجنة جنتين ونحو ذلك فلا يجوز أصلا . وأما قوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى . فليس فيه ما يقتضي ماذكر على ان فيما يتلو الآية السابقة ما يؤيد ان المراد بجنتين هو ما يدل عليه ظاهر اللفظ

الثالث والعشرون — الاستغناء بالتثنية عن الجمع . وذلك كما في الآية المذكورة فان بعضهم قال فيها أراد بجنتين جنات فأطلق الاثنين على الجمع رعاية للفاصلة . والخطب في هذا القول أيسر من الخطب في القول الذي قبله

الرابع والعشرون ـ الاستغناء بالجمع عن الافراد نحو لا بيع فيه ولا خلال أي ولا خلة كما في الآية الاخرى ـ وجمع رعاية للفاصلة.

الخامس والعشرون ـ اجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو رأيتهم لي ساجدين . . كل في فلك يسبحون

السادس والعشرون ـ امالة ما لا يمال كآي طه والنجم

السابع والعشرون ـ الاتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم ـ مع ترك ذلك في نحو هو القادر وعالم الغيب ـ ومنه ـ وما كان ربك نسيا .

الثامن والعشرون ـ ايثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو ـ ان هذا لشيء عجاب ـ أوثر على عجيب لذلك .

التاسع والعشرون ـ الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى

الثلاثون ـ ايقاع الظاهر موقع المضمر ـ نحو والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين ـ وكذا آية الكهف

الحادي والثلاثون ـ وقوع مفعول موقع فاعل كقوله حجابا مستورا ـ كان وعده مأتيا ـ أي ساترا وآتيا .

الثاني والثلاثون ـ وقوع فاعل موقع مفعول نحو عيشة راضية ـ ماء دافق.

الثالث والثلاثون ـ الفصل بين الموصوف والصفة نحو أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ـ ان أعرب أحوى صفة للمرعى أي حالا

الرابع والثلاثون ـ ايقاع حرف مكان غيره نحو بأن ربك أوحى لها ـ والاصل اليها

الخامس والثلاثون ـ تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ ومنه ـ الرحمن

الرحيم - رؤوف رحيم - لان الرأفة أبلغ من الرحمة

السادس والثلاثون ـ حذف الفاعل وانابة المفعول نحو وما لأحد عنده من نعمة تجزى

السابع والثلاثون ـ اثبات هاء السكت - نحو ماليه - سلطانيه - ماهيه

الثامن والثلاثون ـ الجمع بين المجرورات نحو - ثم لا تجد لك به علينا تبيعا - فان الاحسن الفصل بينهما - الا ان مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا

التاسع والثلاثون ـ العدول عن صيغة المضي الى صيغة الاستقبال نحو فريقا كذبتم وفريقا تقتلون

الاربعون ـ تغيير بنية الكلمة نحو طور سينين. والاصل سينا

﴿ تنبيه ﴾

قال ابن الصائغ : لا يمتنع في توجيه الخروج عن الاصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة - فان القرآن العظيم - كما جاء في الاثر - بحر لا تنقضي عجائبه

﴿ المبحث الخامس فيما يتعلق بالفاصلة من أمر البديع ﴾

قال ابن أبي الاصبع: لاتخرج فواصل القرآن عن احد أربعة أشياء- التمكين والتصدير والتوشيح والايغال - -

فأما التمكين ويسمى ائتلاف القافية أن يمهد الناثر للفاصلة أو الشاعر للقافية تمهيدا تأتي به الفاصلة أو القافية متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة - متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم - وبحيث لو سكت عنها

لكمله السامع بطبعه . ومن أمثلة ذلك قوله تعـالى : أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهــم من القرون يمشون في مســا كنهم . ان في ذلك لآ يات أفلا يسمعون * أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم. افلا يبصرون .. فأتى في الآية الاولى بيهد لهم. وختمها بيسمعون . لان الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون. وفي الثانية بيروا وختمها بيبصرون لان الموعظة فيها مرئية وهي سوق الماء الى الارض الجرز

وأما التصدير فهو النوع المشهور برد العجز على الصدر وهو يكون في النثر و يكون في النظم فالتصدير في النثر أن تكون الفاصلة قد تقدمت هي أو مايشبهها في أوائل الكلام. وهو ثلاثة أقسام الاول أن توافق الفاصلة آخر كلمة في صدر الـكلام . ومن ذلك قوله تعالى أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً. وقوله تعالى خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون .. الثاني أن توافق الفاصلة أول كلمة في صدر الكلام . ومن ذلك قوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب . وقوله تعالى قال أني لعملكم من القالين . الثالث ان توافق الفاصلة كلمة تكون في أثناء صدر الكلام . ومن ذلك قوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض . وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا .. قال لهم موسى لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب . وقد خاب من افترى

والتصدير في النظم أن تكون أحدى الكلمتين المماثلتين أو المتشابهتين في آخر البيت والاخرى في أول الشطر الاول أو حشوه أو آخره أو صـدر الشطر الثاني . مثال القسم الاول قول الشاعر :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه   وليس الى داعي الندى بسريع

ومثال القسم الثاني قول امرئ القيس :

اذا المرء لم يَخزُن عليه لسانَه فليس على شيء سواه بخزّان

ومثال القسم الثالث قول الحريري :

فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني

ومثال القسم الرابع قول الارجاني :

أملتهـم ثم تأملتهـم فلاح لي أن ليس فيهم فلاح

وأما التوشيح فهو أن يكون في أول الكلام ما يدل على لفظ آخره . والفرق بينه و بين التصدير ان التصدير دلالتـه لفظية . وهذا دلالته معنوية مثال ذلك قوله تعالى . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . فان من سمع صدر هذه الآية عرف أن الفاصلة فيهـا مظلمون . لان من انسلخ النهار عن ليله أظلم أي دخل في الظلمة . وقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . فان من سمع هذه الآية الى ما قبل الفاصلة يعلم أن الفاصـلة هنا العالمين لدلالة معنى اصطفـاء هؤلاء على ذلك لكونهم من جنسهم . ومن الامثلة الشعرية قول عمر بن أبي ربيعة :

تَشِـطُّ غداً دارُ جيرانِنا وللدارُ بعدَ غدٍ أبعدُ

وقد جعـل أبو هلال العسكري اسم التوشيح يشمل النوعين فقال في كتاب الصناعتين بعد أن ذكر ان التوشيح هو أن يكون مبدأ الكلام ينبئ عن مقطعه وأوله يخبر بآخره : فما في كتاب الله عز وجل من هذا النوع قوله تعالى: وما كان الناس الاأمة واحدة فاختلفوا . ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون . فاذا وقفت على قوله تعالى فيما عرف فيه السامع أن بعده يختلفون لما تقدم من الدلالة عليه . وكذا قوله تعالى قلِ اللهُ أسرع

مكرا ـ ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ـ اذا وقف على يكتبون عرف أن بعـده ما يمكرون ـ لما تقدم من ذكر المكر

وضرب منه آخر ـ وهو أن يعرف السامع مقطع الـكلام وان لم يجر ذكره فيما تقدم ـ وهو كقوله تعالى ـ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ـ فاذا وقف على قوله لننظر مع ما تقدم من قوله جعلناكم خلائف في الارض ـ علم ان بعده تعملون ـ لان المعنى يقتضيه ه

وقد اعترض بعضهم على أبي هلال في تسميته ما ذكر بالتوشيح وقال الاولى تسميته بالارصاد لدلالة هذا الاسم فيه على المسمى وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم البيان ـ وهو أن يبني الشاعر أبيـاته على قافيتين بحيث اذا وقف على أيتهما شاء كان شعرا مستقيما ـ وقد يقع التوشيح في النثر وذلك بأن يبني الناثر كل فقرة من سجعه على فاصلتين ـ.

وأما الايغال فهو ختم الـكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ـ وليس بخاص بالشعر كما قد توهم فانه قد وقع في القرآن العظيم ـ ومن ذلك قوله تعـالى يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألـكم أجرا وهم مهتدون ـ فقوله وهم مهتدون ايغال لانه يتم المعنى بدونه لان الرسول مهتد لامحالة لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه ومن ذلك قوله تعالى انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ـ فقوله مثل ما انكم تنطقون ايغال زائد على المعنى ـ أتى به لزيادة تحقيق هذا الوعد ـ ومن ذلك قوله تعالى أفحـكم الجاهلية يبغون ـ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ـ. فان الكلام تم عند قوله ومن أحسن من الله حكما ـ فلما احتيج الى فاصلة تناسب ما قبلها أتي بما أفاد معنى زائدا عليه ـ ومن أمثلة ذلك في الشعر قول الاعشى :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنَها فلم يَضِرْها وأوهى قَرنَه الوَعِلُ

فان كلامه تم عند قوله فلم يضرها فلما احتاج الى القافيـة قال وأوهى قرنه الوعل. فزاد المعنى وأصل الايغال من قولهم أوغل في الامر اذا أبعد الذهاب فيه.

ومما يناسب ما ذُكر التذييلُ - وهو تعقيب الجلة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتوكيد وهو ضربان - ضرب أخرج مخرج المثل نحو قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل - ان الباطل كان زهوقا - فالجملة الاخيرة تذييل خرج مخرج المثل. وضرب لم يخرج مخرج المثل. نحوقوله تعالى: ذلك جزيناهم بما كفروا - وهل يجازى الا الكفور . فالجملة الاخـيرة تذييل لم يخرج مخرج المثل - والمعنى وهل يجازى بمثل هذا الجزاء الا الكفور

ومن أمثلته في الشعر قول النابغة الذبياني :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَـلُمّه على شَعثٍ - أيُّ الرجال المهذَّبُ

فقوله أي الرجال المهذب تذييل خرج مخرج المثل

والشعث انتشار الامر وخلله - واللم الجمع والاصلاح - يريد انك لاتستبقي أخا لاتحتمله على ما فيه من خلل .

وأما قول طرفة

لعمرُكَ ان الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطِوَل المرخىٰ وثِنياه باليد

فلا تذييل فيه كما قد توهم

والطول بالكسر حبل طويل تشد به قائمة الدابة وثنيا الحبل بالكسر طرفاه - يريد أن الموت وان أخطأ الفتى فان مصيره اليه كما ان الفرس وان أرخي له طوله فان مصيره الى أن يثنيه صاحبه اذ طرفه بيده

﴿ المبحث الخامس ﴾

لا بد من وقوع المناسبة بين مطالع الكلام ومقاطعه الا أنه قد يخفى ذلك في بعض المواضع على من لم يكن بارعاً في علم البيان - وذلك مثل قوله

تعالى : فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة . ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين . فان الظاهر أن يقال ذو عقوبة شديدة . وانما قال ذو رحمة واسعة نفيا للاغترار بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته وذلك أبلغ في التهديد . ومعناه لا تغتروا بسعة رحمة الله تعالى فانه مع ذلك لا يرد عذابه عن مثلكم من المجرمين

ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدَّث عنه واحد . وذلك مثل قوله تعالى في سورة ابراهيم : وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها . ان الانسان لظلوم كفار . وقوله تعالى في سورة النحل : وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها . ان الله لغفور رحيم . كأنه تعالى يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة التي أعطيها للانسان يحصل له عند أخذها وصفان . وهما كونه ظلوما وكونه كفارا . ولي عند اعطائها وصفان . وهما اني غفور رحيم . اقابل ظلمه بغفراني وكفره برحمتي . وانما خص آية ابراهيم بوصف المنعَم عليه وآية النحل بوصف المنعِم لان مساق الآية في سورة ابراهيم في وصف الانسان وما جبل عليه . فناسب ذكر ذلك عقب وصفه . ومساق آية النحل في وصف الله تعالى فناسب ذكر ذلك عقب وصفه تعالى . وقد يقع عكس ذلك . وهو اتفاق الفاصلتين والمحدَّث عنه مختلف . وذلك مثل قوله تعالى في سورة النور : يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم — الى قوله — كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . ثم قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم . كذلك يبين الله لكم آياته . والله عليم حكيم . ومثل قوله تعالى في سورة والذاريات : ففروا الى الله . اني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله الها آخر . اني لكم منه نذير مبين .

قال العلامة أبوعبدالله محمد الخطيب الاسكافي في درة التنزيل وغرة التأويل: للسائل ان يسأل عن تكرار قوله اني لكم منه نذير مبين وعن موضع الانذار مرة بعد أخرى في آيتين متواليتين والجواب ان النذارة الاولى متعلقة بترك الطاعة الى المعصية ـ والثانية متعلقه بالشرك الذي هو أعظم المعاصي .. واذا كانت متعلقة بغير ماتعلقت به الاولى لم يكن ذلك تكرارا ·هذا ملخص ماذكره في الجواب ـ وقد وقع في الكتاب المذكور بعض نبذ تتعلق بأمر الفواصل وقد رأينا ان نذكر شيئا منها على طريق التلخيص .. فمن ذلك قوله تعالى: كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد * وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب * ان كلّ الا كذّب الرسل فحق عقاب . وقوله تعالى في سورة ق : كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرسّ وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع ـ كل كذّب الرسل فحق وعيد .

للسائل ان يسأل عن اختلاف ترتيب هاتين الآيتين وعن قوله في خاتمتهما فحق عقاب في سورة ص وقوله فحق وعيد في سورة ق ...

والجواب ان يقال انسورة ق مبنية فواصلها على ان يردف آخر حرف منها بالياء أو بالواو ـ وعلى ذلك جميع آياتها ـ وسورة ص بنيت فواصلها على أن تردف أواخرها بالالف ـ فكانت الآية التي من هذا العشر مختومة الفاصلة بوصف فرعون بذي الاوتاد ـ وبعدها ـ أولئك الاحزاب ـ فحق عقاب ـ وجاء بازاء ذلك في سورة ق وأصحاب الرس وثمود ـ ومكان فحق عقاب فحق وعيد ـ وكذلك في هذه السورة ـ وعندهم قاصرات الطرف أتراب ـ وفي سورة والصافات وعندهم قاصرات الطرف عين ـ كأنهن بيض مكنون ـ لأن فواصل الآيات التي من سورة والصافات مردفة أواخرها بالياء أو بالواو ـ والقصد

التوفيق بين الالفاظ مع صحة المعاني كما في ـ قالوا آمنا برب العالمين ـ رب موسى وهرون ـ في الشعراء ـ وفي طه ـ برب هرون وموسى ـ فاعرف ذلك فانه مما يكثر

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحشر : لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ـ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ـ وقوله تعالى بعده ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ـ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .

للسائل ان يسأل عن اختصاص خاتمة الاولى بقوله لا يفقهون واختصاص الثانية بقوله لا يعقلون

والجواب أن هؤلاء لما رهبوا غير الله أكثر من رهبتهم من الله عز وجل صاروا كمن يعرف ما يشهده ويجهل ما يغيب عنه ـ وهو من عدم الفقه ـ ولذلك وصفهم بأنهم قوم لا يفقهون

وأما قوله ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ـ فانه جاء بعد قوله بأسهم بينهم شديد ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ـ وذلك من عدم العقل ـ فظهر ان كلا من الآيتين ختم بما يقتضيه الحال

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحاقة : وما هو بقول شاعر ـ قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن ـ قليلا ما تذكرون

للسائل ان يسأل عن مجيء قوله قليلا ما تؤمنون عقيب شاعر وقوله قليلا ما تذكرون عقيب كاهن

والجواب أن يقال: من نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى أنه شاعر وأن ما أتى به شعر فهو جاحد كافر ـ لانه يعلم ان القرآن ليس بشعر لا في أوزان آياته ولا في تشاكل مقاطعه ـ اذ منه آية طويلة ـ وأخرى الى جنبها قصيرة

كآية الدين في طولها والآية التي قبلها في قصرها - وهي - واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله - ثم توفى كل نفس ما كسبت - وهم لا يظلمون .

وأما اختلاف المقاطع فانه ينبئ العرب أيضا شاعرها ومفحمها انه ليس بشعر -- فمن نسبه الى انه شاعر فهو لقلة ايمانه -- وأما من قال انه كاهن فلأن كلام الكهنة نثر غير نظم - وفيه سجع وهو مخالف للشعر أيضا - فمن قال انه ككلام الكهان فانه ذاهل عن تذكر ما بني عليه كلامهم من السجع الذي يتبعون به معاني ألفاظهم -- وحق اللفظ في البلاغة أن يكون تابعا للمعنى وهو ما عليه القرآن كقوله عز وجل : أمّن جعل الارض قرارا - وجعل خلالها أنهارا - وجعل لها رواسي - وجعل بين البحرين حاجزا -- فلو تذكر قائل هذا القول ان هذا النثر مخالف لكلام الكهنة فيما ذكرنا لما قال انه قول كاهن - فلذلك عقبه بقوله - قليلا ما تذكرون

﴿ تنبيهات ﴾

التنبيه الاول - قد تكون الفاصلة لا نظير لها في القرآن كقوله تعالى في سورة النور عقب الامر بغض الابصار : ان الله خبير بما يصنعون - وقوله في سورة البقرة عقب الامر بالاستجابة له والايمان به : لعلهم يرشدون

التنبيه الثاني - قال الزمخشري في كشافه القديم : لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتآمه -- فاما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه الى مؤداه فليس من قبيل البلاغة - وبنى على ذلك أن التقديم في - وبالآخرة هم يوقنون - ليس لمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص

التنبيه الثالث - قد كثر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد

واللين وهي الواو والياء والالف والحاق النون . وذلك نحو المتقون والمتقين والميزان . والحكمة فيه التمكين من مد الصوت والترنم

التنبيه الرابع . قد وقع التضمين والايطاء في الفواصل . فالتضمين فيها هو أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها كقوله تعالى : وانكم لتمرون عليهم مصبحين - و بالليل . وهو معيب في النظم دون النثر . والايطاء فيها هو تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في سورة البلد : لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد . وهو معيب في النظم والنثر المبني على السجع دون غيرهما فانه غير معيب فيه لا سيما ان كان التكرار في ذلك الموضع مما يقتضيه المقام فان التكرار فيه يكون أرجح من عدمه . ومبحث التكرار من أهم مباحث البيان وقد اعتنى به الأئمة وهو جدير بالعناية

الفصل الثاني عشر

في معرفة المناسبات بين الآيات وما يتعلق بذلك

المناسبة في اللغة المقاربة يقال فلان يناسب فلانا أي يقاربه ويشاكله . ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل بغيره كالأخ وابن العم . وعلم المناسبات علم شريف يسبر به غور العقول . ويعرف به قدر المقول . وقد قل تعرض المفسرين لذكر المناسبات لدقة الامر فيها . وقد أكثر من ذلك الامام فخر الدين الرازي في تفسيره وقال فيه : وأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط . وقال فيه في أثناء تفسير سورة البقرة : ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة ألفاظه

وشرف معانيه فهو معجز أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته . ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك الا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الاسرار . وليس الامر في هذا الباب الا كما قيل

والنجم تستصغر الابصارُ صورتَه والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

ومرجع المناسبة هو المعنى الذي يربط بين المتناسبين سواء كان حسيا أو عقليا أو غير ذلك . وفائدتها جعل أجزاء الكلام آخذا بعضها بأعناق بعض حتى يصير حاله كحال البناء المحكم المتلائم الاجزاء .. قال بعض الائمة : من محاسن الكلام ان يرتبط بعضه ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني . ولنذكر شيئا مما يتعلق بذلك فنقول :

اذا وردت جملة بعد جملة فان كانت الثانية متممة للاولى كأن تكون مؤكدة لها أو مفسرة لها أو مبدلة منها فالامر في ذلك ظاهر وان كانت مستقلة عما قبلها فان كانت معطوفة عليه فلابد ان يكون بينهما جامع نحو قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض . وما يخرج منها .. وما ينزل من السماء . وما يعرج فيها . . وقوله والله يقبض ويبسط . واليه ترجعون . وأنواع الجوامع كثيرة والجامع هنا التضاد .. وان كانت غير معطوفة على ماقبلها لم يلزم ان يكون بينهما جامع لورودها حينئذ على طريق الاقتضاب . وذلك نحو قوله تعالى: كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى . وقال كثير من العلماء يلزم هنا أيضا ان يكون بينهما جامع وعلى ذلك جرى بعض المفسرين حيث قال : يقول تعالى ماهكذا ينبغي ان يكون الانسان ان ينعم عليه ربه بتسوية خلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك ويطغى عليه أن رآه استغنى . وههنا مباحث

﴿ المبحث الاول ﴾

للعرب في الانتقال من أمر الى أمر آخر طريقان . أحدهما الاقتضاب والآخر التخلص . أما الاقتضاب فهو الانتقال من أمر الى أمر آخر بغتة من غير أن يمهد له تمهيدا يجعله كأنه من تتمة الامر الاول وهذا هو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين . وذلك نحو قوله تعالى كذّبت ثمودُ بالنُّذُر . وقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . وقد يقع في الاقتضاب لفظ يدل على الانتقال من أمر الى أمر آخر وذلك مثل هذا في قوله تعالى : هذا . وان للطاغين لشر مآب . جهنم يصلونها فبئس المهاد .. فان هذا ورد بعد وصف جنات عدن و بيان مافيها مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين

وأما التخلص فهو الانتقال من أمر الى أمر آخر من بعد ان يمهد له تمهيدا يجعله كأنه من تتمة الامر الاول . وقد وقع التخلص في القرآن الكريم . وقد أنكر ذلك أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي فقال انه لم يقع منه في القرآن شيء لما فيه من التكلف وانما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال الى غير ملائم . وليس الامر كذلك فانه قد وقع في القرآن التخلص الا انه بغير تكلف . وذلك مثل قوله تعالى واتلُ عليهم نبأ ابراهيم . اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون . الآيات . فان في قوله فانهم عدوّ لي الاّ رب العالمين . تخلصا من ذكر الاصنام الى ذكر الله تعالى . ثم أجرى عليه تلك الصفات الدالة على عظم شأنه ووفور احسانه لينبههم على ان من كان كذلك فهو الجدير بأن يعبد والفرق بين التخلص والاستطراد ان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول أو قطع الكلام حتى يكون المستطرد به آخر

الكلام وهذان الامران معدومان في التخلص فانه لا يرجع فيه الى الاول ولا يقطع فيه الكلام بل يستمر فيه على ما تخلص اليه، والاستطراد هو ان يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الاول سببا اليه. وذلك كقوله تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت. ان الذي احياها لمحيي الموتى. فان الله سبحانه بينا يذكر انزاله الغيث واهتزاز الارض بعد خشوعها بسببه ذكر ان الذي أحيا الارض قادر على أحياء الموتى واعادتها بعد بلاها. وكقوله تعالى ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود وكقوله تعالى : فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود

﴿ المبحث الثاني ﴾

اذا أتت جملة بعد جملة وكانت معطوفة عليها وجب أن يكون بينهما نوع تناسب فأن لم يكن بينهما ذلك لم يكن لذلك الكلام وقع في النفوس عند العرب فأن لهم عناية بذلك هنا بخلاف كثير من الامم فانهم لا يعنون بهذا الامر على ماذكره بعض الباحثين في ذلك. واذا أتى كلام بعد كلام وكان كل منهما مستقلا من كل وجه لم يجب أن يكون بينهما تناسب بل يورد أحدهما بعد الآخر أما بطريق الاقتضاب وهو الجادّة المعروفة. أو بطريق التخلص إن امكن ذلك من غير تكلف. ولذلك لم يشتغل المتقدمون بعلم المناسبات لان ما تجب فيه المناسبة قد تصدى اهل البيان لبيانه على أكمل وجه، وما لا تجب فيه المناسبة يكون البحث فيه أمر المناسبة من قبيل التكلف. ورأوا ان الاشتغال بغير ذلك من اسرار القرآن الذي لا تنقضي عجائبه أولى. وقد خالفهم في ذلك كثير من المتأخرين فرأوا ان الاشتغال به من الامور المهمة.

وأول من أظهر علم المناسبة ببغداد الشيخ أبو بكر النيسابوري. وكان غزير

العلم في الشريعة والادب. وكان يقول على الكرسي اذا قرىء عليه: لم جعلت هذه الآية الى جنب هذه الآية. وما الحكمة في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة. وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة. وقد تكلم في هذا العلم أناس ليسوا من أهله فأتوا بما تنبو عنه الاسماع وقد انكر ذلك بعض العلماء الاعلام انكارا شديدا حتى أن بعضهم رأى وجوب ترك البحث في ذلك. قال العلامة عز الدين بن عبد السلام في كتابه الذي الفه في مجاز القرآن: ان من محاسن الكلام ان يرتبط بعضه ببعض و يتشبث بعضه ببعض. ولكن يشترط ذلك اذا وقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره. فأن وقع على اسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر. ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه. فان القرآن نزل على الرسول عليه السلام في نيف وعشرين سنة في احكام مختلفة شرعت لاسباب مختلفة غير مؤتلفة. وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

وقد تعقبه بعض العلماء فقال: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا. وعلى حسب الحكمة ترتيبا. قال. والذي ينبغي في كل آية ان يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة. ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم. وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له: وقال العلامة عز الدين بن ابي الحديد في الفلك الدائر على المثل السائر بعد أن ذكر ماقاله صاحب المثل وهو قال تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم. ولم يقل بضوئهم لان الضوء

نور وزيادة ـ فلو قال بضوئهم لكان المعنى يعطي ذهاب تلك الزيادة وبقاء
مايسمى نورا ـ لان الاضاءة هي فرط الانارة ولذلك قال تعالى هوالذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءا فقال سبحانه
ذهب الله بنورهم لانه اذا ازال النور فقد ازال الضوء أصلا : اقول ان هذا
الرجل قد شحن كتابه بأمثال هذه الترهات واطال فيها وأسهب وأعجب بها
وظن انه أتى بغريب ـ وهذه المعاني قد صنفت فيها الكتب الكثيرة ـ وتكلف
الناس من قبله في استنباط أمثال هذه الوجوه الغامضة والمعاني الخفية من
القرآن العزيز ـ وانه لما أتى بهذه اللفظة دون تلك ـ ولم قدم هذا وأخر
هذا ـ . وقد قيل في هذا الفن أقوال طويلة عريضة أكثرها بارد غث ـ ومنها
مايشهد العقل وقرائن الاحوال انه مراد ـ وقد ورد الينا الى مدينة السلام في
سنة اثنتين وثلاثين وستمائة رجل من وراء النهر كان يتعاطى هذا ويحاول
اظهار وجوه نظرية في هذه الامور في جميع آيات الكتاب العزيز نحو ان
يقول في قوله تعالى مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث الااستمعوه وهم يلعبون ـ
لم قال ما ولم يقل لا ـ ولم قال يأتيهم ولم يقل يجيئهم ـ ولم قال من ذكر ولم يقل
من كتاب ـ ولم قال من ربهم ولم يقل من الههم ـ ولاي حال قال في موضع
آخر من الرحمن ـ وما وجه المناسبة في تلك الآية بين لفظها وسياقها وبين
لفظة الرحمن ـ وما وجه المناسبة بين هذه الآية وسياقها وبين لفظة ربهم ـ
وعلى هذا القياس ـ وكذلك كان يتكلف تعليل كل مافي القرآن من الحروف
التي تسقط في موضع وتثبت في موضع نحو قوله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم
وقوله ألم يروا الى ماخلق الله ـ لم أثبت الواو هناك واسقطها ههنا ـ ونحو قوله
ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى وقوله ومن يشاق الله ـ لم فك

الادغام في موضع ولم يفكه في موضع آخر. وكنا نعجب منه ونستطرفه حتى وصل الينا هـذا الكتاب فقلنا : وفوق كل ذي علم عليم . اهـ

ولا يخفى ان المسائل المذكورة من متعلقات العلم المسمى بعلم المتشابه من القرآن. وهو علم جليل الشان له اتصال بعلم المناسبات. وقد الف فيه كثير من العلماء الاعلام فاجادوا الا انه كغيره من العلوم قد تكلم فيه كثير ممن ليس لهم براعة فيه فخبطوا خبط عشواء في ليلة ظلماء الا ان ذلك لا يؤثر في نفس العلم شيأ ولا يحط من قدره ولا يوجب الاعراض عنه.. وشأن العالم المحقق الواقف على ذلك ان يكثر سواد المحسنين فيه ان ساعده الحال أو يشير اليهم ويدل المسترشد عليهم. والله الموفق

﴿المبحث الثالث﴾

. علم مناسبات القرآن علم يعرف منه علل ترتيب أجزائه. وقد تصدى لبيان ذلك بعض المفسرين في تفاسيرهم منهم العالم الربانيّ ابو الحسن عليّ التجيبي الحراليّ المغربيّ الصوفيّ نزيل حماة من بلاد الشام فانه عني في تفسيره بذكر المناسبات وهو مما لا نظير له في ذلك

ومنهم العلامة ابن النقيب الحنفي فأنه تصدى في تفسيره الى ذكر المناسبات بالنسبة الى الآيات لاجلها والى القصص لاجميع آياتها وهو في نحو ستين مجلدا

وقد أفرده بالتصنيف العلامة أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي الاندلسي وسمى كتابه البرهان في ترتيب سور القرآن الا انه اقتصر فيه على ذكر المناسبات بين السور. ولم يتعرض فيه لذكر المناسبات بين الآيات. ذكر ذلك الحافظ برهان الدين ابراهيم البقاعي في أول كتاب نظم الدرر في تناسب

الآيات والسور . وهو أشهر كتاب في هذا العلم. والقاعدة التي يبني عليها ماذكره بعد ذلك حيث قال : قال شيخنا الامام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد بن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدّالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان سقى الله عهده سحائب الرضوان . وأسكنه أعلى الجنان : الامر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة - وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات . وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب . وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات الى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها . فهذا هو الامر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن . فاذا فعلته تبين لك ان شاء الله تعالى وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة . والله الهادي ه

ومن عني بأمر المناسبات الامام الاوحد شرف الدين محمد بن عبدالله المرسي فقد ذكر مترجموه ان له تفسيرا قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض. والمراد بذلك تفسيره الكبير وهو يزيد على عشرين جزءا وله تفسير أوسط في عشرة أجزاء وتفسير صغير في ثلاثة أجزاء .

وكان ميلاده سنة ٥٦٩ ووفاته سنة ٦٥٥ — توفي بين العريش والزعقة وهو متوجه الى دمشق

﴿ تنبيه ﴾

ذكروا انه ينبغي لمن أراد أن يبحث في هذا العلم أن يعرف المقصود من كل سورة . وأن ذلك يعرف غالبا من اسمها . فان اسم كل سورة يدل غالبا على المقصود منها .

فوائد شتى تتعلق بالمناسبات

﴿ الفائدة الاولى ﴾

من المهم معرفة التناسب بين فواتح السور وخواتمها . وقد أفرد ذلك بالتأليف الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالة سماها مراصد المطالع . في تناسب المقاطع والمطالع . وانظر الى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ووعد أمه بأن يردّ اليها وقوله فلن أكون ظهيرا للمجرمين . وخروجه من وطنه . وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته عن اخراجه من مكة ووعده بالعود اليها . وانظر الى سورة المؤمنون فان فاتحتها قد أفلح المؤمنون . وقد جاء في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون . وانظر الى سورة ص . فان فاتحتها ص والقرآن ذي الذكر . وقد جاء في خاتمتها . ان هو الا ذكر للعالمين . وكما وقع التناسب بين فاتحة كل سورة وخاتمتها وقع التناسب بين فاتحة كل سورة وخاتمة ماقبلها

قال بعض العلماء اذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبلها . ثم هو يخفى تارة و يظهر أخرى . وذلك مثل فاتحة سورة البقرة . وهي الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه . هدى للمتقين . فانها مناسبة لما جاء في خاتمة ما قبلها وهو اهدنا الصراط المستقيم . كأنهم لما سألوا الهداية الى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية اليه هو ذلك الكتاب . وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة . ومثل فاتحة سورة الانعام . وهي . الحمد لله الذي خلق السموات والارض . فانها

مناسبة لخاتمة المائدة وهي في فصل القضاء وهو من مواضع الحمد قال الله تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ـ ومثل فاتحة سورة الحديد وهي ـ سبح لله ما في السموات والارض ـ فانهـا مناسبة لخاتمة سورة الواقعة وهي فسبح باسم ربك العظيم

﴿ الفائدة الثانية ﴾

قال بعض العلماء: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على انه توقيفيّ صادر عن حكيم ..

أحدها بحسب الحروف كما في الحواميم

الثاني لموافقة أول السورة لآخر ماقبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة

الثالث للتوازن في اللفظ كآخر تبت وأول الاخلاص

الرابع لمشابهة جملة السورة لجملة الاخرى كالضحى وألم نشرح .

ومن لطائف سورة الكوثر انها كالمقابلة للتي قبلها لان السابقة وصف الله تعالى فيها المنافق بثلاثة أمور ـ ترك الصلاة ـ والرياء فيها ـ ومنع الزكاة ـ فذكر فيها في مقابلة ترك الصلاة ـ فصلّ ـ أي دم على الصلاة ـ وفي مقابلة الرياء ـ لربك ـ أي لرضاه لا للناس ـ وفي مقابلة منع الماعون ـ وانحر ـ وأراد به التصدق بلحم الاضاحي ـ وانما وضعت سورة القدر عقب سورة اقرأ ـ لان الهاء في انا أنزلناه في ليلة القدر تعود الى قوله اقرأ

﴿ الفائدة الثالثة ﴾

ذكروا انه قد أشكل أمر المناسبة في مواضع ـ منها قوله تعالى يسألونك عن الاهـلة ـ قل هي مواقيت للناس والحج .. وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت

من ظهورها ـ ولكن البر من اتقى ـ وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون. فقد يقال أي رابط بين حكم الاهلة و بين حكم اتيان البيوت من ظهورها ـ والجواب عن ذلك ان ذكر حكم الامر الثاني من باب الاستطراد فانه لما ذكر عن الاهلة انها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم في الحج كما ثبت في سبب نزولها ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على مافي السؤال ـ وقد وقع نظير ذلك في الحديث فان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته

ومن ذلك قوله تعالى في سورة النساء : ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ـ فقد يقال أي رابط بينه و بين ماقبله ـ والجواب عن ذلك أن ما قبله وهو قوله تعالى: ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ـ الآيات ـ قد نزل في كعب الاشرف ونحوه من أحبار اليهود فانهم لما قدموا مكة وحرضوا المشركين على الاخذ بثارهم يوم بدر سألهم المشركون من أهدى سبيلا محمد وأصحابه أم نحن فقالوا أنتم مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم المنطبق عليه وأخذ الميثاق عليهم أن يبينوه للناس فكان ذلك أمانة عندهم يجب عليهم أداؤها ـ وهم لم يؤدوها فناسب ذلك قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها

قال بعض العلماء ولا يرد تأخر نزول آية الامانات عن التي قبلها بنحو ست سنين لان الزمان انما يشترط في سبب النزول لا في المناسبة لان المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها ـ والآيات كلها كانت تنزل على أسبابها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بوضعها في المواضع التي علم من الله انها مواضعها

﴿ تنبيه ﴾

يظهر ان أكثر ما استشكل من ذلك غير مشكل . وانما المشكل فيه عده مشكلا والتصدي للجواب عنه فان الاجابة عن غير المشكل لا تخلو عن اشكال . والسبب في ذلك أن كثيرا من السائلين قد اتسعت عندهم دائرة الخيال فصاروا يرون في كل ما عرض لهم اشكالا . فينبغي الانتباه لذلك . فانه يفيد كثيرا .. وهذا غير خاص بهذا الامر بل هو شامل لغيره من الامور والله الموفق

﴿ الفائدة الرابعة ﴾

لا خلاف بين العلماء في وجود الوقف التام في القرآن . وان أواخر السور من أبين مواضعه .. وقد زعم بعض من خاض في غمرة المناسبات أن لا وقف تامّ في القرآن ولا على آخر سورة الناس بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كاتصالها بما قبلها بل أشدّ . والذي دعاه الى هذا القول الغريب انه تغلغل في هذا الامر فلاح له ان بين الآيات من التناسب ما يجعل الارتباط بينها شديدا . وان ذلك يقتضي أن يكون الوقف هنالك غير تام البتة .. وليس الامر كذلك . والوقف التام هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى . فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده وأكثر ما يوجد عند رؤس الآي غالبا نحو وأولئك هم المفلحون .. وقد يوجد في أثنائها نحو لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني . هنا التمام لانقضاء كلام الظالم ثم قال تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا

ويوجد التام عند آخر كل سورة . وعند آخر كل قصة . وقبل ياء النداء ونحو ذلك . وقد يتفاضل التام في التمام مثل الوقف على . جاءني . فيما سبق فانه

تام . والوقف على خذولا . أتم لتعلقه به تعلقاخفيا ولأنه آخر الآية . وقدسمى بعضهم هذا النوع وهو التام الذي يليه ماهو اتم منه بالشبيه بالتام . وقدجعل بعضهم علامة التام التاء المفردة . وهي ت وعلامة الاتم لفظ أتم . وغير التام هو الذي يتعلق بما بعده سواء كان التعلق من جهة اللفظ أو من جهة المعنى . وهو ثلاثة اقسام كاف - وحسن - وقبيح . فالوقف الكافي هو الذي يتعلق بما بعده تعلقا لا يمنع من حسن الوقف عليه ولا من حسن الابتداء بما بعده .. والفرق بينه وبين التام ان التام لا يتعلق بما بعده اصلا وهذا يتعلق بما بعده من جهة المعنى فقط وسمي بالكافي للاكتفاء به .. ويكون في رؤوس الآي وغيرها نحو ومما رزقناهم ينفقون . ونحو اولئك على هدى من ربهم . وكذلك يخادعون الله والذين آمنوا . وكذا . الا انفسهم - وكذا انما نحن مصلحون . فأن هذا كله كلام مفهوم والذي بعده كلام مستغن عما قبله لفظا وان اتصل به معنى . وقد يتفاضل الكافي في الكفاية كما يتفاضل التام في التمام . نحو في قلوبهم مرض . كاف - فزادهم الله مرضا . اكفى منه . بما كانوا يكذبون . اكفى منهما وهو هنا وقف تام . وعلامة الوقف الكافي الكاف المفردة . وهي هذه . ك

والوقف الحسن هو الذي يتعلق بما بعده تعلقا لا يمنع من حسن الوقف عليه ولكن يمنع من حسن الابتداء بما بعده وسمي بالحسن لحسن الوقف عليه . ويسمى أيضا بالصالح لصلوح الوقف عليه . وذلك نحو الوقف على الحمد لله . فانه حسن . ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده . فلا بدّ من اعادة ما قبله كله أو بعضه ليتسق بذلك الكلام . ونحو الوقف على رب العالمين . فانه حسن ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده الا عند من استحب الوقف على رؤوس الآي مطلقا . . وهي مسألة مختلف فيها . فذهب بعض العلماء الى استحباب

الوقف على رؤوس الآي مطلقا . سواء تعلقت بما بعدها أم لا . وبنوا هذا الامر على حديث يروى في ذلك . ويرد على هؤلاء مثل فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . فانه لا يمكن ان يقال بجواز الوقف فيه على المصلين وان كان آخر آية لابهامه خلاف المراد من ذلك وذهب أكثر أرباب الوقوف كالسجاونديّ وغيره الى ان رؤوس الآي وغيرها في حكم واحد من جهة تعلق ما بعده بما قبله وعدم تعلقه . ولذلك كتبوا . لا . ونحوها عند رؤوس الآي كما كتبوها عند غيرها الا انه لا خلاف بينهم في ان الوقف على رؤوس الآي ان لم يوجد مانع من ذلك أولى . وذلك لان مبنى الفواصل على الوقف فلا يترك ذلك الا لمانع، وقد حمل بعضهم الحديث الوارد في ذلك على بيان الجواز وعلى تعليم الفواصل . وهذا الحديث هو ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطّع قراءته . يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف . الرحمن الرحيم ثم يقف ه وقد ذكرنا في الفصل العاشر انه حديث غريب غير متصل الاسناد . وحمل بعضهم الوقف في الحديث المذكور على السكت فقال انه يجوز في رؤوس الآي مطلقا حالة الوصل لقصد البيان . والسكت ان يوقف وقفة خفيفة من غير تنفس . وهو عندهم مقيد بالسماع والنقل على الصحيح . فلا يجوز الا فيما صحت به الرواية لمعنى مقصود بذاته وقد وقع لحفص سكتتان . احداهما على . ولم يجعل له عوجا . في الكهف لئلا يتوهم ان قيما صفة لعوجا وثانيهما على . من بعثنا من مرقدنا . في يس لئلا يتوهم ان . هذا . اشارة الى مرقدنا

وعلامة الوقف الحسن الحاء المفردة . وهي هذه ح ومن سماه بالوقف الصالح جعل علامته الصاد المفردة وهي هذه ص

والوقف القبيح هو الذي يتعلق بما بعده تعلقا يمنع من حسن الوقف عليه ومن حسن الابتداء بما بعده وهو الوقف على مالا يفهم منه المراد أو يفهم منه خلاف المراد - وذلك نحو الوقف على الحمد - لعدم فهم المراد منه - ونحو الوقف على انما يستجيب الذين يسمعون والموتى - لايهامه ان الموتى يستجيبون مع الذين يسمعون فلا بدّ من وصل الموتى بقوله يبعثهم الله - ومن القبيح ان يقف على وما لي - ثم يبتدئ بما بعده - وهو - لا أعبد الذي فطرني - ولا يسوغ للقارئ ان يقف على مثل ذلك الا اضطرارا بسبب انقطاع النفس فاذا وقع له ذلك وأراد ان يبتدئ ابتدأ بمستقل بالمعنى واف بالمقصود لان الابتداء لا يكون الا اختياريا لانه ليس كالوقف قد تدعو اليه الضرورة

وينقسم الابتداء مثل الوقف الى أربعة أقسام - ابتداء تام - وابتداء كاف - وابتداء حسن - وابتداء قبيح -- هذا هو الطريق المشهور في أمر الوقف والابتداء بين الناس قديما وقد سلك السجاوندي في ذلك طريقا آخر - فقسم الوقف الى خمسة أقسام - وهي اللازم - والمطلق - والجائز - والمجوز لوجه - والمرخص فيه للضرورة - وجعل لكل قسم علامة تكتب بالمداد الاحمر وتوضع فوق موضعها - وقد شاع طريقه في جلّ البلاد المشرقية - وجرى أكثر كتبة المصاحف عليها - وقد رأينا أن نذكر ذلك هنا

طريق الامام السجاوندي في الوقف

الوقف اللازم عنده هو ماقد يوهم خلاف المراد اذا وصل بما بعده - وذلك نحو قوله تعالى في صفة المنافقين - وما هم بمؤمنين - فانه اذا وصل بقوله يخادعون الله والذين آمنوا - قد يتوهم ان هذه الجملة صفة لقوله بمؤمنين فينتفي بذلك الخداع عنهم ويثبت لهم الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو

بمؤمن مخادع . والمراد من الآية نفي الايمان عنهم - واثبات الخداع لهم -
ونحو قوله تعالى ولا يحزنك قولهم - فانه اذا وصل بقوله انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون - فانه قد يتوهم ان هذا مقول لهم وليس كذلك بل هو جملة مستأنفة
وردت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما قالوه في حقه أو في حق القرآن مما
لا ينبغي ان يقال. وعلامة الوقف اللازم الميم ، والوقف المطلق هو ما يحسن
الوقف عليه والابتداء بما بعده. وذلك في مثل ما اذا كان بعده الاسم المبتدأ
به نحو الله يجتبي اليه من يشاء - أو الفعل المستأنف المقرون بالسين نحو سيقول
السفهاء من الناس - أو النفي نحو لا إكراه في الدين - أو نحو ذلك - مالم يكن
مقولا لقول سابق، وعلامة الوقف المطلق الطاء.. والوقف الجائز هو ما يتساوى
فيه أمر الوصل والفصل وذلك مثل الوقف على آمنوا في قوله تعالى يخادعون
الله والذين آمنوا - وما يخدعون الا أنفسهم - وما يشعرون - وكذلك الوقف
على أنفسهم - الا ان الوصل فيه أولى من وجه آخر وهو قربه من الفاصلة
وهي - وما يشعرون - ليكون الوقف عليها فان الوقف عليها أرجح من وجهين
أحدهما كونها فاصلة وثانيهما كون الوقف عليها هنا تاما، وعلامة الوقف الجائز
الجيم..والوقف المجوز لوجه عنده هو ما كان فيه الوصل أولى من الوقف - وذلك
نحو أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة - فان الفاء في قوله بعده فلا
يخفف عنهم العذاب - تقتضي الوصل لاشعارها بالسبب - ومجيء الفعل على
هذه الهيئة يجعل للفصل وجها، وعلامة الوقف المجوز الزاي. والوقف المرخص
فيه للضرورة هو ما لا يستغني ما بعده عما قبله الا انه يكون مفهوما في الجملة -
فيرخص الوقف فيه لطول الكلام أو لانقطاع النفس غير أنه اذا وقف عليه
ابتدئ بما بعده من غير عود الى ماقبله وذلك نحو قوله تعالى - والسماء بناءً -

فان مابعده وهو وأنزل من السماء ماءً ـ وان كان غير مستقل لوجود ضمير فيه يعود الى ماقبله الا انه جملة مفهومة .. ونحو كل من فواصل قد أفلح المؤمنون ـ الى قوله هم فيها خالدون . وعلامة الوقف المرخص فيه الصاد .

وأما الوقف القبيح فهوالوقف في موضع لم يتم فيه الكلام ـ وذلك كالوقف على الشرط دون جزائه ـ وعلى المبتدأ دون خبره ونحو ذلك ـ وعلامته لا . وعلامة الآية دائرة صغيرة هكذا ○

وقدعلم بماذكر ان السجاوندي لم يجعل للوقف التام والكافي اسما ولاوسما ـ وانما أدخلهما في الاقسام المذكورة الا انه لا ينبغي ان يغفل أمرهما ـ وقد ذكر في كتابه في الوقف والابتداء مواقع الفصل والوصل في جميع القرآن مع علل ذلك ـ وقدأورد بعض المفسرين جميع ماذكر في تفسيره ـ وقال في ذلك : وانما التزمنا ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها و بلوغها في الغموض الى حيث قصروا البلاغة على معرفة الفصل والوصل ـ الاّ ان ذلك بحسب الصياغة ـ وما نحن فيه بطريق الصناعة ـ وكل منهما تابع لارتباط المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل أو بالبعض ـ وسيتلى عليك تفاصيلها ـ و بالله التوفيق

نَمُوذَجٌ من ذلك في الفاتحة

العالمين ـ لا○ ـ لاتصال الصفة بالموصوف ـ الرحيم ـ لا○ ـ لذلك ـ الدين ط○ ـ للعدول عن الغيبة الى الخطاب ـ نستعين ـ ط○ ـ للابتداء بالدعاء المستقيم ـ لا○ ـ لاتصال البدل بالمبدل منه ـ انعمت عليهم ـ لا○ ـ لاتصال البدل بالمبدل منه أو الصفة بالموصوف ـ الضالين ـ ○ . وقد الف في الوقف والابتداء كثير من العلماء الاعلام ـ . منهم احمد بن يحيى المعروف بثعلب ـ وابو جعفر النحاس وابو بكر محمد بن القاسم الانباريّ ـ وابو سعيد الحسن

السيرافي وابو عمرو عثمان الدانيّ . والعماني. وابو عبد السلام محمد الزواويّ وغيرهم واول من الف فيه محمد بن الحسن الرؤاسيّ ابن اخي معاذ الهراء . وقيل له الرؤاسي لانه كان كبير الرأس وكان رجلا صالحا . وقد أخذ عنه الكسائي والفراء وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو وقد روي عنه انه قال: بعث الخليل اليّ يطلب كتابي فبعثته اليه فقرأه . وقد نقل عنه سيبويه فكل ما في كتاب سيبويه من قوله (وقال الكوفي) فأنما عنى به الرؤاسي هذا. ويقال لكتابه هذا الفيصل . وله من الكتب كتاب معاني القرآن . كتاب التصغير . كتاب الوقف والابتداء الكبير . كتاب الوقف والابتداء الصغير . وذكره ابو عمرو الداني في طبقات القراء وقال روى الحروف عن ابي عمرو . وهو معدود في المقلين عنه وسمع الاعمش . وهو من جملة الكوفيين . وله اختيار في القراءة. وقال الزبيدي كان استاذ اهل الكوفة في النحو وأخذ عن عيسى بن عمر

﴿ تنبيهات ﴾

التنبيه الاول . كان كتاب المصاحف يفصلون بين كل آيتين بثلاث نقط توضع بينهما وكان كتّاب الحديث يفصلون بين كل حديثين بدارة توضع بينهما . وكان بعضهم يجعل بقية السطر ان لم تقع الدارة في آخره خاليا من الكتابة ليكون ذلك البياض مؤكدا للفصل بينهما . وأما كتاب كتب الادب ونحوها فقد اختلفت مناهجهم في الفصل بين الكلامين . وكان بعضهم يقتصر على جعل بياض بينهما . فأن البياض من جملة علائم الفصل الا انّ منهم من يجعل مقدار البياض في جميع المواضع واحدا . ومنهم من يجعله مختلفا باختلاف المواضع مراعيا فيها مايقتضيه أمرها. وقد اشار الى ذلك ابن السيد في الاقتضاب حيث قال : والفصل انما يكون بعد تمام الكلام الذي ابتدئ به واستئناف كلام غيره .. وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام .. فأن كان القول

المستأنف مشاكلا للقول الاول او متعلقا بمعنى منه جعل الفصل صغيرا .. وان كان مباينا له بالكلية جعل الفصل اكبر من ذلك . فأما الفصل قبل تمام القول فهو من أعيب العيوب على الكاتب والورّاق جميعا . وترك الفصول عند تمام الكلام عيب أيضا الا انه دون الاول . وقد أورد صاحب الصناعتين كثيرا مما قيل في الفصل والوصل . وقد رأيت ان اورد من ذلك شيأ ليعلم المعرضون عن مراعاتهما ما كان لهما قديما من حسن الرعاية قال :

قيل للفارسي ما البلاغة فقال معرفة الفصل من الوصل . وقال المأمون لبعضهم من أبلغ الناس . فقال من قرب الامر البعيد المتناول الصعب الدرك بالالفاظ اليسيرة . فقال ما عدل سهمك عن الغرض . ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته ، ولا يجيل الفكر في اجتلاب ما صعب اليه من الالفاظ ، ولا يكره المعاني على انزالها في غير منازلها ، ولا يتعمد الغريب الوحشي . ولا الساقط السوقي . وان البلاغة اذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام . وكان اكثم بن صيفي اذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه افصلوا بين منقضي كل معنى . وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض . وكان الحارث بن شمر الغساني يقول لكاتبه المرقش : اذا نزع بك الكلام الى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه و بين تبيعته من الالفاظ . فأنك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن ان تمذق به نفرت القلوب عن وعيه . وملته الاسماع . واستثقلته الرواة . وكان صالح بن عبد الرحمن التميمي الكاتب يفصل بين الآيات كلها و بين تبيعتها من الكتاب كيف وقعت .. وفصل المأمون عند حتى كيف وقعت وامر كتابه بذلك . وكان يأمر كتابه بالفصل بين بل و بلى وليس . وقال المأمون ما أتفحص من رجل شيأ كتفحصي عن الوصل والفصل في كتابه . وامر

الفصل والوصل في الكلام والكتابة امر ذو بال

التنبيه الثاني - ينبغي للقارىء ان يراعي أمر المدة في الوقف - فاذا وقف في موضع يكون الارتباط فيه بين الكلامين ضعيفا وقف فيه كثيرا - واذا وقف في موضع يكون الارتباط فيه أقوى من ذلك وقف فيه اقل - ولا يزال الامر كذلك الى ان يصير الوقف فيه من قبيل السكت وهو أمر مهم جدا يحتاج فيه الى رياضة شديدة في اول الامر - وقد أدركنا اناسا من القراء كانوا يحسنون ذلك - وكانوا قد تلقوه عمن قبلهم وهم مع ذلك كانوا واقفين على معاني الكتاب العزيز - وكان للناس ولوع بسماع قراءتهم - وكان كثير من السامعين يفهمون معاني اكثر ماتلي عليهم بسبب حسن أدائهم - فحيا الله من أحيا فن القراءات وما يتعلق بها وأعاده الى ماكان عليه في العهد الاول

التنبيه الثالث - يغتفر في طول الفواصل والقصص والجمل المعترضة ونحو ذلك مالا يغتفر في غيره - فربما اجيز الوقف والابتداء لبعض ماذكر ولولا ذلك لم يجز - وهذا هو الذي يسميه السجاوندي المرخص فيه للضرورة - وذلك نحو الوقف على المغرب في آية - ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - وعلى النبيين - وعلى وآتى الزكاة - وعلى عاهدوا - ونحو الوقف على فواصل والشمس وضحاها الى قد افلح من زكاها - فان لم تطل الفواصل لم يحسن ذلك وان لم يكن ثم تعلق لفظي - ومن ثم لم يذكروا الوقف على - وآتينا عيسى ابن مريم البينات - لقرب الوقف على القدس - وعلى بالرسل ولم يذكروا الوقف على قل اللهم مالك الملك - لقرب الوقف على قوله تؤتي الملك من تشاء - ولم يذكر كثير منهم الوقف عليه لقربه من - وتنزع الملك ممن تشاء - ولم يجز كثير منهم الوقف على - وتعز من تشاء - لقربه من - وتذل من تشاء - مع وجود

الازدواج بين الجملتين . وهو وحده كاف في تأكيد الوصل . ومن ثم قالوا انه ينبغي الوصل في نحو . من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها . وذلك لوجود الازدواج فيه

التنبيه الرابع . اورد الحافظ بن الجزري في النشر في مبحث الوقف والابتداء عشر تنبيهات مهمة قال في الرابع منها : قول ائمة الوقف : لا يوقف على كذا . معناه انه لا يبتدأ بما بعده اذ كل ما اجازوا الوقف عليه اجازوا الابتداء بما بعده. وقد اكثر السجاوندي من هذا القسم و بالغ في كتابة لا . والمعنى عنده لا تقف . وكثير منه يجوز الابتداء بما بعده . واكثره يجوز الوقف عليه . وقد توهم من لا معرفة له من مقلدي السجاوندي ان منعه من الوقف على ذلك يقتضي ان الوقف عليه قبيح اي لا يحسن الوقف عليه ولا الابتداء بما بعده . فصاروا اذا اضطرهم ضيق النفس يتركون الوقف على الحسن الجائز و يتعمدون الوقف على القبيح الممنوع . فتراهم يقولون صراط الذين انعمت عليهم . غير . ثم يبتدئون و يقولون غير المغضوب عليهم . و يقولون : هدى للمتقين . الذين . ثم يبتدئون و يقولون : الذين يؤمنون بالغيب . فيتركون الوقف على عليهم وعلى المتقين الجائزين قطعا و يقفون على غير والذين اللذين يقبح تعمد الوقف عليهما بالاجماع لأن الاول مضاف والثاني موصول . وكلاهما ممنوع تعمد الوقف عليه . وحجتهم في ذلك قول السجاوندي لا . قلت ليت شعري اذ منع الوقف عليه هل أجاز الوقف على غير او الذين . فليعلم ان مراد السجاوندي بقوله لا اي لا يوقف عليه على ان يبتدأ بما بعده كغيره من الاوقاف . ثم ذكر بعض وقوف انتقدها عليه ثم قال : ومثل ذلك كثير في وقوف السجاوندي . فلا يغتر بكل ما فيه . بل يتبع فيه الاصوب و يختار منه الاقرب

التنبيه الخامس . كل كلمة تعلقت بما بعدها وكان ما بعدها من تمامها لا

يوقف عليها . ومن ثم قالوا لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف اليه ولا على المبتدأ دون الخبر . ولا على الفعل دون الفاعل ولا على الفاعل دون المفعول الى غير ذلك. فان اضطر القارىء الى الوقف على ذلك لانقطاع النفس عاد الى الكلمة التي وقف عليها ان حسن الابتداء بها او الى ما قبلها وذلك نحو قوله تعالى . وما لي لا اعبد الذي فطرني . ونحو قوله تعالى - وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب. فانه اذا وقف على مالي او على الكافرون لم يجز له ان يبتدىء بما بعده بل يجب عليه ان يبتدىء بما لي في الاول . و بقال الكافرون في الثاني . وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل الفن . وهو امر ظاهر

وقد خالف في ذلك بعض من لم يمعن النظر . وظن ان القراء قالوا بذلك مجازفة فزعم ان الوقف قبل تمام الكلام جائز مطلقا . وان الواقف اذا وقف في موضع أي موضع كان ابتدأ بما بعده ولم يلزمه الرجوع الى ما قبله في حال من الاحوال؛ و بنى ذلك على ان المواقف التي يذكرها القراء ليست مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم . وانهم انما ذكروها لتعليم الطلبة المعاني حتى اذا علموها وقفوا حيث شاؤوا . وان الرجوع الى ما قبل لا دليل لهم عليه الا انه مع ذلك رأى ان الاولى الوقف على التمام كراهية الخروج عنهم ه

انما نبهنا على ذلك لئلا يراه راء فيظن انه قول نشأ عن تدبر. فيغتر به و يصير من الواقفين في المواضع التي لا يجوز الوقف عليها والمبتدئين بالمواضع التي لا يجوز الابتداء بها وهي كثيرة جدا وهذا من اعظم الزلات وهي تعد من القواصم فانتبه لذلك ولما شاكله

وأما الوقف على المعطوف عليه دون المعطوف . وعلى الموصوف دون

الصفة فانه لا يمنع على الاطـلاق بل يجوز في بعض المواضع لا سيما ان وقع شيء من ذلك في رؤوس الآي

وأما الوقف على المستثنى منه دون المستثنى فممنوع ان كان الاستثناء متصلا . وان كان منقطعا ففيه ثلاثة أقوال . الجواز مطلقا لانه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه . والمنع مطلقا لاحتياجه الى ما قبله لفظا ومعنى . أما لفظا فلأنه لم يعهد استعمال الا وما في معناها الا متصلة بما قبلها . وأما معنى فلأن ما قبلها مشعر بتمام الـكلام في المعنى اذ قولك ما في الدار أحد . هو الذي صحح ان تقول بعـده الا الفرس . فلو قلت الا الفرس على انفراده كان خطأ .

والقول الثالث الجواز أن صرح بالخبر لاستقلال الجملة واستغنائها عما قبلها . والمنع ان لم يصرح به لافتقارها اليه . ومباحث الوقف والابتداء كثيرة جدا . وقد ذكرنا قسما منها في تدريب اللسان على تجويد البيان . الا ان من عرف ما تبنى عليه سهل عليه الخطب في ذلك . والذي تبنى عليه هو علم النحو والمعاني والبيان والقراءات والتفسير . والله الموفق

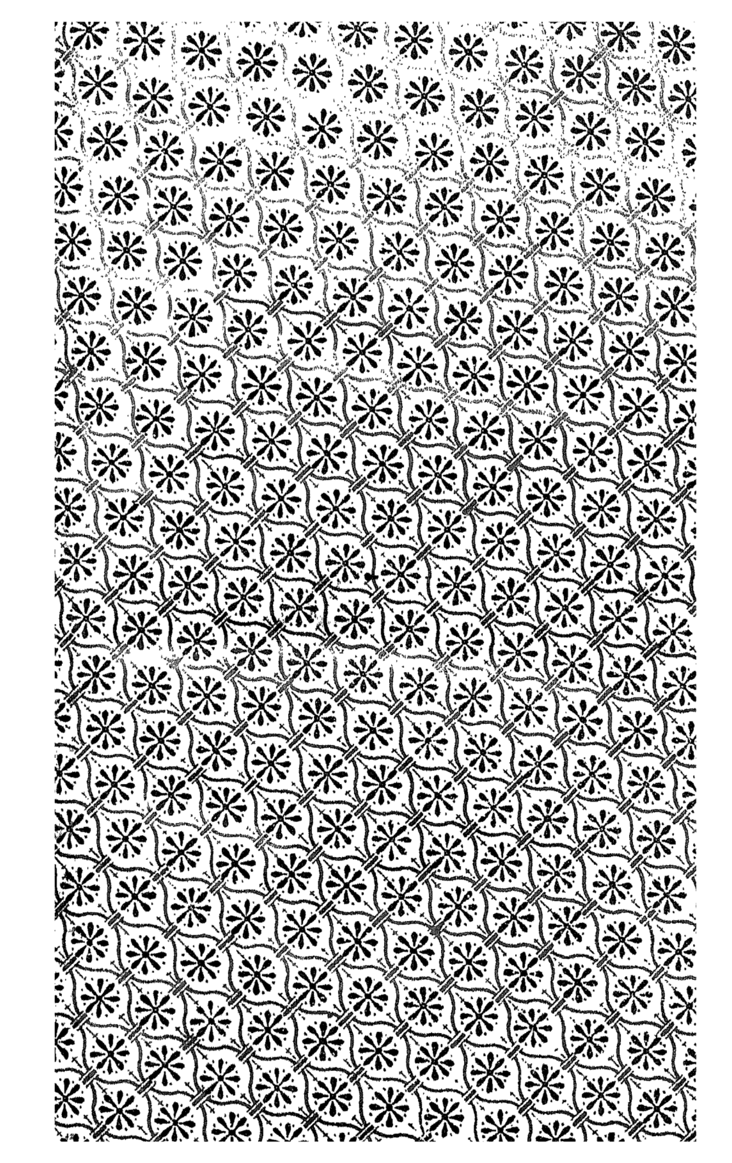
وقد رأينا أن نختم الـكلام هنا حامدين لله سبحانه على جزيل نعمائه مصلين على خاتم أنبيائه وعلى آله وصحبه

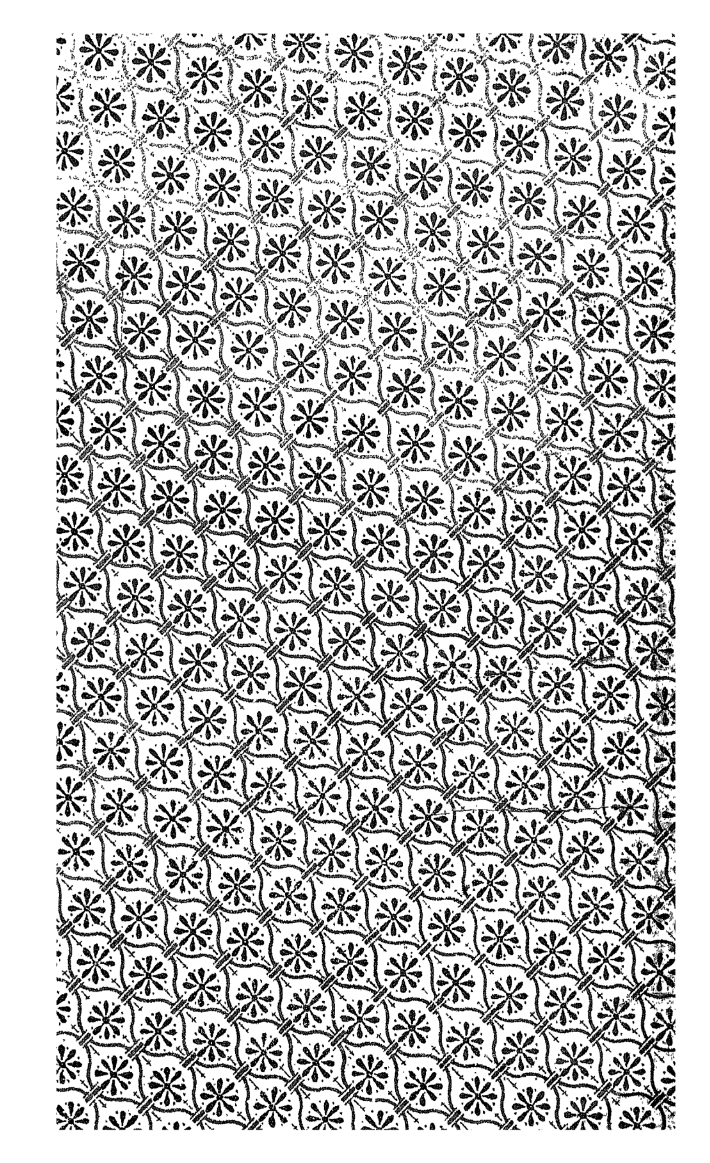
قال مؤلفه طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري وفقه الله تعالى لما يحب ويرضى وكان الفراغ من تأليفه في شهر جمـادى الاولى سنة خمس وثلاثين وثلاثمـائة والف وذلك في مدينة مصر القاهرة لا زالت عامرة

فهرس كتاب التبيان

فوائد تتعلق بالقراءات

(تم)






Bibliotheca Alexandrina
0519718